

من تفسير وتأمّلات

## الآباء الأولين

# الرسالة إلى العبرانيين

### القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

لهذا السفر أهمية خاصة في الكتاب المقدس بكونه السفر الذي يربط العهدين - القديم والجديد - معاً. يعلن للمسيحيين الذين من أصل عبراني أنهم وإن كانوا قد طردوا بواسطة السنهدرين من الهيكل اليهودي، وحرّموا من خدمته، فقد صاروا خارج المحلة يشاركون مسيحيهم في صلبه خارج أورشليم لكي يدخل بهم إلى هيكله السماوي، ينعمون بخدمته الفائقة، ويتمتعون بالذبيحة الحقيقية الفريدة. هو سفر انفتاح السماء على المطرودين والمحرومين.

ولما عُرف هذا السفر بصعوبته لذلك أثرت أن يكون التفسير مبسطاً ومختصراً قدر الإمكان حتى لا يتشتت فكر القارئ.

القمص تادرس يعقوب ملطي

يناير ١٩٨٢ م

## مقدمة

### كاتب الرسالة

إذ لم يكتب واضع الرسالة اسمه في صلبها اختلف الدارسون في نسبتها منذ عصر مبكر، ففي الغرب نسب العلامة ترتليان، من رجال القرن الثاني، الرسالة إلى برناباس. لكن بمقارنتها برسالة برناباس نجد الفارق شاسعاً، ونتأكد أنه لا يمكن أن يكون كاتبهما شخصاً واحداً. وقد ساد الغرب اتجاه بأن الكاتب هو القديس إكليمنضس الروماني، أما بعد القرن الرابع فصار اتفاق عام أنها للرسول بولس.

أما بالنسبة للشرق فمنذ البداية كان هناك شبه اتفاق عام على أنها من رسائل معلمنا بولس الرسول. هذا ما قبلته الكنيسة الشرقية بوجه عام، ومدرسة الإسكندرية بوجه خاص. جاء في يوسابيوس أن للقديس إكليمنضس السكندري عملاً مفقوداً، ورد فيه أن معلمه بنتينوس الفيلسوف يتحدث عن الرسالة بكونها للقديس بولس.

ويمكننا أن نلخص نظرة الدارسين للرسالة في الآتي:

أ. أن الكاتب هو الرسول بولس: ساد هذا الفكر في الكنيسة الشرقية منذ بداية انطلاقها واستقر فيما بعد في الكنيسة الغربية، من بين الذين ذكروا هذا الرأي **القديس بنتينوس، والقديس يوحنا الذهبي الفم، والقديس أغسطينوس**، ولا يزال يعتبر هو الرأي السائد بين الغالبية العظمى للدارسين المحدثين.

ب. الكاتب هو برناباس: العلامة ترتليان وWeisler, Ulmann .

ج. لوقا البشير: ذكر العلامة أوريجينوس هذا الرأي، وقبله Ebrabd, Calvin.

د. إكليمنضس الروماني: اتجاه غربي مبكر، اختفى تمامًا إلا قلة قبلته مثل Reithmuier, Erasmus.

هـ. سيلا: Rohme, Mynster.

و. أبلس: Semler, Luthea.

### لماذا لم يذكر الرسول اسمه؟

اعتاد الرسول بولس أن يذكر اسمه في رسائله، فلماذا لم يفعل هكذا في هذه الرسالة؟ عُرف الرسول بولس في الكنيسة الأولى كرسول الأمم، بينما الرسل بطرس ويوحنا ويعقوب وغيرهم كرسول لليهود، لهذا كان الرسول بولس أكثر تحرراً منهم في شأن الارتباط ببعض الطقوس اليهودية، مما جعل الكثير من المسيحيين الذين من أصل عبراني ينفرون منه، وقد قيل له: "أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى" (أع ٢١: ٢١). ولما كانت هذه الرسالة موجهة إلى هذه الفئة، المسيحيين العبرانيين، لهذا كان لائقاً ألا يذكر اسمه حتى لا يحجموا عن قراءتها.

### غاية الرسالة

١. دُعي الرسول بولس لخدمة الأمم، لكنه لم يُحرم من خدمة بني جنسه خاصة الذين كانوا يقطنون بين الأمم، إذ كان يود أن يكون محروماً من أجلهم (رو ٩: ٣). الله لم يمنعه من خدمتهم وإن كان قد أرسله بصفة رئيسية للأمم، وذلك كقوله أن السيد المسيح لم يرسله ليعمد (١ كو ١: ١٧) لكن هذا لا يعني منعه من ممارسة العماد. حبه للجميع دفعه للاهتمام بكل الفئات، فلم يبخل في كتابته لهذه الفئة عندما أدرك حاجتهم إلى هذا العمل، خاصة وأنه كان أقدر من غيره على الكتابة إليهم بكونه دارساً دقيقاً للناموس الموسوي والطقوس اليهودية.

٢. يمكننا أن ندرك غاية هذه الرسالة إن تفهمنا الصورة الحقيقية للكنيسة الأولى، فقد كان الرسل مع أعداد كبيرة من اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح يشتركون مع إخوتهم وبني جنسهم في عبادة الهيكل ويراعون الناموس، ويقرنون أنفسهم بالأمة اليهودية وبرجائها، ولكن بفكرٍ روعي جديد في المسيح يسوع. حقاً كان الكثير منهم غير قادرين على الانفصال عن هذه الأمة، غير مدركين تمامًا مفهوم الكنيسة كجسد المسيح الواحد، يدخل في عضويته اليهودي مع الأممي بلا تمييز، السيد مع العبد على السواء، والرجل مع المرأة بلا أفضلية. لهذا إذ حدث اضطهاد ضد الكنيسة المسيحية وحكم السنهدرين على المسيحيين العبرانيين بالطرد من المقادس ومعاملتهم كمتعدين على الناموس، وأنهم نجسون ومرتدون، جُرح هؤلاء الأتقياء في أعماق قلوبهم. لقد شعروا أنهم من أجل المسيا عُرلوا عن شعب المسيا، بمعنى أدق عن الشعب الله القديم المنتظر لمجيء المسيا،

فكان ذلك بالنسبة لهم جرحًا داميًا وتجربة قاسية. طردوا من نسبهم كأهل البيت، بل ومن الدار الخارجية للهيكل، وقُطعوا من رعوية إسرائيل؛ فكتب إليهم الرسول ليؤكد لهم أنهم نالوا أكثر مما فقدوه. لهذا كثيرًا ما تكررت الكلمة "لنا". لقد اقتنوا الهيكل السماوي الحقيقي عوض الهيكل الرمزي، وصار لهم رئيس الكهنة السماوي بخدمته العلوية في السماويات عوض الكهنوت اللاوي، وانتسبوا لكنيسة الأبرار، محفل الملائكة عوض الرعوية اليهودية، وانفتحت لهم المدينة الباقية عوض أورشليم الأرضية. كأن غاية هذه الرسالة هو تأكيد أن المسيحية ليست حرمانًا وإنما هي اقتناء السماويات وتمتع بالأبديات. حقًا هي طرد إلى خارج المحلة مع المسيح المصلوب خارج أورشليم، لكنها تمتع بمدينة الأبرار العلوية.

المحلة هي المكان المحبوب لدى اليهود، لكن السيد المسيح ارتفع على الصليب خارجها، لكي تقدر أن تخرج إليه كنيسته مطرودة من الجماعة اليهودية صاحبة الفكر الحرفي، تشاركه آلامه وعاره.

٣. إذ كان الهيكل اليهودي على وشك الانهيار التام لتنتهي الطقوس اليهودية في أورشليم وتقطع الذبيحة ويتوقف الكهنوت اللاوي، كشف الرسول عن الهيكل المسيحي وذبيحة المسيح والكهنوت الجديد. لقد أوضح حقيقة الظلال القديمة وقوتها وكمالها بعودتها إلى أصولها العميقة في شخص السيد المسيح الذبيح والكاهن إلى الأبد، فعبّر بنا من الظل إلى الحق، وعوض شبه السماويات دخل بنا إلى السماويات عينها.

## مكان كتابتها

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول بولس كتبها في أورشليم وفلسطين.

## مميزاتها

١. تعتبر هذه الرسالة مثل الرسالة إلى أهل رومية أشبهه ببحثٍ علمي؛ وهي أكثر من غيرها من أسفار العهد الجديد تقيم تعاليمها وبراهينها على أسفار العهد القديم المعروفة والمتداولة بين الشعب اليهودي. فيها تجد العهد القديم وقد تنصر، أو حمل مسحة مسيحية، فتجلت المفاهيم الجديدة خلال ذبيحة الصليب. لقد أبدع الرسول بوحى الروح القدس في أسلوب رائع، ليقدّم لحناً سماويًا يسحب قلب المسيحي العبراني من الظلال إلى الحق، ومن العبادة الجسدية الخارجية إلى خدمة المسيح الفائقة. هذا السفر يمثل سيمفونية جميلة تكشف عن وحدة العهدين، بإعلانه الحق الخفي وراء الناموس والذبيحة الحقيقية.

٢. عالج الرسول في بعض رسائله مسألة الفروض والوصايا الناموسية، مثل الختان، كما في رسالتيه إلى أهل غلاطية وإلى أهل كولوسي، وهذه تمس أمور شخصية يمكن للإنسان أن يمارسها أو يرفضها، أما هنا فيكتب عن موضوع جماعي يخص الهيكل اليهودي المغلق في وجوه الكل، والرعوية اليهودية التي حُرّموا منها بغير اختيارهم.

٣. خصص الرسول الأصحابين الأخيرين للوصايا العملية من التزام بالجهاد والحب والطاعة، وذلك كعادته في بقية الرسائل، لكنه في نفس الوقت يمزج أحاديثه في صلب الرسالة بالجانب السلوكي العملي، فيحول العقيدة إلى خبرة حياة. يكتب لا ليشبع الفكر نظريًا وإنما ليروي الإنسان بكليته في أعماقه الداخلية ومشاعره كما في سلوكه وتصرفاته الظاهرة، فيعيش بكامله جديدًا في الرب.

٤. اختلفت هذه الرسالة عن بقية الرسائل الخاصة بالرسول بولس من جهة المواضيع الرئيسية التي كانت تشغل ذهنه. هنا لا يتحدث عن الكنيسة كجسد المسيح الذي هو رأسها، ولا عن إتحادنا مع الأب في ابنه بالروح القدس، وشركتنا مع مخلصنا في آلامه لننعم بشركة أمجاده، لكنه وهو يكتب في موضوع فريد هو حرمان المسيحيين العبرانيين من الهيكل والطقس يتحدث عن "كهنوت المسيح" الذي يشفع بدمه أمام أبيه، خلال إتحادنا فيه، حتى ننعم بالهيكل السماوي والطقس الملائكي!

## أقسام الرسالة ومحتوياتها

يعلن الرسول بولس ما نلناه في المسيح يسوع الذبيح والكاهن خلال مقارنته بما ناله اليهود في العهد القديم من إمتيازات وبركات، لهذا جاءت الرسالة تتحدث عن:

١. المسيح والأنبياء ١ : ١ - ٣
٢. المسيح والملائكة ١ : ٤ - ١٤، ص ٢
٣. المسيح وموسى ص ٣
٤. المسيح ويشوع ص ٤
٥. المسيح وهرون ص ٥
٦. أحاديث إيمانية ص ٦
٧. المسيح وملكى صادق ص ٧
٨. المسيح رئيس الكهنة السماوي ص ٨
٩. الخدمة السمائية ص ٩
١٠. الدخول إلي الأقداس السمائية ص ١٠
١١. الإيمان ص ١١
١٢. الجهاد ص ١٢
١٣. وصايا ختامية ص ١٣

## الإصحاح الأول

# المسيح والأنبياء

مقدمة

الله يكلمنا

بين الأنبياء والسيد المسيح ١-٣.

١. الابن ٢.

٢. الذي جعله وارثًا لكل شيء ٢.

٣. الذي به أيضًا عمل العالمين ٢.

٤. بهاء مجده ورسم جوهره ٣.

٥. حامل كل الأشياء بكلمة قدرته ٣.

٦. صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا ٣.

٧. جلس عن يمين العظمة ٣.

المسيح والملائكة ٤-١٤.

١. عظمته في النبوة ٤-٥.

٢. خضوعهم له ٦-٨.

٣. مسحه للعمل الخلاصي ٩.

٤. أبديته ١٠-١٤.

"الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة،

كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه،

الذي جعله وارثًا لكل شيء،

الذي به أيضًا عمل العالمين.

الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره،

وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته،

بعد ما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا،

جلس في يمين العظمة في الأعلى" [١-٣].

مقدمة

افتتح معلمنا بولس الرسول رسالته بإعلان حديث الله مع الآباء، أي مع رجال العهد القديم بواسطة الأنبياء، مؤكداً أولاً التزامه بالحب والخضوع لرجال العهد القديم؛ وثانياً بإعلان وحدة العهدين. فإن الله الذي تحدث قديماً مع رجال العهد القديم هو بعينه الذي يحدثنا نحن في هذه الأيام الأخيرة في ابنه. يتحدث مع الأولين عن الحق الإلهي خلال الظلال، أما الآن فيعلن الحق في كماله. بهذا لم يقلل الرسول بولس من شأن الأنبياء ولا من عظمة مجد العهد القديم، لكن ما هو أعظم منه هو مجد العهد الجديد، بكونه امتداداً للعمل القديم، ودخولاً إلى أعماقه، وتحقيقاً لغاياته. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يا له من أمر عظيم أن يرسل الأنبياء إلى آبائنا، أما بالنسبة لنا فقد أرسل ابنه الوحيد نفسه... لم يرَ أحد منهم (من الأنبياء) الله، أما الابن الوحيد فإياه]. [يا للعجب! لقد تنازل واختار ألا يتحدث (الله) معنا بواسطة عبيده بل بفمه... كان لهم موسى معلماً، أما نحن فلنا رب موسى؛ إذن فلنظهر الحكمة (الفلسفة) السماوية التي تليق بهذه الكرامة ولا نطلب أمراً أَرْضِيّاً].

لماذا بدأ الرسول مقارنته بالأنبياء؟ لأنه في بدء انطلاق الأمة اليهودية كان القائد هو موسى النبي وكان أخوه هرون رئيس كهنة. موسى يمثل إعلان الحق الإلهي خاصة خلال الشريعة، وهرون يمثل الجانب العملي الذبيحي والتعبدي الذي يقوم بالمصالحة بين الله والإنسان. العملان متلازمان ومتكاملان، فالإنسان ليحيا كمؤمن حقيقي وعضو في الجماعة المقدسة عليه أن يتقبل الحق ويتعرف عليه ليس فقط خلال الشريعة أو الوصية أو النبوة وإنما أيضاً خلال الحياة التعبديّة الحقيقية، أي خلال ذبيحة المصالحة بين الله والمؤمن. هذا التلازم بين النبوة والكهنوت، أو بين الوصية والعبادة لم يدم كثيراً، فسرعان ما انحرف كهنة اليهود عن رسالتهم، وتحولوا إلى الشكل دون الروح، وضاع الحق من بين أيديهم، فصارت هناك عداوة بين الكهنة الشكليين والأنبياء الحقيقيين، الأمر الذي برز بصورة صارخة في أيام إرميا النبي وحزقيال النبي، حيث لم يكن ممكناً المصالحة بين الطرفين. أما السيد المسيح فهو وحده "الحق" في كماله، يعلنه لنا خلال ذبيحته الفريدة على الصليب، وفي نفس الوقت هو رئيس الكهنة السماوي القادر أن يصنع تطهيراً لخطايانا، جالساً عن يمين الأب في الأعلى. في هذا السفر يقارن بين السيد المسيح والأنبياء، ليعود فيقارن في النهاية بينه وبين الكهنوت اللاوي، لكي يعلن في شخصه التحام الحق مع العمل الذبيحي أو التحام النبوة مع الكهنوت في صورة فريدة فائقة.

لقد أبلغ الأنبياء الصوت الإلهي للآباء بكونهم قنوات، لا فضل لهم سوى تبليغ الرسالة كما هي، إذ "استؤمنوا على أقوال الله" (رو ٣: ٢)، ويشهد السيد المسيح نفسه أن موسى والأنبياء تحدثوا عنه؛ أما السيد فهو الكلمة عينه، أو هو الحق بذاته، يعلن عن الأب بكونه واحداً معه في الألوهية، لهذا يقول: "ليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١: ٣٧).

## الله يكلمنا

في القديم كلم الله الآباء بالأنبياء، أما الآن فيكلمنا في ابنه. ماذا يعني الرسول بهذا؟ الله دائم الحديث معنا، يتحرك نحونا بحركة الإعلان عن حبه. يريد أن يتعامل معنا، فهو وإن كان مطلقاً فوق كل إدراك لكنه ليس ببعيد عنا، ولا بمنعزل عن الإنسان، يود إتحاد الإنسان معه لينعم بشركة أمجاده الأبدية.

كلام الله معنا ليس أفاظاً تقف عند سماع الأذن لها، إنما هو حياة فعّالة، يشبهه الله بالمطر العامل في الأرض: "أنزل عليهم المطر في وقته فتكون أمطار بركة، وتعطي شجرة الحقل ثمرتها، وتعطي الأرض غلتها" (حز ٣٤: ٢٦، ٢٧). ويؤكد الرسول في نفس الرسالة: "لأن كلمة الله

حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه" (٤: ١٢، ١٣). والسيد المسيح نفسه يقول: "كلامي روح وحياة".

## يكلمنا بطرق وأنواع كثيرة

منذ بدء الخليقة الإنسان والله في حبه يتحرك نحونا ليتكلم معنا، وكما يقول القديس أغسطينوس: [أليس الله هو الذي تكلم في بدء البشرية مع آدم (تك ٣: ١٧)؟ أليس هو بنفسه الذي تكلم مع قايين ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وكل الأنبياء وموسى؟ انظر فإنه يتحدث حتى مع الشخص الواحد ليس فقط مرة بل مرات كثيرة.]

إنه يتحدث منذ بدء البشرية بأنواع وطرق كثيرة، مستخدماً كل وسيلة، لعلنا نسمع صوته، ونتقبله فينا، ونتجاوب معه. يقول الوحي الإلهي: "كلمت الأنبياء وكثرت الرؤى وبيد الأنبياء مثلت أمثالا" (هو ١٢: ١٠)، وجاء في المزمور: "إله الآلهة تكلم" (مز ٥٠: ٤٩). ويعلق القديس أغسطينوس قائلاً: [تكلم بطرق كثيرة، فتكلم بنفسه بواسطة ملائكة، ونفسه أيضاً تكلم بواسطة الأنبياء، وتكلم بفمه، وهو يتكلم بنفسه بواسطة مؤمنيه خلال ضعفنا عندما ننطق بشيء من الحق. انظر إذن فإنه يتكلم بطرق متنوعة، وبأوان كثيرة، مستخدماً آلات كثيرة، لكنه هو بنفسه الذي ينطق في كل موضع بالتلامس أو الصور أو الإيحاء!]

## بين الأنبياء والسيد المسيح

إن كان الله الأب تكلم خلال الأنبياء، لكن الأمر يختلف عن حديثه في الأيام الأخيرة معنا في ابنه. وقيل أن نتعرف على الاختلاف نذكر السبب لدعوة العهد الجديد بالأيام الأخيرة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حسناً قال "الأيام الأخيرة"، فإنه بهذا يثيرهم ويشجعهم على الاهتمام بالمستقبل. في موضع آخر يقول: "الرب قريب لا تهتموا بشيء" (في ٤: ٥، ٦)، وأيضاً: "فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين أمنا" (رو ١٣: ١١)، هكذا هنا أيضاً. إذن، ما هذا الذي يقوله؟ الذي يعيش في صراع إذ يسمع كلمة "الأخيرة" يسترد أنفاسه قليلاً عالمًا بحق أن الوقت حان لنهاية أتعابه وبداية راحته.] كما يعلق ذات القديس على نفس النص، قائلاً أن الإنسان يتوقع في الأيام الأخيرة أن العقاب يقترب، والعطايا تقل، والخلاص غير متوقع، لكن ما حدث هو على نقيض ذلك إذ جاءت النعم فائقة.

نعود إلى حديث الأب، فإنه يتحدث بالأنبياء كآلات يستخدمها، أما في الأيام الأخيرة فيحدثنا في ابنه، ليس كآلة خارجة عنه تعلن صوته، إنما هو ذات كلمة الله، الواحد مع الأب. تجسد الابن لكي نقبل الالتقاء معه، حمل الصليب ليهبنا حق الدخول فيه، نازعاً العداوة، وبقيامته صرنا كأبرار، فيه نلتقي مع أبيه أباً لنا، فلا نسمع في الابن صوتاً أو كلمات مجردة، إنما نتقبله فينا ونحن فيه، فنصير واحداً مع كلمة الله، وأعضاء جسده. لم يعد كلام الله مجرد وصايا نتقبلها لنطيعه، وإنما بالأكثر قبول للكلمة الإلهي وثبوت فيه، الذي وحده موضع سرور أبيه، كامل في طاعته له، فنحسب فيه موضع سرور وصايا مرعبة نخشى نيرها لكنها صارت تمتعاً بالكلمة، الذي يهبنا الحياة السماوية وشركة الأبديات في داخلنا. هذا ما قصده بكلماته: "ملكوت الله في داخلكم".

حين تحدث الأنبياء مع الآباء قدموا رسائل إلهية مجيدة، أما وقد تحدث الأب إلينا في ابنه فإنه قدم لنا ابنه ذاته سر حياة وخلص وقيامة! فمن هو هذا الابن الكلمة الذي يقدمه الأب في هذه الأيام الأخيرة؟

## ١. الابن

يقول الرسول: "كلمنا في ابنه" ولم يقل "كلمنا في الأنبياء". فالابن إذ هو واحد مع أبيه يحمل فيه الأب على مستوى فريد ويحويها نحن أيضاً داخله بتقدسينا بدمه، فنلتقي مع الأب فيه، نتعرف عليه وندخل إلى حالة اتحاد معه وشركة فائقة. حقاً لقد كان الروح القدس يهيء الأنبياء لقبول الرسالة الإلهية وتبليغها، لكن لم يكن ممكناً للأب أن يستقر فيهم على مستوى الإتحاد، ولا أن يدخلوا بالبشر إلى أعماقهم ليلتقوا بالأب. الابن الوحيد الجنس هو القادر وحده أن يصلحنا مع أبيه فينا لنبقى معه وبه إلى الأبد.

في دراستنا لرسائل معلمنا بولس الرسول أدركنا الحقيقة اللاهوتية البارزة للإيمان المسيحي، ملخصها "في المسيح". ففيه يعلن لنا الأب ذاته ويحدثنا، وفيه صرنا مؤمنين (أف ١: ١)، وفيه تمتعنا بالاختيار الإلهي (أف ١: ٤)، وفيه نلنا الفداء (أف ١: ٧)، وفيه يجمع السمائيين والأرضيين (أف ١: ١٠)، وفيه نستغنى في كل شيء (١ كو ١: ٥) الخ.

## ٢. الذي جعله وارثاً لكل شيء

يتحدث هنا عن دور التجسد الإلهي، والابن خالق كل شيء أخلى ذاته وصار في شكل العبد حاملاً إيانا فيه، حتى إذا ما ورث كل شيء ببره الذاتي نرث نحن معه وفيه. من أجلنا أخلى ذاته عن أمجاده، تاركاً كل شيء حتى تعرى ودُفن في قبر لغريب، لكي يجد كل واحد منا له موضعاً فيه.

هذا هو دور الابن إذ وهبنا الميراث فيه، أما الأنبياء فكانوا مجرد متحدثين عن الميراث الذي يعده الله لنا، يشيرون إليه دون أن يقدموه ولا حتى نالوه، حتى ينعمون معنا بالمسيح ميراثنا الحق.

## ٣. الذي به أيضاً عمل العالمين

هنا يحدثنا الرسول بوحى من الروح القدس عن سمو المسيح عن الأنبياء دون أن يشير إليهم صراحة، فالأنبياء بشر قبلوا الرسالة الإلهية، وكرسوا حياتهم ليحققها الله بواسطتهم. أما السيد المسيح فهو الخالق، صانع السماء والأرض، وكما يقول القديس يوحنا الحبيب: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو ١: ٣). به تمت الخليقة السماوية والأرضية، وبه أيضاً تتحقق الخلقة الجديدة فينا، فيقيم فينا سماءً جديدة وأرضاً جديدة. وكما يرى القديس أغسطينوس أن السماء إنما تشير إلى النفس، والأرض إلى الجسد، فإن السيد المسيح يجدد نفوسنا وأجسادنا، أي يعيد خلقها، وذلك بروحه القدس في مياه المعمودية.

## ٤. بهاء مجده ورسم جوهره

يرتفع بهم الرسول إلى درجة أعلى ليروا الابن الكلمة الذي به كان كل شيء هو بعينه بهاء مجد الأب ورسم جوهره، ليقدمهم إلي البهاء الذي لا يُقترَب إليه.

هل تعبير "بهاء مجده ورسم جوهره" يقلل من مساواة الابن للأب أو يسيء إلى وحدانيتهما الأزلية؟

يشير تعبير "بهاء مجده" إلى الولادة الأزلية، فلا يمكن أن يقوم النور الأزلي بدون بهائه، فالابن هو النور من النور، أو البهاء الأزلي غير المنفصل عن النور، بل واحد معه. يقول البابا

**أثناسيوس الرسولي:** [من ذا الذي تجرد من العقل حتى يشك في أزلية الابن؟ لأنه من ذا الذي يرى نوراً بغير بهاء أو إشراق!] كما يقول: [إنه غير منفصل عن الأب كما أن البهاء غير منفصل عن النور]. ويقول: [من الذي لا يرى أن البهاء لا يمكن أن يفصل عن النور وإنما بالطبيعة يكون هكذا، شريكاً معه في الوجود، لا يأتي بعده؟!]. وأيضاً: [كيف يكون الابن غير مشابه للأب في الجوهر، وهو صورة الأب الكاملة وبهائه، والقائل: "الذي رأني فقد رأى الأب" (يو ١٤ : ٩)؟ إن كان الابن هو كلمة الأب وحكمته، فكيف يوجد زمان لم يكن فيه الابن هو كلمة الأب وحكمته، فكيف يوجد زمان لم يكن فيه الابن موجوداً؟!]

ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لاحظ بأي وقار يفهم هذا، وعندئذ نتقبله، فإنه (مولود) منه بلا ألم، ليس بأعظم ولا أقل منه]. كما يقول: [إذ يدعو الأب بهذا الاسم (النور) في العهدين القديم والجديد، استخدم المسيح نفس الاسم أيضاً (يو ١٢ : ٤٦)، لذا دعاه بولس أيضاً "بهاء" مُظهراً أنه منه، شريكه في السرمدية]. ويقول: [اسمع أيضاً المسيح نفسه يقول: "أنا نور العالم" (يو ٨ : ١٢) لهذا استخدم كلمة بهاء بمعنى أنه نور من نور؛ لا يعني هذا فقط، وإنما قصد أيضاً أنه ينير نفوسنا ويعلن لنا الأب والابن معاً (أي وحدتهما كوحدة النور بالبهاء)].

إن عدنا إلى المقارنة بين السيد المسيح والأنبياء، نذكر أن موسى النبي في لقائه مع الله انعكس على وجهه بهاء خارجي ومجد حتى لم يقدر الشعب أن يتفرس فيه، فاضطر إلى وضع برقع على وجهه عند الحديث معهم، يرفعه عندما يدخل إلى الحديث مع الله. وكان ذلك رمزاً للسيد المسيح "بهاء الأب" الذي لا يحمل بهاءً خارجياً منعكساً عليه، إنما هو البهاء بعينه غير المنفصل عن الأب، لبس جسدنا كبرقع موسى حتى يمكننا أن نتفرس فيه، فنتعرف على إسرار أبيه، قائلين مع المرتل: "بنورك يا رب نقدر أن نعاين النور"، أي بابنك الوحيد الذي هو بهاؤك نقدر أن نعاين أسرارك ندخل إلي أمجادك السرمدية.

أما دعوته "رسم جوهره"، فكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [تشهد لشخصه أنه منتسب لذات جوهره].

## ٥. حامل كل الأشياء بكلمة قدرته

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الروح القدس يتدرج بالقارئ ليرتفع به على الجبال الشاهقة، جبال معرفة المسيح غير المدركة، فيحدثهم تارة عن الأمور الخاصة بتجسده، ثم يرتفع بهم إلى معرفته كخالق، ويعلو بهم، ليتعرفوا على طبيعته، بكونه بهاء مجد الأب، ليعود فينزل بهم ليدرخوا رعايته لهم بقوله "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"، وهكذا يعلو ويهبط بهم ليدرخوا أسرار المسيح وسماته وأعماله.

هنا يحدثهم الوحي الإلهي عن السيد بكونه حاملاً كل الأشياء، أي ضابط الكل فلا يفلت شيء من تحت رعايته واهتمامه، قريب جداً إلى خليقته يدبر حتى صغائر أمورها. فإن كان الابن هو البهاء الذي لا يُقرب إليه، فإنه في محبته حملنا إليه لنكون فيه، تحت حمايته.

رأينا الوارث لكل شيء، يرث الأمم جميعها لا ليسيطر بالأمر والنهي، وإنما ليسكب حبه ويمسك بيد كل أحد، لكي يقدر الجميع بروحه القدوس مهيباً إيانا للتمتع بشركة ميراثه، هو يورثنا ونحن نملكه فينا يقتنينا ونحن نقنتيه! هذه هي قدرته الفريدة التي بحق تعلن سلطان الحب وقوة الرعاية وإمكانية الخلاص الفائق! وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [عنايته لا تُفسر، وحنانه غير مدرك، وصلاحه يا يُحد، وحبه لا يُستقصى].

## ٦. صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا

كحامل الأشياء بكلمة قدرته تتجلى إمكانياته الإلهية ليس فقط في خلقته إيانا من العدم وتقديم العالم كله لخدمتنا، لكن ما هو أعظم أنه بعد أن فسدت طبيعتنا وتركنا فردوسنا وهربنا من وجه الأب دخل إلينا واقتنصنا بحبه، مقدماً ثمن خطايانا على الصليب، ليدخل بنا إلى ملكوت محبته، ويردنا إلى بيت أبيه وأحضانة الإلهية حاملين صورة خالقنا... إنه يجلس الآن عن يمين العظمة كرئيس كهنة عنا، يشفع فينا لا خلال وساطة الكلام والطلبة الشفوية، وإنما خلال ذبيحة نفسه التي قدمها عنا مرة، وحملنا فيه أعضاء جسده. إنه يشفع بالدم المقدس المبذول لتطهيرنا.

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على رعايته الخلاصية بقوله: [اذكر أن راحتك بخلصك وسروره أعظم من سرورك وأنت هارب من الخطر والموت!]

ويلق أيضاً على قول الرسول: "صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا"، قائلاً: [يليق بنا أن نستمر طاهرين ولا نتقبل أي دنس، بل نحفظ بالجمال الذي أوجده فينا وكماله غير الدنس الطاهر، إذ "لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك" (أف ٥: ٢٧). فإن أصغر الخطايا هي دنس أو غضن، أقصد حتى كلمة الانتهاز أو الشتيمة أو الكلمة الباطلة.]

## ٧. جلس عن يمين العظمة

لقد جلس في الأعالي عن يمين العظمة، لا ليبقى فوق إدراكنا، وإنما لأنه إذ نزل إلينا كواحد منا وصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا صار لنا فيه موضع، ومعه شركة اتحاد، حتى إذ يرتفع نرتفع معه وبه وفيه؛ نجلس حيث هو جالس، متمتعين بشركة المجد الأبدي. ارتفع الرأس حتى لا يبقى الجسد على الأرض إنما يبقى بروحه وقلبه هناك إلى يوم الرب العظيم، فيرتفع الجسد أيضاً لينعم بالمجد!

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [من أجلك يا إنسان هيا الملكوت! ولأجلك أعد خيرات لا توصف، ونصيياً معداً في السماء، وحياة لا مثيل لها، وفرحاً لا يُنطق به.]

## المسيح والملائكة

بعد أن عرض الرسول في اختصار شديد وبقوة عن حديث الأب مع البشرية في ابنه الوحيد في ملء الزمان، والذي لا يُقارن بحديثه مع الآباء العبرانيين خلال أنبياء العهد القديم، انتقل إلى المقارنة بينه وبين الملائكة. فقد افتخر العبرانيون على الأمم بأنهم تسلموا الناموس بيد ملائكة. هذا ما أعلنه التقليد اليهودي، وأكدته العهد الجديد، إذ يقول الشماس اسطفانوس: "أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه" (أع ٧: ٥٣)، ويقول الرسول: "فقد وعد له مرتبا بالملائكة في يد وسيط" (غل ٣: ٩). أما شريعة العهد الجديد فقدتها السيد المسيح للجموع حين تقدم إليه تلاميذه وحدثهم دون أن تظهر ملائكة ولا رافقته علامات فائقة للطبيعة كما حدث عندما تسلم موسى النبي الشريعة على جبل سيناء.

يقارن الرسول بولس بين السيد والملائكة في النقاط التالية:

### ١. عظمتة في النبوة

"صَانِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرَثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ.

لَأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ:

أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ؟

وَأَيْضًا: أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا؟" [٤ - ٥].

لا يوجد مجال للمقارنة بين السيد وملائكته الذين هم عمل يديه وخدامه، لكنه إذ قبل التجسد وظهر في تواضعه كواحدٍ منا أقل من الملائكة أراد الرسول توضيح مركزه: إنه الابن الوحيد الجنس له اسم أفضل منهم.

جاء في سفر الرؤيا: "له اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو" (رؤ ١٩: ١٢). هذه العبارة تكشف عن عجز اللغة البشرية، أي حتى اللغة السماوية عن التعبير عن طبيعة الابن أو علاقته بالأب، فإن دعاه الكتاب "الابن"، فذلك لأن هذه الكلمة هي أقرب الكلمات في التعبير، وإن عجزت عن التعبير كما ينبغي.

بالتجسد نزل الابن إلينا كواحد منا، فصار هناك مجال للمقارنة بينه وبين الملائكة، وإن كان في جوهره يبقى فوق كل مقارنة، يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كان دائمًا أعظم منهم، وفوق كل مقارنة، إنما قيل هذا عنه من جهة الجسد]. كما يقول: [لو كان ابنًا بالنعمة فقط لما كان أفضل من الملائكة بل بالحري أقل منهم. كيف؟ لأن الأبرار أيضًا يدعون أبناء... ولكي يشير إلى الفارق بين المخلوقات وصانعها اسمع ما يقول: "لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابني وأنا اليوم ولدتك"، وأيضًا "أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا".]

ماذا يعني بكلمة "اليوم" إلا كتعبير عن أزليته حيث لا بداية له، فإنه لم يكن هناك زمان لم يكن فيه الابن، إذ هو مولود من الأب قبل الدهور.

## ٢. خضوعهم له

لا مجال للمقارنة بين الابن الجالس على العرش وخدامه الملائكة الساجدين له، وإن كانوا لهيب نار.

"وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:

وَلَتَسْجُدَ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ.

وَعَنِ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلَائِكَتَهُ رِيحًا وَخُدَامَهُ لَهَيْبَ نَارٍ.

وَأَمَّا عَنِ الْإِبْنِ: كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ.

قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ" [٦ - ٨].

يدعو الرسول تجسد الابن الكلمة "دخولاً Eisodus" إلى العالم، وقد تحقق ذلك خلال خروجه Exodus كقول السيد: "خرجت من عند الأب، وقد أتيت إلي العالم" (يو ١٦: ٢٨) كما يقول: "خرج الزارع ليزرع" (مت ١٣: ٣). إنه بحق خروج ودخول، خروج إرادي من أمجاده،

ودخول إلى حياتنا لكي يضم إليه طبيعتنا وحياتنا، فيخرج بنا من عالمنا ويدخل بنا إلى حضن أبيه. يشبه القديس يوحنا الذهبي الفم هذا العمل بالإنسان الهارب من القصر الملوكي وألقى القبض عليه واقتيد إلى السجن، فخرج إلينا الابن من قصره ودخل إلى سجن جسدنا ليتحدث معنا في أمر المصالحة مقدماً ثمن خطايانا، عندئذ ينطلق بنا من السجن ليدخل بنا إلى القصر من جديد.

إذن حركة الدخول والخروج التي قام بها الابن الوحيد الجنس خلال تجسده وصعوده، أي خلال أعماله الخلاصية إنما هي حركة حب متدفقة نحو الإنسان، غايتها خروجه مما توقع فيه ودخوله إلى حضن الأب خلال ثبوته في الابن.

إن كان اليهود يفتخرون بالملائكة، لأن الناموس قد أسلم إليهم بيد ملائكة، لكن لم يكن ممكناً لملاك أن يحقق هذا الدخول إلى العالم ليهب الإنسان دخولاً إلى الأحضان الإلهية. لقد خدم ملائكة مؤمنين وقدموا لهم رسائل إلهية مفرحة، لكنها تعجز عن أن تحقق الخلاص. وكما جاء في القديس الاغريغوري: "لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا كاروباً ولا نبياً انتمنته على خلاصنا، بل أنت وحدك تجسدت وتأنست".

حبه الإلهي الذي أدخله إلينا كواحد منا لم يقلل من كرامته أمام الملائكة، إذ يقول الرسول: " وَأَيْضاً مَتَى أُدْخِلَ الْبَكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ " الملائكة الذين قدموا لرجال العهد القديم إمكانية السجود لله، إذ جاءوا إليهم برسائل إلهية تسندهم هؤلاء أنفسهم يسجدون للابن. وكما يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [بينما كان الآباء البطارقة يسجدون له، فعن الملائكة كتب: "ولتسجد له كل ملائكة الله".]

دخوله إلى العالم لم يمس لاهوته ولا نزع سجود الملائكة له، وإنما أعطى الإنسان كرامة، إذ لم يقل الرسول "متى أدخل الابن"، بل يقول "متى أدخل البكر". دخل إلى العالم بكرًا لنا، يعمل لحسابنا وباسمنا، يراه الملائكة حاملاً طبيعتنا فيه، بل حاملاً مؤمنيه كأعضاء جسده فيندهشون. يسجدون له بكونه خالقهم ويسبحون متهللين من أجل عمله معنا! يرون في بكوريته بالنسبة لنا إعلان حب فائق نحو خليقته. تجسده وصلبه وقيامته وصعوده فتح مجالاً جديداً لسجود الملائكة، إذ كشف لهم عن أعماق حب لم تكن بالنسبة لهم مدركة هكذا. أعطاهم معرفة جديدة عن أسرارهم سحبتهم للسجود والتسبيح!

ولئلا يظن السامعون أن الرسول يقلل من شأن الملائكة أكد: "وَعَنِ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلَائِكَتَهُ رِيحًا وَخَدَامَةً لَهَيْبِ نَارٍ... هذا عن سمو الملائكة، أما عن الابن فلا وجه للمقارنة: "وَأَمَّا عَنِ الْإِبْنِ: كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيْبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيْبُ مُلْكِكَ". هؤلاء خدام لكنهم لهيب نار سماوي، أما هو فملك صاحب سلطان. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [انظر كيف يميز بوضوح عظيم بين الخليقة والخالق، الخدام والرب، الابن حقيقي الوارث والعبيد.]

يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [لاحظ هنا أن كلمة "الصانع" تخص أموراً أصيلة (الخلق). يدعو الملائكة خليفة، أما عن الابن فلا يتحدث عنه كخليقة أو كائن جاء إلى الوجود، وإنما يتحدث عن سرمديته وملوكيته ووظيفته التدبيرية.] كما يقول: [لقد أظهر أنه آخر غير كل ما قد خلق، فإن كان هو آخر ومختلف عنهم تماماً في الجوهر عن طبيعتهم، فأية مقارنة لجوهره يمكن إقامتها، وأي شبه له فيهم؟!]

السيد المسيح الجالس على الكرسي إلى الأبد، والمسجود له من القوات الملائكية، يملك على الشعب بالحب. إنه البار وحده، الذي بلا خطية، قد مسح منذ الأزل من قبل الأب لتحقيق الخلاص خلال تجسده وحياته بيننا وتقديم نفسه ذبيحة حب عنا. هنا تلتحم إرادته الإلهية مع تقواه الشخصية لتحقيق غايته فينا:

"أَحْبَبْتَ الْبَرَّ، وَأَبْغَضْتَ الْإِثْمَ،

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ" [٩].

إذ نادى بعض البدع الغنوسية بقسوة إله العهد القديم خالق الجسد، ولطف إله العهد الجديد الذي أراد تخليص البشرية من يد الأول لهذا أكد الرسول بولس دور الأب في الخلاص بكونه قد مسح ابنه الوحيد لهذا العمل الخلاصي. أكد وحدانية العمل بين الأب والابن، ودورهما الإيجابي في الخلاص. ففي أكثر من موضع يؤكد أن الأب يحبنا كما الابن، وأنه أرسل ابنه الوحيد، وهو الذي بذله عنا، وأقامه ليقمنا فيه.

ليته لا يتعثر أحد حين يسمع الرسول يؤكد هذا، ظاناً أن في الابن عجزاً في الحب أو في التجسد أو القيامة... إنما أراد الرسول تأكيد دور الأب في عمل الابن الخلاصي.

مسحه بزيت الابتهاج أي تكرر الابن لهذا العمل المبهج للأب والبشرية أيضاً. حقاً لقد صار بتأسسه شريكاً لنا في طبيعتنا، لكنه كان ولا يزال الفريد في برّه وبغضه للإثم، إذ لم يعرف الخطية، لهذا فهو وحده القادر أن يتم عمل الخلاص المبهج. في الابن ابتهاج الأب إذ رآنا أولاداً له متبررين ومقدسین فيه، وفيه أيضاً نبتهاج نحن إذ نرى الأب أبانا القدوس فاتحاً أحضانه الأبوية لنا!

٤. أبعده

في مقارنته بين السيد المسيح وملائكته أوضح الرسول أن السيد هو الخالق الأبدي، فالعالم المنظور يزول وينتهي أما هو فيبقى إلى الأبد:

"وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ،

هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثُوبٌ تَبْلَى"،

وكرداء تطويها فتتغير،

ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.

ثم لمن من الملائكة قال: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك مواطناً لقدميك؟

أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟! [١٠-١١].

إنه خالق السماء والأرض، موجد الكائنات السمائية والأرضية، فلا وجه للمقارنة بين الخالق وخليقته حتى الملائكة.

الابن الخالق مولود من الأب قبل الدهور من الأزل، لم يكن هناك زمان ليس فيه الابن، هو موجد الكل فلا يتغير، أما الخليقة إذ وُجدت من العدم قابلة للتغير. يقول البابا أنثاسيوس الرسولي: [صارت (الخليقة) إلى الوجود بعد العدم، لها طبيعة متغيرة؛ أما الابن إذ هو من الأب، فعدم التغير أو التبديل يليق بطبيعته كما الأب نفسه.]

إنه مؤسس الأرض وخالق السماء، الذي لا يتغير، يغير الآخرين ويبقى هو إلى الأبد. طبيعته هذه تسندنا من جانبيين: أولاً أنه قادر أن يحقق مواعيده لنا بكونه الوحيد غير المتغير. ومن الجانب الآخر نحن نتغير إن سلمنا حياتنا بين يديه. كاله يجدد ولا يتجدد، لأنه لا يشيخ ولا يقدم، ونحن كبشر نرتمي بين يديه فيجدد طبيعتنا وحياتنا.

إنه الأبدي الغالب لأعدائه، إبليس وجنوده، إذ يقول: "ثُمَّ لَمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعُ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ؟" لا تنعم طغمة سماوية بهذه الغلبة الأبدية، إنما السيد المسيح يُخضع قوات الظلمة تحت قدميه، ويتحقق كمال ذلك بخضوعها تحت قدمي عروسه، فقد أعطانا نحن أيضاً سلطاناً أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوة العدو، حتى كل نصره تتحقق في حياتنا إنما هي لمجد اسمه القدوس. وإذ نملك مع ملكنا تتحطم مملكة إبليس تماماً! كان هذا الوعد الذي يقدمه الأب لابنه إنما قدمه له كمثل لنا، وكرأس، فيه ينعم الجسد بإمكانيات فائقة.

هذه الغلبة التي لنا في المسيح يسوع، وهذه النصر الأبدية تثير فرح الملائكة وبهجتهم بنا كعروس مقدسة، لذا يشتهون خدمتنا، ويفرحون بيوم خلاصنا. خدمتهم لنا ليست خدمة من هم أقل منا، إنما هي خدمة الحب، خدمة الخليقة السماوية التي تفرح بالأرضيين حين ينعمون بالشركة معهم في حياتهم السماوية. هذا ما عناه الرسول بقوله: "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرْتَوْا الْخَلَاصَ؟" [١٤].

هنا لا يتجاهل الرسول تقديرنا لرسالة الملائكة ودورهم كخدام مرسلين للعمل لحسابنا، نحن الذين دُعينا لثرت الخلاص. إن كان السيد المسيح هو مخلصنا، فالملائكة خدامه يخدموننا من أجل مسرته ومسرتهم بنا.

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على كلمات الرسول هذه: [إنهم خدام ابن الله، مرسلون بطرق كثيرة من أجلنا، ويخدمون خلاصنا. هكذا هم شركاء في الخدمة معنا.] كما يقول: [حسناً، لقد أرسل الابن أيضاً، لكنه ليس بكونه عبداً ولا خادماً إنما هو الابن الوحيد له ذات مشيئة الأب. لم يُرسل بكونه قد عبر من موضع إلى آخر، إنما بكونه أخذ جسداً، أما هؤلاء فيغيرون مواضعهم، يتركون المواضع التي كانوا فيها ليرسلوا إلى مواضع أخرى لم يكونوا فيها.]

تحدث العلامة أوريجينوس كثيراً عن الملائكة وعملهم معنا، فمن كلماته: [خلال فترة عدم الإيمان يكون الإنسان تحت سيطرة ملائكة الشياطين، أما بعد التجديد (في الجرن) فيعيّن لنا ذاك الذي يخلصنا بدمه ملاكاً مقدساً ينظر وجه الله بطهارته]، كما يقول: [لكل نفس بشرية ملاك يقودها كأخ.]

يقول البابا أنثاسيوس الرسولي عن الملائكة: [إنهم ينشرون هبات الله خلال الكلمة للذين يقبلونهم.]

- ١ الله بعدما كلم الالباء بالانبياء قديما بانواع و طرق كثيرة
- ٢ كلمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به ايضا عمل العالمين
- ٣ الذي و هو بهاء مجده و رسم جوهره و حامل كل الاشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الاعالي
- ٤ صائرا اعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما افضل منهم
- ٥ لانه لمن من الملائكة قال قط انت ابني انا اليوم ولدتك و ايضا انا اكون له ابا و هو يكون لي ابنا
- ٦ و ايضا متى ادخل البكر الى العالم يقول و لتسجد له كل ملائكة الله
- ٧ و عن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحا و خدامه لهيب نار
- ٨ و اما عن الابن كرسيك يا الله الى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك
- ٩ احببت البر و ابغضت الاثم من اجل ذلك مسحك الله الهك بزيت الابتهاج اكثر من شركائك
- ١٠ و انت يا رب في البدء اسست الارض و السماوات هي عمل يديك
- ١١ هي تبيد و لكن انت تبقى و كلها كثوب تبلى
- ١٢ و كرداء تطويها فتنغير و لكن انت انت و سنوك لن تفنى
- ١٣ ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطنا لقدميك
- ١٤ اليس جميعهم ارواحا خادمة مرسله للخدمة لاجل العتيدين ان يرثوا الخلاص

## الأصحاح الثاني

### المسيح والملائكة

يكمل الرسول بولس حديثه عن السيد المسيح والملائكة:

١. كلمة الملائكة والخلاص الإلهي ١ - ٤.

٢. تواضع المسيح عن الملائكة ٥ - ١٨.

١. كلمة الملائكة والخلاص الإلهي

ختم الرسول حديثه السابق بقوله: "لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نُنَبِّئَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لِيَأْتِيَ نَفُوتَهُ" [١]. وكأنه يؤكد لنا أن حديثه السابق ليس حديثاً نظرياً فيه يعلن أمجاد الابن إن قورن بالملائكة، إنما هي فرصة للنفع الروحي العملي في حياتنا. فإن كان اليهود يفتخرون بكلمة الناموس التي وهبت لهم خلال إرساليات ملائكية، وهي بحق كلمة الله، وقد صارت ثابتة، من يعصاها يسقط تحت العقاب، فكم بالأكثر من يهمل خلاصاً هذا مقداره، تسلمناه لا بيد ملائكة، إنما في خالق الملائكة نفسه، ربنا يسوع الابن الوحيد؟!!

"لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلَائِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً،

وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً،

فَكَيْفَ نُنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مِقْدَارُهُ،

قَدْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ،

ثُمَّ تَثَبَّتْ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا،

شَاهِدًا لِلَّهِ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقَوَاتٍ مُتَّوَعَةٍ

وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ،

حَسَبَ إِرَادَتِهِ؟" [٢-٤].

في هذا الحديث لم يقارن الرسول بين كلمة الملائكة والكلمة الإلهية، لأن الكلمة التي تكلم بها ملائكة ما هي إلا كلمة الله مرسله بواسطتهم، إنما المقارنة هنا بين الكلمة التي أرسلت بواسطتهم خلال الألفاظ والرؤى والإعلانات، وبين الكلمة ذاته وقد جاء بنفسه متجسداً ليعلن الخلاص عملياً في كماله. إن كانت الكلمة الإلهية المسلمة في العهد القديم لها قدسيته وقوتها إلى اليوم فلا يعصاها أحد، فكم بالأكثر الكلمة الإلهية التي تثبتت بمجيء الكلمة ذاته ليخلصنا بدمه، مؤكداً لنا حقيقة تأنسه بالآيات والعجائب والقوات المتنوعة ومواهب الروح القدس. وكان الرسول أراد بمقارنته هذه أن يدفعنا إلى المثابرة في الطاعة لكلمة الله الحي.

## ٢. تواضع المسيح عن الملائكة

إن كان اليهود يفتخرون بأن ناموسهم قد سلم إليهم بيد ملائكة، فإن شريعة العهد الجديد قد أعلنت خلال تجسد الابن وآلامه حتى الموت موت الصليب، الأمر الذي به ظهر كأنه أقل من الملائكة. لكن هذا ليس ضعفاً بل في أعماقه يمثل الطريق الوحيد للتقديس، أي إعادة الإنسان المساقط إلى المجد السماوي. كأن تواضع السيد عن الملائكة هو طريق خضوع العالم لله، خضع كنيابنا عنا ورأسنا، فيرتفع المؤمنون به وفيه إلى المستوى السماوي. لهذا يقول الرسول: "فإِنَّهُ لِمَلَائِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ الْعَالَمَ الْعَتِيدَ الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ" [٥]. ماذا يعني بالعالم العتيد إلا البشرية المتجددة في المسيح يسوع، هذه التي صارت عالماً جديداً أو عالماً على مستوى "العتيد" أي "المقبل". هذا العالم لم يخضع لله في طاعة له خلال الناموس المسلم بيد ملائكة، وإنما خلال المسيح الذي فيه حُسبنا مطيعين للأب. إن كان المسيح قد دُعي بالآتي (رو ٥ : ٤) بمقارنته بآدم الأول، فقد صارت الكنيسة المتحدة به، جسده المقدس، العالم الآتي (العتيد) خاضعة لله أبيها.

إن، تواضع المسيح عن الملائكة حقق ما لم يكن ممكناً للملائكة تحقيقه، فقد خضع العالم، من يهود وأمم، لملكوته وصار الكل كنيسة الله المطيعة. ولعل كلمات الرسول هنا جاءت في مقابل الفكر اليهودي الذي كان سائداً بأن الله قد سلم العالم لملائكته لحفظه، فاختص رئيس الملائكة ميخائيل بالشعب اليهودي، بينما كان لكل أمة ملاكها الخاص. لكن السيد المسيح وقد صار بالتجسد كمن هو أقل من الملائكة حفظ الجميع دون تحيز لأمة معينة، ليس على مستوى الحفظ الجسدي أو نوال بركة أرضية، وإنما أعاد تجديد العالم فجعله "عالمًا عتيدياً"، مقدماً عملاً إلهياً فريداً في نوعه.

يليق بنا نحن أيضاً وقد دخلنا إلى عضوية هذا العالم العتيد باتحادنا مع الابن المتواضع، في مياه المعمودية، أن ندرك أن كل عضو فينا أيضاً قد صار عالماً عتيدياً، فإذ تتحد الروح والنفس والجسد بكل طاقاتهم وأحاسيسهم وإمكانياتهم الداخلية والظاهرة، يصير الإنسان عالماً عتيدياً أي عالماً أخروياً يعيش على مستوى سماوي، عروساً للمسيح السماوي!

في أكثر وضوح يتحدث الرسول بولس عن تواضع المسيح كطريق فريد في خضوع العالم لله، سواء على مستوى جميع الأمم أو على مستوى الإنسان في كليته، قائلاً:

"لَكِنْ شَهِدَ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ قَائِلاً:

مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ، أَوْ ابْنُ الْإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟

وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ،

بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّتْهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ.

أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

لَأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَثْرِكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ،

عَلَى أَنَّنَا الْآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدَ مُخْضَعًا لَهُ،

وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعُ،

نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ مِنْ أَجْلِ أَلْمِ الْمَوْتِ

لِكَيْ يَدُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" [٦-٩].

اقتبس الرسول كلمات المرثلة النبوية: "من هو الإنسان حتى تذكره، أو ابن آدم حتى تفتقده، وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلمه، تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه" (مز ٨: ٤-٦)، ويكمل المزمور "الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر أيضاً، وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه" (مز ٨: ٧-٨).

يرى الرسول بولس أن كلمات المرثلة كلمات نبوية تتحدث عن الابن المتجسد الذي تواضع قليلاً عن الملائكة، خلال هذا التواضع تسلط روحياً على الخليقة التي هي عمل يدي الله، مجدداً إياها. ويرى القديس أغسطينوس أن المزمور هنا يشير إلى خضوع الخليقة كلها على المستوى السماوي والبشري لابن المتجسد. وكأنه في هذا يتفق مع العلامة أوريجينوس الذي يرى أن السيد وقد تواضع وحد السمايين مع الأرضيين، الطغمة الملائكية مع بني البشر، ليضم الكل كأعضاء في جسد واحد له. فهو رأس الكنيسة التي جمعت السماء مع الأرض بروح واحد!

يقول المرثلة إنه قد خضع له الغنم والبقر جميعاً، فإن كان آدم يمثل الخروف الضال الذي من أجله ترك الله التسعة والتسعين ل يبحث عنه، فإن التسعة والتسعين إنما يشيرون إلى الخليقة السماوية التي تملأ السماء، فقد نزل السيد إلينا متجسداً كمن ترك الأبرار ل يبحث عن الخروف الضال ويرده إلى القطيع، فيجتمع بأخوته السمايين معاً، يشتركون معاً في التسبيح والشكر. لقد تحدث العلامة أوريجينوس كثيراً عن خلطة السمايين بالمؤمنين في المسيح يسوع، حتى قال إنه إذ يجتمع المؤمنون معاً في كنيسة الله تفرح الملائكة وتتهلل، لأنها تجتمع هي أيضاً، حيث يلتقي الملائكة والمؤمنون معاً. فتكون هناك كنيسة منظورة مجتمعة معاً وكنيسة ملائكية غير منظورة مجتمعة معاً أيضاً! إننا نشاركهم تسابيحهم العلوية، وهم يشاركوننا فرحنا بالخلاص الإلهي!

يقول المرتل أن الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر وطيور السماء وأسماك البحر يخضعون لذاك الذي في تواضعه صار كمن هو أقل من الملائكة. ماذا يعني الغنم والبقر إرمزاً للقطيع الناطق، الشعب القديم الذي قبل بعباده الخضوع لمملكة المسيح الروحية وسيقبل بقية القطيع هذا الخضوع، بينما بهائم البرية يشير إلى جماعات الأمم التي عاشت كمن في البرية، محرومة من المراعي التي تمتع بها شعب الله مثل الناموس والأنبياء والوعود والعهود الخ.، طيور السماء تشير إلى النفوس المتعجرفة هانمة في الأمور العالية فإنها بروح الحب تخضع للسيد، بينما أسماك البحر تشير إلى النفوس المرتبكة بهموم الحياة كمن يسلك في وسط الأمواج. هكذا جاء كلمة الله متجسداً لكي يفتنص في شبكة محبته كل إنسان: اليهودي والأممي، المتكبرين والمحطمين!

ما نقوله عن العالم الخارجي يتحقق أيضاً في العالم الداخلي فإن وجدنا في داخلنا قطيعاً من الغنم أو وحوشاً مفترسة، طيوراً تهيم في الجو أو أسماكاً تسبح في المياه، فلنسلمها لذاك الذي وحده له السلطان أن يخضعها لملكوته، مقدساً أعماقنا الداخلية وتصرفاتنا الخارجية لتصير كلها لحسابه.

على أي الأحوال تواضع السيد حتى موت الصليب هو طريق الملكوت، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [افتقدنا ابن الله حين كنا لا شيء، وإذ حمل ما لنا (ناسوتنا) ووحده بنا، صار أعظم من الكل]. هذا هو طريق خضوعنا لملكه، فكنايب عنا خضع بإرادته للآب حاملاً الآلام حتى الموت، فصرنا خاضعين لأبيه، وله أيضاً. خضوعنا الآب إنما خلال خضوع الابن له، ويتحقق خلال خضوعنا نحن أيضاً للابن، غير أنه يوجد فارق بين خضوعنا نحن للآب والابن، وخضوع الابن نفسه لأبيه.

يليق بنا أن نميز بين أنواع مختلفة للخضوع خاصة في عبارة الرسول بولس: "وبعد ذلك متى سلم المَلِكُ لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة، لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه، آخر عدو يبطل هو الموت، لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أخضع، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل، ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل" (١ كو ١٥ : ٢٤ - ٢٨).

في هذه العبارة يميز الرسول بين ثلاثة أنواع من الخضوع: خضوع الهزيمة الكاملة التي تتحقق في يوم الرب العظيم حيث يخضع إبليس وجنوده وينهدم الموت تماماً تحت قدمي السيد، وخضوع طاعة الخليفة لخالقها حيث تنعم باكليلها الأبدي، أما ما هو أعظم وأسمى فهو خضوع الابن لأبيه على مستوى فريد.

لقد تحدث القديس أمبروسيوس باستفاضة عن خضوع الابن لأبيه مؤكداً أنه يختلف تماماً عن خضوعنا للإمبراطور أو الملك، أو خضوعنا لكل ترتيب بشري من أجل الرب (١ بط ٢ : ١٣)، أو خضوع الزوجة لرجلها (أف ٥ : ٣)، أو خضوعنا نحن للآب في خوف المسيح.

يخضع السيد المسيح للآب من جانبين: الجانب الأول أنه كابن واحد مع الآب في اللاهوت لا يحمل إرادة مخالفة للآب، بل ذات إرادة الآب، يخضع لا كعبد مأمور وإنما كابن وحيد الجنس يحمل إرادة واحدة مع أبيه. ومن الجانب الآخر، إذ حمل طبيعتنا البشرية وصار ممثلاً لنا، خضع في طاعة كاملة لأبيه لنحسب فيه أبناء طاعة، وتنزع عنا طبيعة العصيان التي ورثناها عن آدم الأول.

وقد لاحظ القديس أمبروسيوس أن خضوع الابن لأبيه يتحقق في المستقبل كقول الرسول:  
"فحينئذ الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له الكل" (١ كو ١٥ : ٢٨)، فهل لا يخضع الابن  
للآب حالياً؟ [لم يخضع المسيح (بكل كنيسته) بعد لأن أعضاؤه لم تجلب بعد للخضوع... لكن  
حينما نصير ليس أعضاء كثيرين بل روحاً واحداً، عندئذ يخضع هو أيضاً خلال خضوعنا نحن.]

كأن خضوع الكنيسة كلها حين تكتمل بأعضائها في يوم الرب العظيم بروح واحد هو خضوع  
جسد المسيح للآب خلال الرأس فيحسب المسيح خاضعاً لأبيه فينا!

بمعنى آخر، السيد المسيح كرأس خاضع لأبيه منذ الأزل، قبل التجسد، لكنه إذ قبل المؤمنين به  
جسداً له يخضع له فينا، أو نخضع نحن للآب باسم ابنه ولحسابه وإمكانياته.

هذا هو غاية التجسد الإلهي، خلاله صار الابن متواضعاً كأقل من الملائكة، لكي يجلب المؤمنين  
إلى الآب بالخضوع. الأمر الذي تحقق جزئياً ويبقى عاملاً خلال أعماله الخلاصية. وكما يقول  
الرسول: "عَلَى أَنَّنَا الْآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدَ مُخْضَعًا لَهُ. وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ،  
يَسُوعُ، نَرَاهُ مُكَلَّلًا بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ  
وَاحِدٍ".

ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على العبارة الرسولية السابقة، قائلاً:

[إن كان يجب أن تخضع كل الأشياء له، لكنها لم تخضع بعد، فلا تحزن ولا تضطرب.]

[يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد، وليس لأجل المؤمنين فقط، وإنما من أجل العالم كله.  
حقاً لقد مات عن الجميع، ولكن ماذا إن كان ليس الجميع قد آمنوا؟ لقد تم ما هو من جانبه!]

[قال بحق: "يذوق الموت لأجل كل واحد"، ولم يقل "يموت"، كما لو كان بالحقيقة يتذوق  
الموت حيث قضى فيه زماناً قصيراً حتى قام.] أما علة تذوقه الموت لأجل كل واحد منا فهو  
دخوله إلى الموت قدام كل واحد منا حتى لا نرهب الموت بعد. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:  
[كما أن الطبيب وهو في غير حاجة إلى تذوق الطعام المعد للمريض، لكنه من أجل اهتمامه  
بالمريض يتذوقه أولاً ليحسبه على التناول منه بثقة، هكذا كان كل الناس يهابون الموت، فلما  
يشجعهم ضد الموت تذوقه (السيد) بنفسه، وإن كان ليس في حاجة إليه، إذ يقول: "رئيس هذا  
العالم يأتي، وليس له في شيء" (يو ١٤ : ٣٠).]

هذا وقد علق القديس نفسه على قول الرسول: "وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ" قائلاً أن السيد  
تواضع عن الملائكة قابلاً للموت لكنه تواضع قليلاً، أي لمدة ثلاثة أيام حيث قام معلناً مجده، أما  
نحن فقد سقطنا تحت سلطان الموت زماناً طويلاً بسبب الخطية حتى جاء من أقامنا منه.

بعد أن تحدث عن دور الابن في خلاصنا خلال تجسده وآلامه أوضح دور الآب، قائلاً: "لأنه لا يقدر  
بذلك الذي من أجله الكُلُّ وبِهِ الكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمَّلَ رَئِيسَ خَلَاصِهِمْ  
بِالْآلَامِ" [١٠]. وللقديس يوحنا الذهبي الفم تعليق رائع على هذه العبارة، حيث يقول: [إنه  
يعمل ما يليق بحبه للبشرية، مقدماً ابنه البكر أكثر مجداً من الجميع، إذ يعلنه كمثل الآخرين،  
كمجاهد شريف يفوق الكل. إنه رئيس خلاصهم، أي علة خلاصهم. لاحظ الفارق بينه وبيننا،  
فهو ابن ونحن أبناء لكن هو يخلص (الآخرين) أما نحن فنخلص... انظر كيف يفصل بينه  
وبيننا، قائلاً: وهو آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ.]

إن كان الابن الوحيد الجنس قد وُضع قليلاً عن الملائكة لكي يكلل بالمجد والكرامة خلال خلاص كل واحد منا بآلامه المخصصة، فإن هذا العمل لا يخص الابن وحده، بل هو عمل الآب أيضاً الذي قدم لنا ابنه كقائد خلاصنا، باذلاً إياه بالآلام حتى الموت ليحقق خلاصنا ويهبنا في ابنه البنوة له، وكأن الآب يعمل فينا بالآلام ابنه لنتمتع بمجد البنوة له.

بمعنى آخر إن كان الآب قد أوجدنا بابنه، إذ "به كان كل شيء، وبغيره لم يكن شيء مما كان"، فإن تجديد خلقتنا وخلاصنا من الإنسان العتيق الفاسد الإيمان حققه بابنه أيضاً خلال آلامه. يقارن القديس يوحنا الذهبي الفم بين العمل الإلهي في الخلق والعمل الإلهي في تجديدنا، قائلاً: [الآلام هي تكميل Perfecting الخلاص وعلته... لقد قبل الجسد ليحتل الآلام وهذا أعظم بكثير من خلقته للعالم من العدم. حقاً إن عمل الخلق هو من قبيل حبه المترفق، لكن العمل الآخر (الخلاص بآلامه) فهو أعظم من ذلك بكثير، هذا ما أشار إليه الرسول بقوله: "ليظهر في الدهور الآتية غني نعمته الفائقة لصلاحه، أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٧، ٦).]

نعود إلى تواضع الابن بقبوله التجسد، ودخوله إلى الآلام من أجل خلاصنا، والدخول بنا إلى ملكوته، ليتمجد فينا وننعم نحن بشركة أمجاده، أما السبب الثاني لتجسده أو تواضعه قليلاً عن الملائكة فهو صيرورته أخاً بكرًا لنا، يحل في وسطنا بكوننا إخوته الأصاغر، فنلتحم به بكونه القدوس لنصير فيه مقدسين. لهذا يكمل الرسول، قائلاً:

"لأنَّ الْمُقَدَّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ،

فَلِهَذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوهُمْ إِخْوَةً،

قائلاً: أَخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ اسْبَحْكَ" [١١-١٢].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [انظر أيضاً كيف جلبهم معاً (المؤمنين والسيد المسيح)، مكرماً إياهم واهباً إياهم راحة، إذ يجعلهم إخوة المسيح... لكن هو يقدس وهم يتقدسون، عظيم هو الفارق بينهم].

إنه لا يستحي أن يدعوهم إخوة، فإنه إذ التحف بالجسد إنما التحف بالأخوة لهم، واهباً إياهم إمكانياته الإلهية ليمارسوا الحياة المقدسة فيه. وكما يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [بالتجسد الإلهي صرنا مشابهين إياه من جهة الجسد، صرنا أغصاناً في الكرمة، متحدين به، متمتعين بملئها (يو ١: ١٦). بهذا تقدس جسدنا الذي كان قبلاً ميتاً وفاسداً، إذ صار له حق القيامة والخلاص خلال إخوتنا بالسيد المسيح الحامل لجسدنا!]

في شيء من التفصيل نقول أن الابن الكلمة إذ صار جسداً، صار أخاً بكرًا لنا، لا يستحي أن يدعونا إخوة له، لأنه فيما هو نزل إلينا إذ به يرفعنا إليه. هو أخذ جسدنا الذي على شبه جسد الخطية، لكن لم يكن ممكناً للخطية أن تقترب إليه، إنما رفعنا نحن الخطاة إلى قداسته: "لأنَّ المقدس والمقدسين جميعهم من واحد". صرنا أعضاء في جسده فنحمل العضوية في جسده المقدس، لنا شركة سماته الفائقة.

بمعنى آخر، تواضع السيد عن الملائكة، أي تجسده فتح لنا باب الأخوة له، وصار لنا بآلامه وقيامته حق التمتع بروحه القدوس ساكناً فينا، هذا الذي يأخذ مما للمسيح ويخبرنا، أي يأخذ سماته المقدسة ليسكبها فينا، لنصير مقدسين فيه. بهذا العمل الإلهي نتعرف على الآب القدوس

بكونه أبانا السماوي وندرك أسرارهِ الإلهية غير المدركة. فينطلق لساننا الداخلي بالتسبيح والحمد. بهذا يناجي الابن الوحيد أباه القدوس، قائلاً: "أخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسْطِ الْكَنِيسَةِ أَسْبِّحُكَ" [١٢]. الإخبار هنا ليس بمجرد الكلام، إنما خلال العمل حيث يدخل بنا الروح القدس إلى الإتحاد مع الأب في ابنه فننتعرف على الاسم القدوس. والتسبيح ليس مجرد ألفاظ ننطق بها وإنما بتمتعنا بالعضوية الكنسية وإتحادنا بالمسيح رأس الكنيسة يصير التسبيح طبيعة داخلية. كل ما في داخلنا يلهج فرحاً وبترنم بالحمد لذلك الذي قدم لنا هذا العمل الخلاصي العجيب!

يكمل الرسول حديث الابن مع الأب القدوس هكذا:

"وَأَيْضًا: أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ،

وَأَيْضًا: هَا أَنَا وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ اللَّهُ" [١٣].

كنايب عن البشرية وكأخ بكر للمؤمنين اتكل الابن في طاعة للأب، فُنحسب نحن جميعاً أبناء طاعة لله بعد أن كنا عبيداً عصاة. يدخل بنا الابن إلى حضن أبيه خلال طريق طاعة الابن لأبيه، طاعة الحب الفريد، طاعة الإرادة الواحدة مع أبيه، الأمر الذي تعجز كل الخليقة أن تعبر إليه بدون الابن. والعجيب أنه وهو يقدمنا لأبيه أبناء طاعة له، يقدمنا أيضاً كأبناء طاعة للابن نفسه، لأنه ما كان يمكننا أن نطيع الأب ما لم ندخل في الحياة الجديدة التي لنا في الابن مطيعين له. طاعتنا للأب إنما خلال طاعتنا للابن فاتح طريق الطاعة! خلال هذه الطاعة التي صارت لنا نحو الابن، أصبح الابن ليس أخاً بكرًا فحسب وإنما أباً أيضاً، إذ يقول الرسول على لسان السيد: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" ويلق القدوس يوحنا الذهبي الفم على ذلك، قائلاً: [هنا يظهر نفسه أباً كما أظهر نفسه قَبلاً أخاً.]

أخوته لنا وأبوتته تعلنان شركتنا فيه لكي ننعم بالغبلة على الموت الذي ساد علينا، وذلك بقبوله الموت عنا، فبموته أمات موتنا، يقول الرسول: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ، اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ، ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُ إِبْلِيسَ" [١٤].

إذن تواضع المسيح عن الملائكة هو طريق تمتعنا بملكوته الإلهي، وهو طريق خلاصنا خلال أخوة السيد المسيح لنا وأبوتته أيضاً، أخيراً فإن هذا التواضع كان الباب للدخول إلى الموت لكي يبيد سلطان الموت أي إبليس محرراً إيانا. وكما يقول القدوس يوحنا الذهبي الفم: [هنا يشير إلى ما هو عجيب، فقد انهزم إبليس بذات الأمر الذي به هزمنا، بالسلاح القوي ضد العالم أي الموت، ضربه به المسيح. بهذا ظهرت عظمة الغالب! أترى أن ترى أي صلاح عظيم جلبه الموت؟ يقول الرسول: "وَيُعْتَقَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" [١٥]. لماذا ترتجفون لماذا تخافون من صار كلاً شيء! لم يعد بعد (إبليس أو الموت) مرعباً، إنما صار تحت الأقدام، محتقراً تماماً.]

هذا هو غاية التجسد الإلهي، يحمل جسدنا لكي بموته يميت موتنا، واهباً إيانا قوة الخلاص والقيامة الأبدية. يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [صار إنساناً في جسد خلاصنا، لكي يكون لديه ما يقدمه عنا خلاصاً لجميعنا.]

يلق القدوس أمبروسيوس على العبارة الرسولية التي بين أيدينا قائلاً:

[من هو هذا الذي يريدنا أن نشاركه في لحمه ودمه؟ إنه بالتأكيد ابن الله! كيف صار شريكاً لنا  
إلا باللحم، وكيف كسر قيود الموت إلا بموته الجسدي؟ فإن احتمال المسيح للموت أمات  
الموت.]

كنا جميعاً تحت العبودية، ليس منا من له سلطان أن يدوس على الموت ولا أن يتحرر من أسر  
إبليس، لذا جاء القادر وحده أن يدخل إلى طريق الموت ويقوم، فيقيمنا معه متحررين من  
العبودية. حطم حكم الموت علينا ومزقه، وأفسد سلطان إبليس علينا، واهباً إيانا حرية القيامة  
المجيدة كحياة نعيشها كل يوم حتى نلتقي معه في يوم القيامة الأخير.

يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [ليتنا لا ننسى ما قد سلمه بولس... أي قيامة الرب! إنه يقول  
عنه أنه أباد الذي له سلطان الموت أي إبليس، وأقامنا معه. حل رباطات الموت، ووهبنا البركة  
عوض اللعنة، منحنا الفرحة عوض الحزن، وقدم لنا العيد عوض النوح، أعطانا فرح عيد  
القيامة المقدس، العيد الدائم في قلوبنا لنفرح به على الدوام.] كما يقول في موضع آخر: [وضع  
نهاية للناموس (الحكم) الذي كان ضدنا وذلك بذبيحة جسده، واهباً إيانا بداية جديدة للحياة على  
رجاء القيامة التي منحها لنا.] كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لقد أظهر أيضاً أنه ليس  
فقط أبطل الموت وإنما صار إبليس بهذا كلاً شيء، هذا الذي كان في حرب بلا هوادة ضدنا.  
فمن لا يخاف الموت يصير خارج دائرة طغيان إبليس... من لا يخاف أحداً ولا يرتعب يكون فوق  
الكل، أكثر حرية من الجميع. لا يبالي بحياته (الزمنية) فبالأولى لا يهاب شيئاً. متى وجد إبليس  
نفساً كهذه لا يقدر أن يقيم فيها عملاً من أعماله... هكذا، فإنه بنزع طغيان الموت عنا تكون لنا  
النصرة على قوة إبليس.]

مرة أخرى بالتجسد الإلهي، إذ تواضع الابن عن الملائكة صار من نسل إبراهيم حسب الجسد،  
صار أخاً بكاراً مشابهاً لنا في كل شيء، حتى فيما هو مجرب يقدر أن يعين المجربين، وكأنه  
صار كواحد منا يشعر بإحساساتنا ويشفع فينا لدى أبيه. يقول الرسول:

"لأنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلَائِكَةَ،

بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ.

مَنْ تَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ،

لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا،

وَرَبِّيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكْفَرَ خَطَايَا الشَّعْبِ.

لأنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجْرَبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجْرَبِينَ" [١٦-١٨].

يفسر القديس يوحنا الذهبي الفم هذه العبارة، قائلًا: [لم يأخذ طبيعة الملاك بل طبيعة الإنسان.]

لماذا قال الرسول "يمسك"؟ لأن طبيعة الإنسان كانت هاربة منه بعيداً لا تريد الالتقاء به،  
فاقتفى أثرها وأمسك بها بتجسده! في محبته ورعايته أمسك بطبيعتنا إذ حمل ناسوتنا فيه  
ليعطيه إمكانيات جديدة. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [من جهتي فإني إذ أفكر في هذا  
أدهش، وأتخيل أموراً عظيمة بخصوص الجنس البشري. إنني أرى عطايا عظيمة وسامية،  
وأن لله غيرة عظيمة لحساب طبيعتنا.]

تقدم إلينا كرئيس كهنة أمين قادر أن يحررنا من خطايانا بذبيحة الصليب. دخل إلى الآلام مجرباً لكي يقدر أن يعين المجربين. عالج الآلام وتجاربنا لا بانتزاعها عنا وإنما بحمله إياها ومشاركتنا وسط الآلام. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنه لا يجهد الآلام، بل يعرفها ليس فقط بكونه الله، وإنما بكونه إنساناً قد جُرب. تألم كثيراً، لذا يعرف كيف يحنو... يعرف ما هي الآلام، وما هي التجربة، ليس بأقل منا نحن المتألمين، إذ تألم هو أيضاً... لهذا يبسط يده بغيره عظيمة ويحنو.] وأيضاً يقول البابا أناسيوس الرسولي: [حقاً إنه لم يأخذ طبيعة الملائكة بل طبيعة نسل إبراهيم، لذلك لاق به أن يشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيما يخص الله، محققاً مصالحة عن خطايا الشعب. فإنه في هذا تألم بكونه مجرباً يقدر أن يعين المجربين، لهذا فلتلاحظوا أيها الإخوة القديسين، شركاء الدعوة الإلهية رسول اعترافنا ورئيس كهنته يسوع، الذي كان أميناً للذي أقامه.]

في إيجاز يمكننا أن نقول بأن التجسد الإلهي، حيث به تواضع الابن قليلاً عن الملائكة، حقق ما لم يكن ممكناً للخليقة السماوية تحقيقه، ألا وهو:

أ. فتح باب الملكوت، فخضع الكل للآب في ابنه.

ب. وهب البشرية اتحاداً مع القدوس، فصاروا فيه قديسين.

ج. حسبنا إخوة له، يخبرنا عن اسم أبيه، ونمارس حياة التسبيح وسط الكنيسة المقدسة.

د. صار أباً يقدمنا أبناء للطاعة لدى أبيه.

ه. حطم بموته موتنا، وحررنا من سلطان إبليس.

و. فيما هو مجرب يقدر أن يشفع في المجربين، فيتقدم عنا كرئيس كهنة وذبيحة في نفس الوقت.

١ لذلك يجب ان نتنبه اكثر الى ما سمعنا لئلا نفوته

٢ لانه ان كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة و كل تعد و معصية نال مجازاة عادلة

٣ فكيف ننجو نحن ان اهملنا خلاصا هذا مقداره قد ابتدا الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا

٤ شاهدا الله معهم بايات و عجائب و قوات متنوعة و مواهب الروح القدس حسب ارادته

٥ فانه لملائكة لم يخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه

٦ لكن شهد واحد في موضع قانلا ما هو الانسان حتى تذكره او ابن الانسان حتى تفتقده

٧ وضعته قليلا عن الملائكة بمجد و كرامة كللته و اقمته على اعمال يديك

٨ اخضعت كل شيء تحت قدميه لانه اذ اخضع الكل له لم يترك شيئا غير خاضع له على اننا الان لسنا نرى الكل بعد مخضعا له

٩ و لكن الذي وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد و الكرامة من اجل الم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لاجل كل واحد

١٠ لانه لاق بذاك الذي من اجله الكل و به الكل و هو ات بابناء كثيرين الى المجد ان يكمل رئيس خلاصهم بالالام

١١ لان المقدس و المقدسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحي ان يدعوهم اخوة

١٢ قانلا اخبر باسمك اخوتي و في وسط الكنيسة اسبحك

١٣ و ايضا انا اكون متوكلا عليه و ايضا ها انا و الاولاد الذين اعطانيهم الله  
١٤ فاذا قد تشارك الاولاد في اللحم و الدم اشترك هو ايضا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك  
الذي له سلطان الموت اي ابليس  
١٥ و يعتق اولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية  
١٦ لانه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم  
١٧ من ثم كان ينبغي ان يشبه اخوته في كل شيء لكي يكون رحيمًا و رئيس كهنة امينا في ما  
لله حتى يكفر خطايا الشعب  
١٨ لانه في ما هو قد تالم مجريا يقدر ان يعين المجربين  
٣. الذي به أيضًا عمل العالمين ٢.

٤. بهاء مجده ورسم جوهره ٣.

٥. حامل كل الأشياء بكلمة قدرته ٣.

٦. صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا ٣.

٧. جلس عن يمين العظمة ٣.

المسيح والملائكة ٤-١٤.

١. عظمته في البنوة ٤-٥.

٢. خضوعهم له ٦-٨.

٣. مسحه للعمل الخلاصي ٩.

٤. ابديته ١٠-١٤.

"الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة،

كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه،

الذي جعله وارثًا لكل شيء،

الذي به أيضًا عمل العالمين.

الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره،

وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته،

بعد ما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا،

جلس في يمين العظمة في الأعلى" [٣-١].

مقدمة

افتتح معلمنا بولس الرسول رسالته بإعلان حديث الله مع الآباء، أي مع رجال العهد القديم بواسطة الأنبياء، مؤكداً أولاً التزامه بالحب والخضوع لرجال العهد القديم؛ وثانياً بإعلان وحدة العهدين. فإن الله الذي تحدث قديماً مع رجال العهد القديم هو بعينه الذي يحدثنا نحن في هذه الأيام الأخيرة في ابنه. يتحدث مع الأولين عن الحق الإلهي خلال الظلال، أما الآن فيعلن الحق في كماله. بهذا لم يقلل الرسول بولس من شأن الأنبياء ولا من عظمة مجد العهد القديم، لكن ما هو أعظم منه هو مجد العهد الجديد، بكونه امتداداً للعمل القديم، ودخولاً إلى أعماقه، وتحقيقاً لغاياته. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يا له من أمر عظيم أن يرسل الأنبياء إلى آبائنا، أما بالنسبة لنا فقد أرسل ابنه الوحيد نفسه... لم يرَ أحد منهم (من الأنبياء) الله، أما الابن الوحيد فإياه]. [يا للعجب! لقد تنازل واختار ألا يتحدث (الله) معنا بواسطة عبيده بل بفمه... كان لهم موسى معلماً، أما نحن فلنا رب موسى؛ إذن فلنظهر الحكمة (الفلسفة) السماوية التي تليق بهذه الكرامة ولا نطلب أمراً أرضياً.]

لماذا بدأ الرسول مقارنته بالأنبياء؟ لأنه في بدء انطلاق الأمة اليهودية كان القائد هو موسى النبي وكان أخوه هرون رئيس كهنة. موسى يمثل إعلان الحق الإلهي خاصة خلال الشريعة، وهرون يمثل الجانب العملي الذبيحي والتعبدي الذي يقوم بالمصالحة بين الله والإنسان. العملاق متلازمان ومتكاملان، فالإنسان ليحيا كمؤمن حقيقي وعضو في الجماعة المقدسة عليه أن يتقبل الحق ويتعرف عليه ليس فقط خلال الشريعة أو الوصية أو النبوة وإنما أيضاً خلال الحياة التعبديّة الحقيقية، أي خلال ذبيحة المصالحة بين الله والمؤمن. هذا التلازم بين النبوة والكهنوت، أو بين الوصية والعبادة لم يدم كثيراً، فسرعان ما انحرف كهنة اليهود عن رسالتهم، وتحولوا إلى الشكل دون الروح، وضاع الحق من بين أيديهم، فصارت هناك عداوة بين الكهنة الشكليين والأنبياء الحقيقيين، الأمر الذي برز بصورة صارخة في أيام إرميا النبي وحزقيال النبي، حيث لم يكن ممكناً المصالحة بين الطرفين. أما السيد المسيح فهو وحده "الحق" في كماله، يعلنه لنا خلال ذبيحته الفريدة على الصليب، وفي نفس الوقت هو رئيس الكهنة السماوي القادر أن يصنع تطهيراً لخطايانا، جالساً عن يمين الأب في الأعلى. في هذا السفر يقارن بين السيد المسيح والأنبياء، ليعود فيقارن في النهاية بينه وبين الكهنوت اللاوي، لكي يعلن في شخصه التحام الحق مع العمل الذبيحي أو التحام النبوة مع الكهنوت في صورة فريدة فائقة.

لقد أبلغ الأنبياء الصوت الإلهي للآباء بكونهم قنوات، لا فضل لهم سوى تبليغ الرسالة كما هي، إذ "استؤمنوا على أقوال الله" (رو ٣: ٢)، ويشهد السيد المسيح نفسه أن موسى والأنبياء تحدثوا عنه؛ أما السيد فهو الكلمة عينه، أو هو الحق بذاته، يعلن عن الأب بكونه واحداً معه في الألوهية، لهذا يقول: "ليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١: ٣٧).

## الله يكلمنا

في القديم كلم الله الآباء بالأنبياء، أما الآن فيكلمنا في ابنه. ماذا يعني الرسول بهذا؟ الله دائم الحديث معنا، يتحرك نحونا بحركة الإعلان عن حبه. يريد أن يتعامل معنا، فهو وإن كان مطلقاً فوق كل إدراك لكنه ليس ببعيد عنا، ولا بمنعزل عن الإنسان، يود إتحاد الإنسان معه لينعم بشركة أمجاده الأبدية.

كلام الله معنا ليس ألفاظاً تقف عند سماع الأذن لها، إنما هو حياة فعّالة، يشبهه الله بالمطر العامل في الأرض: "أنزل عليهم المطر في وقته فتكون أمطار بركة، وتعطي شجرة الحقل ثمرتها، وتعطي الأرض غلتها" (حز ٣٤: ٢٦، ٢٧). ويؤكد الرسول في نفس الرسالة: "لأن كلمة الله

حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه" (٤: ١٢، ١٣). والسيد المسيح نفسه يقول: "كلامي روح وحياة".

## يكلمنا بطرق وأنواع كثيرة

منذ بدء الخليقة الإنسان والله في حبه يتحرك نحونا ليتكلم معنا، وكما يقول القديس أغسطينوس: [أليس الله هو الذي تكلم في بدء البشرية مع آدم (تك ٣: ١٧)؟ أليس هو بنفسه الذي تكلم مع قايين ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وكل الأنبياء وموسى؟ انظر فإنه يتحدث حتى مع الشخص الواحد ليس فقط مرة بل مرات كثيرة.]

إنه يتحدث منذ بدء البشرية بأنواع وطرق كثيرة، مستخدماً كل وسيلة، لعلنا نسمع صوته، ونتقبله فينا، ونتجاوب معه. يقول الوحي الإلهي: "كلمت الأنبياء وكثرت الرؤى وبيد الأنبياء مثلت أمثالا" (هو ١٢: ١٠)، وجاء في المزمور: "إله الآلهة تكلم" (مز ٥٠: ٤٩). ويعلق القديس أغسطينوس قائلاً: [تكلم بطرق كثيرة، فتكلم بنفسه بواسطة ملائكة، ونفسه أيضاً تكلم بواسطة الأنبياء، وتكلم بفمه، وهو يتكلم بنفسه بواسطة مؤمنيه خلال ضعفنا عندما ننطق بشيء من الحق. انظر إذن فإنه يتكلم بطرق متنوعة، وبأوان كثيرة، مستخدماً آلات كثيرة، لكنه هو بنفسه الذي ينطق في كل موضع بالتلامس أو الصور أو الإيحاء!]

## بين الأنبياء والسيد المسيح

إن كان الله الأب تكلم خلال الأنبياء، لكن الأمر يختلف عن حديثه في الأيام الأخيرة معنا في ابنه. وقيل أن نتعرف على الاختلاف نذكر السبب لدعوة العهد الجديد بالأيام الأخيرة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حسناً قال "الأيام الأخيرة"، فإنه بهذا يثيرهم ويشجعهم على الاهتمام بالمستقبل. في موضع آخر يقول: "الرب قريب لا تهتموا بشيء" (في ٤: ٥، ٦)، وأيضاً: "فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين أمنا" (رو ١٣: ١١)، هكذا هنا أيضاً. إذن، ما هذا الذي يقوله؟ الذي يعيش في صراع إذ يسمع كلمة "الأخيرة" يسترد أنفاسه قليلاً عالمًا بحق أن الوقت حان لنهاية أتعابه وبداية راحته.] كما يعلق ذات القديس على نفس النص، قائلاً أن الإنسان يتوقع في الأيام الأخيرة أن العقاب يقترب، والعطايا تقل، والخلاص غير متوقع، لكن ما حدث هو على نقيض ذلك إذ جاءت النعم فائقة.

نعود إلى حديث الأب، فإنه يتحدث بالأنبياء كآلات يستخدمها، أما في الأيام الأخيرة فيحدثنا في ابنه، ليس كآلة خارجة عنه تعلن صوته، إنما هو ذات كلمة الله، الواحد مع الأب. تجسد الابن لكي نقبل الالتقاء معه، حمل الصليب ليهبنا حق الدخول فيه، نازعاً العداوة، وبقيامته صرنا كأبرار، فيه نلتقي مع أبيه أباً لنا، فلا نسمع في الابن صوتاً أو كلمات مجردة، إنما نتقبله فينا ونحن فيه، فنصير واحداً مع كلمة الله، وأعضاء جسده. لم يعد كلام الله مجرد وصايا نتقبلها لنطيعه، وإنما بالأكثر قبول للكلمة الإلهي وثبوت فيه، الذي وحده موضع سرور أبيه، كامل في طاعته له، فنحسب فيه موضع سرور وصايا مرعبة نخشى نيرها لكنها صارت تمتعاً بالكلمة، الذي يهبنا الحياة السماوية وشركة الأبديات في داخلنا. هذا ما قصده بكلماته: "ملكوت الله في داخلكم".

حين تحدث الأنبياء مع الآباء قدموا رسائل إلهية مجيدة، أما وقد تحدث الأب إلينا في ابنه فإنه قدم لنا ابنه ذاته سر حياة وخلص وقيامة! فمن هو هذا الابن الكلمة الذي يقدمه الأب في هذه الأيام الأخيرة؟

## ١. الابن

يقول الرسول: "كلمنا في ابنه" ولم يقل "كلمنا في الأنبياء". فالابن إذ هو واحد مع أبيه يحمل فيه الأب على مستوى فريد ويحويها نحن أيضاً داخله بتقدسنا بدمه، فنلتقي مع الأب فيه، نتعرف عليه وندخل إلى حالة اتحاد معه وشركة فائقة. حقاً لقد كان الروح القدس يهيء الأنبياء لقبول الرسالة الإلهية وتبليغها، لكن لم يكن ممكناً للأب أن يستقر فيهم على مستوى الاتحاد، ولا أن يدخلوا بالبشر إلى أعماقهم ليلتقوا بالأب. الابن الوحيد الجنس هو القادر وحده أن يصلحنا مع أبيه فينا لنبقى معه وبه إلى الأبد.

في دراستنا لرسائل معلمنا بولس الرسول أدركنا الحقيقة اللاهوتية البارزة للإيمان المسيحي، ملخصها "في المسيح". ففيه يعلن لنا الأب ذاته ويحدثنا، وفيه صرنا مؤمنين (أف ١: ١)، وفيه تمتعنا بالاختيار الإلهي (أف ١: ٤)، وفيه نلنا الفداء (أف ١: ٧)، وفيه يجمع السمائيين والأرضيين (أف ١: ١٠)، وفيه نستغنى في كل شيء (١ كو ١: ٥) الخ.

## ٢. الذي جعله وارثاً لكل شيء

يتحدث هنا عن دور التجسد الإلهي، والابن خالق كل شيء أخلى ذاته وصار في شكل العبد حاملاً إيانا فيه، حتى إذا ما ورث كل شيء ببره الذاتي نرث نحن معه وفيه. من أجلنا أخلى ذاته عن أمجاده، تاركاً كل شيء حتى تعرى ودُفن في قبر لغريب، لكي يجد كل واحد منا له موضعاً فيه.

هذا هو دور الابن إذ وهبنا الميراث فيه، أما الأنبياء فكانوا مجرد متحدثين عن الميراث الذي يعده الله لنا، يشيرون إليه دون أن يقدموه ولا حتى نالوه، حتى ينعمون معنا بالمسيح ميراثنا الحق.

## ٣. الذي به أيضاً عمل العالمين

هنا يحدثنا الرسول بوحى من الروح القدس عن سمو المسيح عن الأنبياء دون أن يشير إليهم صراحة، فالأنبياء بشر قبلوا الرسالة الإلهية، وكرسوا حياتهم ليحققها الله بواسطتهم. أما السيد المسيح فهو الخالق، صانع السماء والأرض، وكما يقول القديس يوحنا الحبيب: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو ١: ٣). به تمت الخليقة السماوية والأرضية، وبه أيضاً تتحقق الخلقة الجديدة فينا، فيقيم فينا سماءً جديدة وأرضاً جديدة. وكما يرى القديس أغسطينوس أن السماء إنما تشير إلى النفس، والأرض إلى الجسد، فإن السيد المسيح يجدد نفوسنا وأجسادنا، أي يعيد خلقها، وذلك بروحه القدس في مياه المعمودية.

## ٤. بهاء مجده ورسم جوهره

يرتفع بهم الرسول إلى درجة أعلى ليروا الابن الكلمة الذي به كان كل شيء هو بعينه بهاء مجد الأب ورسم جوهره، ليقدمهم إلي البهاء الذي لا يُقترَب إليه.

هل تعبير "بهاء مجده ورسم جوهره" يقلل من مساواة الابن للأب أو يسيء إلى وحدانيتهما الأزلية؟

يشير تعبير "بهاء مجده" إلى الولادة الأزلية، فلا يمكن أن يقوم النور الأزلي بدون بهائه، فالابن هو النور من النور، أو البهاء الأزلي غير المنفصل عن النور، بل واحد معه. يقول البابا

**أثناسيوس الرسولي:** [من ذا الذي تجرد من العقل حتى يشك في أزلية الابن؟ لأنه من ذا الذي يرى نوراً بغير بهاء أو إشراق!] كما يقول: [إنه غير منفصل عن الأب كما أن البهاء غير منفصل عن النور.] ويقول: [من الذي لا يرى أن البهاء لا يمكن أن يفصل عن النور وإنما بالطبيعة يكون هكذا، شريكاً معه في الوجود، لا يأتي بعده؟!]. وأيضاً: [كيف يكون الابن غير مشابه للأب في الجوهر، وهو صورة الأب الكاملة وبهائه، والقائل: "الذي رأني فقد رأى الأب" (يو ١٤ : ٩)؟ إن كان الابن هو كلمة الأب وحكمته، فكيف يوجد زمان لم يكن فيه الابن هو كلمة الأب وحكمته، فكيف يوجد زمان لم يكن فيه الابن موجوداً؟!]

ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لاحظ بأي وقار يفهم هذا، وعندئذ نتقبله، فإنه (مولود) منه بلا ألم، ليس بأعظم ولا أقل منه.] كما يقول: [إذ يدعو الأب بهذا الاسم (النور) في العهدين القديم والجديد، استخدم المسيح نفس الاسم أيضاً (يو ١٢ : ٤٦)، لذا دعاه بولس أيضاً "بهاء" مُظهراً أنه منه، شريكه في السرمدية.] ويقول: [اسمع أيضاً المسيح نفسه يقول: "أنا نور العالم" (يو ٨ : ١٢) لهذا استخدم كلمة بهاء بمعنى أنه نور من نور؛ لا يعني هذا فقط، وإنما قصد أيضاً أنه ينير نفوسنا ويعلن لنا الأب والابن معاً (أي وحدتهما كوحدة النور بالبهاء).]

إن عدنا إلى المقارنة بين السيد المسيح والأنبياء، نذكر أن موسى النبي في لقائه مع الله انعكس على وجهه بهاء خارجي ومجد حتى لم يقدر الشعب أن يتفرس فيه، فاضطر إلى وضع برقع على وجهه عند الحديث معهم، يرفعه عندما يدخل إلى الحديث مع الله. وكان ذلك رمزاً للسيد المسيح "بهاء الأب" الذي لا يحمل بهاءً خارجياً منعكساً عليه، إنما هو البهاء بعينه غير المنفصل عن الأب، لبس جسدنا كبرقع موسى حتى يمكننا أن نتفرس فيه، فنتعرف على إسرار أبيه، قائلين مع المرتل: "بنورك يا رب نقدر أن نعاين النور"، أي بابنك الوحيد الذي هو بهاؤك نقدر أن نعاين أسرارك ندخل إلي أمجادك السرمدية.

أما دعوته "رسم جوهره"، فكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [تشهد لشخصه أنه منتسب لذات جوهره.]

## ٥. حامل كل الأشياء بكلمة قدرته

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الروح القدس يتدرج بالقارئ ليرتفع به على الجبال الشاهقة، جبال معرفة المسيح غير المدركة، فيحدثهم تارة عن الأمور الخاصة بتجسده، ثم يرتفع بهم إلى معرفته كخالق، ويعلو بهم، ليتعرفوا على طبيعته، بكونه بهاء مجد الأب، ليعود فينزل بهم ليدركوا رعايته لهم بقوله "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"، وهكذا يعلو ويهبط بهم ليدركوا أسرار المسيح وسماته وأعماله.

هنا يحدثهم الوحي الإلهي عن السيد بكونه حاملاً كل الأشياء، أي ضابط الكل فلا يفلت شيء من تحت رعايته واهتمامه، قريب جداً إلى خليقته يدبر حتى صغائر أمورها. فإن كان الابن هو البهاء الذي لا يُقرب إليه، فإنه في محبته حملنا إليه لنكون فيه، تحت حمايته.

رأينا الوارث لكل شيء، يرث الأمم جميعها لا ليسيطر بالأمر والنهي، وإنما ليسكب حبه ويمسك بيد كل أحد، لكي يقدر الجميع بروحه القدوس مهيباً إيانا للتمتع بشركة ميراثه، هو يورثنا ونحن نملكه فينا يقتنينا ونحن نقتنيه! هذه هي قدرته الفريدة التي بحق تعلن سلطان الحب وقوة الرعاية وإمكانية الخلاص الفائق! وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [عنايته لا تُفسر، وحنانه غير مدرك، وصلاحه يا يُحد، وحبه لا يُستقصى.]

## ٦. صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا

كحامل الأشياء بكلمة قدرته تتجلى إمكانياته الإلهية ليس فقط في خلقته إيانا من العدم وتقديم العالم كله لخدمتنا، لكن ما هو أعظم أنه بعد أن فسدت طبيعتنا وتركنا فردوسنا وهربنا من وجه الأب دخل إلينا واقتنصنا بحبه، مقدماً ثمن خطايانا على الصليب، ليدخل بنا إلى ملكوت محبته، ويردنا إلى بيت أبيه وأحضانة الإلهية حاملين صورة خالقنا... إنه يجلس الآن عن يمين العظمة كرئيس كهنة عنا، يشفع فينا لا خلال وساطة الكلام والطلبة الشفوية، وإنما خلال ذبيحة نفسه التي قدمها عنا مرة، وحملنا فيه أعضاء جسده. إنه يشفع بالدم المقدس المبذول لتطهيرنا.

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على رعايته الخلاصية بقوله: [اذكر أن راحتك بخلصك وسروره أعظم من سرورك وأنت هارب من الخطر والموت!]

ويلق أيضاً على قول الرسول: "صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا"، قائلاً: [يليق بنا أن نستمر طاهرين ولا نتقبل أي دنس، بل نحفظ بالجمال الذي أوجده فينا وكماله غير الدنس الطاهر، إذ "لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك" (أف ٥: ٢٧). فإن أصغر الخطايا هي دنس أو غضن، أقصد حتى كلمة الانتهاز أو الشتيمة أو الكلمة الباطلة.]

## ٧. جلس عن يمين العظمة

لقد جلس في الأعالي عن يمين العظمة، لا ليبقى فوق إدراكنا، وإنما لأنه إذ نزل إلينا كواحد منا وصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا صار لنا فيه موضع، ومعه شركة اتحاد، حتى إذ يرتفع نرتفع معه وبه وفيه؛ نجلس حيث هو جالس، متمتعين بشركة المجد الأبدي. ارتفع الرأس حتى لا يبقى الجسد على الأرض إنما يبقى بروحه وقلبه هناك إلى يوم الرب العظيم، فيرتفع الجسد أيضاً لينعم بالمجد!

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [من أجلك يا إنسان هيا الملكوت! ولأجلك أعد خيرات لا توصف، ونصيياً معداً في السماء، وحياة لا مثيل لها، وفرحاً لا يُنطق به.]

## المسيح والملائكة

بعد أن عرض الرسول في اختصار شديد وبقوة عن حديث الأب مع البشرية في ابنه الوحيد في ملء الزمان، والذي لا يُقارن بحديثه مع الآباء العبرانيين خلال أنبياء العهد القديم، انتقل إلى المقارنة بينه وبين الملائكة. فقد افتخر العبرانيون على الأمم بأنهم تسلموا الناموس بيد ملائكة. هذا ما أعلنه التقليد اليهودي، وأكدته العهد الجديد، إذ يقول الشماس اسطفانوس: "أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه" (أع ٧: ٥٣)، ويقول الرسول: "فقد وعد له مرتباً بالملائكة في يد وسيط" (غل ٣: ٩). أما شريعة العهد الجديد فقدما السيد المسيح للجموع حين تقدم إليه تلاميذه وحدثهم دون أن تظهر ملائكة ولا رافقته علامات فائقة للطبيعة كما حدث عندما تسلم موسى النبي الشريعة على جبل سيناء.

يقارن الرسول بولس بين السيد والملائكة في النقاط التالية:

### ١. عظمتة في البنوة

"صَانِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرَثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ.

لَأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ:

أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ؟

وَأَيْضًا: أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا؟" [٤ - ٥].

لا يوجد مجال للمقارنة بين السيد وملائكته الذين هم عمل يديه وخدامه، لكنه إذ قبل التجسد وظهر في تواضعه كواحدٍ منا أقل من الملائكة أراد الرسول توضيح مركزه: إنه الابن الوحيد الجنس له اسم أفضل منهم.

جاء في سفر الرؤيا: "له اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو" (رؤ ١٩: ١٢). هذه العبارة تكشف عن عجز اللغة البشرية، أي حتى اللغة السماوية عن التعبير عن طبيعة الابن أو علاقته بالأب، فإن دعاه الكتاب "الابن"، فذلك لأن هذه الكلمة هي أقرب الكلمات في التعبير، وإن عجزت عن التعبير كما ينبغي.

بالتجسد نزل الابن إلينا كواحد منا، فصار هناك مجال للمقارنة بينه وبين الملائكة، وإن كان في جوهره يبقى فوق كل مقارنة، يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كان دائمًا أعظم منهم، وفوق كل مقارنة، إنما قيل هذا عنه من جهة الجسد]. كما يقول: [لو كان ابنًا بالنعمة فقط لما كان أفضل من الملائكة بل بالحري أقل منهم. كيف؟ لأن الأبرار أيضًا يدعون أبناء... ولكي يشير إلى الفارق بين المخلوقات وصانعها اسمع ما يقول: "لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابني وأنا اليوم ولدتك"، وأيضًا "أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا".]

ماذا يعني بكلمة "اليوم" إلا كتعبير عن أزليته حيث لا بداية له، فإنه لم يكن هناك زمان لم يكن فيه الابن، إذ هو مولود من الأب قبل الدهور.

## ٢. خضوعهم له

لا مجال للمقارنة بين الابن الجالس على العرش وخدامه الملائكة الساجدين له، وإن كانوا لهيب نار.

"وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:

وَلَتَسْجُدَ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ.

وَعَنْ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلَائِكَتَهُ رِيحًا وَخُدَامَهُ لَهَيْبَ نَارٍ.

وَأَمَّا عَنْ الْإِبْنِ: كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ.

قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ" [٦ - ٨].

يدعو الرسول تجسد الابن الكلمة "دخولاً Eisodus" إلى العالم، وقد تحقق ذلك خلال خروجه Exodus كقول السيد: "خرجت من عند الأب، وقد أتيت إلي العالم" (يو ١٦: ٢٨) كما يقول: "خرج الزارع ليزرع" (مت ١٣: ٣). إنه بحق خروج ودخول، خروج إرادي من أمجاده،

ودخول إلى حياتنا لكي يضم إليه طبيعتنا وحياتنا، فيخرج بنا من عالمنا ويدخل بنا إلى حضن أبيه. يشبه القديس يوحنا الذهبي الفم هذا العمل بالإنسان الهارب من القصر الملوكي وألقى القبض عليه واقتيد إلى السجن، فخرج إلينا الابن من قصره ودخل إلى سجن جسدنا ليتحدث معنا في أمر المصالحة مقدماً ثمن خطايانا، عندئذ ينطلق بنا من السجن ليدخل بنا إلى القصر من جديد.

إذن حركة الدخول والخروج التي قام بها الابن الوحيد الجنس خلال تجسده وصعوده، أي خلال أعماله الخلاصية إنما هي حركة حب متدفقة نحو الإنسان، غايتها خروجه مما توقع فيه ودخوله إلى حضن الأب خلال ثبوته في الابن.

إن كان اليهود يفتخرون بالملائكة، لأن الناموس قد أسلم إليهم بيد ملائكة، لكن لم يكن ممكناً لملاك أن يحقق هذا الدخول إلى العالم ليهب الإنسان دخولاً إلى الأحضان الإلهية. لقد خدم ملائكة مؤمنين وقدموا لهم رسائل إلهية مفرحة، لكنها تعجز عن أن تحقق الخلاص. وكما جاء في القديس الاغريغوري: "لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا كاروباً ولا نبياً انتمنته على خلاصنا، بل أنت وحدك تجسدت وتأنست".

حبه الإلهي الذي أدخله إلينا كواحد منا لم يقلل من كرامته أمام الملائكة، إذ يقول الرسول: " وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبَكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ " الملائكة الذين قدموا لرجال العهد القديم إمكانية السجود لله، إذ جاءوا إليهم برسائل إلهية تسندهم هؤلاء أنفسهم يسجدون للابن. وكما يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [بينما كان الآباء البطارقة يسجدون له، فعن الملائكة كتب: "ولتسجد له كل ملائكة الله".]

دخوله إلى العالم لم يمس لاهوته ولا نزع سجود الملائكة له، وإنما أعطى الإنسان كرامة، إذ لم يقل الرسول "متى أدخل الابن"، بل يقول "متى أدخل البكر". دخل إلى العالم بكرًا لنا، يعمل لحسابنا وباسمنا، يراه الملائكة حاملاً طبيعتنا فيه، بل حاملاً مؤمنيه كأعضاء جسده فيندهشون. يسجدون له بكونه خالقهم ويسبحون متهللين من أجل عمله معنا! يرون في بكوريته بالنسبة لنا إعلان حب فائق نحو خليقته. تجسده وصلبه وقيامته وصعوده فتح مجالاً جديداً لسجود الملائكة، إذ كشف لهم عن أعماق حب لم تكن بالنسبة لهم مدركة هكذا. أعطاهم معرفة جديدة عن أسرارهم سحبتهم للسجود والتسبيح!

ولئلا يظن السامعون أن الرسول يقلل من شأن الملائكة أكد: "وَعَنِ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلَائِكَتَهُ رِياحًا وَخُدَامَهُ لَهَيْبِ نَارٍ... هذا عن سمو الملائكة، أما عن الابن فلا وجه للمقارنة: "وَأَمَّا عَنِ الْإِبْنِ: كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيْبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيْبُ مُلْكِكَ". هؤلاء خدام لكنهم لهيب نار سماوي، أما هو فملك صاحب سلطان. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [انظر كيف يميز بوضوح عظيم بين الخليقة والخالق، الخدام والرب، الابن حقيقي الوارث والعبيد.]

يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [لاحظ هنا أن كلمة "الصانع" تخص أموراً أصيلة (الخلق). يدعو الملائكة خليفة، أما عن الابن فلا يتحدث عنه كخليقة أو كائن جاء إلى الوجود، وإنما يتحدث عن سرمديته وملوكيته ووظيفته التدبيرية.] كما يقول: [لقد أظهر أنه آخر غير كل ما قد خلق، فإن كان هو آخر ومختلف عنهم تماماً في الجوهر عن طبيعتهم، فأية مقارنة لجوهره يمكن إقامتها، وأي شبه له فيهم؟!]

السيد المسيح الجالس على الكرسي إلى الأبد، والمسجود له من القوات الملائكية، يملك على الشعب بالحب. إنه البار وحده، الذي بلا خطية، قد مسح منذ الأزل من قبل الأب لتحقيق الخلاص خلال تجسده وحياته بيننا وتقديم نفسه ذبيحة حب عنا. هنا تلتحم إرادته الإلهية مع تقواه الشخصية لتحقيق غايته فينا:

"أَحْبَبْتَ الْبِرَّ، وَأَبْغَضْتَ الْإِثْمَ،

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ" [٩].

إذ نادى بعض البدع الغنوسية بقسوة إله العهد القديم خالق الجسد، ولطف إله العهد الجديد الذي أراد تخليص البشرية من يد الأول لهذا أكد الرسول بولس دور الأب في الخلاص بكونه قد مسح ابنه الوحيد لهذا العمل الخلاصي. أكد وحدانية العمل بين الأب والابن، ودورهما الإيجابي في الخلاص. ففي أكثر من موضع يؤكد أن الأب يحبنا كما الابن، وأنه أرسل ابنه الوحيد، وهو الذي بذله عنا، وأقامه ليقمنا فيه.

ليته لا يتعثر أحد حين يسمع الرسول يؤكد هذا، ظاناً أن في الابن عجزاً في الحب أو في التجسد أو القيامة... إنما أراد الرسول تأكيد دور الأب في عمل الابن الخلاصي.

مسحه بزيت الابتهاج أي تكرر الابن لهذا العمل المبهج للأب والبشرية أيضاً. حقاً لقد صار بتأسسه شريكاً لنا في طبيعتنا، لكنه كان ولا يزال الفريد في برّه وبغضه للإثم، إذ لم يعرف الخطية، لهذا فهو وحده القادر أن يتم عمل الخلاص المبهج. في الابن ابتهاج الأب إذ رآنا أولاداً له متبررين ومقدسین فيه، وفيه أيضاً نبتهاج نحن إذ نرى الأب أبانا القدوس فاتحاً أحضانه الأبوية لنا!

٤. أبعده

في مقارنته بين السيد المسيح وملائكته أوضح الرسول أن السيد هو الخالق الأبدي، فالعالم المنظور يزول وينتهي أما هو فيبقى إلى الأبد:

"وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ،

هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثُوبٌ تَبْلَى"،

وكرداء تطويها فتتغير،

ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.

ثم لمن من الملائكة قال: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك مواطناً لقدميك؟

أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟! [١٠-١١].

إنه خالق السماء والأرض، موجد الكائنات السمائية والأرضية، فلا وجه للمقارنة بين الخالق وخليقته حتى الملائكة.

الابن الخالق مولود من الأب قبل الدهور من الأزل، لم يكن هناك زمان ليس فيه الابن، هو موجد الكل فلا يتغير، أما الخليقة إذ وُجدت من العدم قابلة للتغير. يقول البابا أنثاسيوس الرسولي: [صارت (الخليقة) إلى الوجود بعد العدم، لها طبيعة متغيرة؛ أما الابن إذ هو من الأب، فعدم التغير أو التبديل يليق بطبيعته كما الأب نفسه.]

إنه مؤسس الأرض وخالق السماء، الذي لا يتغير، يغير الآخرين ويبقى هو إلى الأبد. طبيعته هذه تسندنا من جانبيين: أولاً أنه قادر أن يحقق مواعيده لنا بكونه الوحيد غير المتغير. ومن الجانب الآخر نحن نتغير إن سلمنا حياتنا بين يديه. كاله يجدد ولا يتجدد، لأنه لا يشيخ ولا يقدم، ونحن كبشر نرتمي بين يديه فيجدد طبيعتنا وحياتنا.

إنه الأبدي الغالب لأعدائه، إبليس وجنوده، إذ يقول: "ثُمَّ لَمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعُ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ؟" لا تنعم طغمة سماوية بهذه الغلبة الأبدية، إنما السيد المسيح يُخضع قوات الظلمة تحت قدميه، ويتحقق كمال ذلك بخضوعها تحت قدمي عروسه، فقد أعطانا نحن أيضاً سلطاناً أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوة العدو، حتى كل نصره تتحقق في حياتنا إنما هي لمجد اسمه القدوس. وإذ نملك مع ملكنا تتحطم مملكة إبليس تماماً! كان هذا الوعد الذي يقدمه الأب لابنه إنما قدمه له كمثل لنا، وكرأس، فيه ينعم الجسد بإمكانيات فائقة.

هذه الغلبة التي لنا في المسيح يسوع، وهذه النصر الأبدية تثير فرح الملائكة وبهجتهم بنا كعروس مقدسة، لذا يشتهون خدمتنا، ويفرحون بيوم خلاصنا. خدمتهم لنا ليست خدمة من هم أقل منا، إنما هي خدمة الحب، خدمة الخليقة السماوية التي تفرح بالأرضيين حين ينعمون بالشركة معهم في حياتهم السماوية. هذا ما عناه الرسول بقوله: "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرْتَوْا الْخَلَاصَ؟" [١٤].

هنا لا يتجاهل الرسول تقديرنا لرسالة الملائكة ودورهم كخدام مرسلين للعمل لحسابنا، نحن الذين دُعينا لثرت الخلاص. إن كان السيد المسيح هو مخلصنا، فالملائكة خدامه يخدموننا من أجل مسرته ومسرته بنا.

يلحق القديس يوحنا الذهبي الفم على كلمات الرسول هذه: [إنهم خدام ابن الله، مرسلون بطرق كثيرة من أجلنا، ويخدمون خلاصنا. هكذا هم شركاء في الخدمة معنا.] كما يقول: [حسناً، لقد أرسل الابن أيضاً، لكنه ليس بكونه عبداً ولا خادماً إنما هو الابن الوحيد له ذات مشيئة الأب. لم يُرسل بكونه قد عبر من موضع إلى آخر، إنما بكونه أخذ جسداً، أما هؤلاء فيغيرون مواضعهم، يتركون المواضع التي كانوا فيها ليرسلوا إلى مواضع أخرى لم يكونوا فيها.]

تحدث العلامة أوريجينوس كثيراً عن الملائكة وعملهم معنا، فمن كلماته: [خلال فترة عدم الإيمان يكون الإنسان تحت سيطرة ملائكة الشياطين، أما بعد التجديد (في الجرن) فيعيّن لنا ذاك الذي يخلصنا بدمه ملاكاً مقدساً ينظر وجه الله بطهارته]، كما يقول: [لكل نفس بشرية ملاك يقودها كأخ.]

يقول البابا أنثاسيوس الرسولي عن الملائكة: [إنهم ينشرون هبات الله خلال الكلمة للذين يقبلونهم.]

- ١ الله بعدما كلم الالاء بالانبياء قديما بانواع و طرق كثيرة
- ٢ كلمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به ايضا عمل العالمين
- ٣ الذي و هو بهاء مجده و رسم جوهره و حامل كل الاشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الاعالي
- ٤ صائرا اعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما افضل منهم
- ٥ لانه لمن من الملائكة قال قط انت ابني انا اليوم ولدتك و ايضا انا اكون له ابا و هو يكون لي ابنا
- ٦ و ايضا متى ادخل البكر الى العالم يقول و لتسجد له كل ملائكة الله
- ٧ و عن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحا و خدامه لهيب نار
- ٨ و اما عن الابن كرسيك يا الله الى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك
- ٩ احببت البر و ابغضت الاثم من اجل ذلك مسحك الله الهك بزيت الابتهاج اكثر من شركائك
- ١٠ و انت يا رب في البدء اسست الارض و السماوات هي عمل يديك
- ١١ هي تبيد و لكن انت تبقى و كلها كثوب تبلى
- ١٢ و كرداء تطويها فتتغير و لكن انت انت و سنوك لن تفنى
- ١٣ ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطنا لقدميك
- ١٤ اليس جميعهم ارواحا خادمة مرسله للخدمة لاجل العتيدين ان يرثوا الخلاص

## الأصاح الثالث

### المسيح وموسى

في مقارنته بين السيد المسيح وأنبياء العهد القديم أوضح الرسول الجوانب الفائقة للسيد دون أن يقلل من شأن الأنبياء، وهكذا في عرضه للمقارنة بينه وبين الملائكة. هنا أيضاً يقارن بينه وبين موسى النبي بكونه أول قائد للشعب، أخرج إسرائيل من أرض العبودية و عبر بهم إلى البرية ووقف بهم عند جبل موآب ليسلمهم ليشوع قائدهم إلى أرض الموعد. لم يقلل الرسول من شأن هذا الرجل العظيم في الأنبياء بل أكد أمانته في العمل، وإنما أبرز شخص السيد المسيح القائد الحقيقي القادر على الانطلاق بنا من العبودية المرة الداخلية إلى حرية مجد أولاد الله، وقد تحدث هنا عن:

١. السيد المسيح وموسى ١ - ٦.

٢. قسوة القلب ٧ - ١٩.

١. السيد المسيح وموسى

"مِنْ تَمَّ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْقَدِّيسُونَ،

شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ،

لَا حِظُّوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَبِّيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ،

حَالَ كَوْنِهِ أَمِينًا لِلَّذِي أَقَامَهُ،

كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ" [١-٢].

وجه الرسول الحديث إلى المسيحيين من العبرانيين ودعاهم "الإخوة القديسين". فإذا كان حديثه السابق في المقارنة بين السيد المسيح وملائكته قد دفعه للحديث عن تواضع السيد بتجسده فصار أخًا بكرًا لنا، فإن الرسول يرى في المؤمنين "إخوة قديسين" بكونهم أعضاء معه في جسد المسيح القدس، وشركاء معه في الدعوة السماوية. ففي المسيح السماوي يتمتع المؤمنون بحياته المقدسة السماوية ليجيوا فيه على المستوى القدسي السماوي. وكما يقول العلامة أوريجينوس: [إن كنتم تؤمنون أنه جلس عن يمين الأب في السماوات يليق بكم أن تؤمنوا أنه لم يعد مكانكم في الأرضيات بل في المنظر السماوي.]

طالبهم الرسول وهو يقارن بين السيد المسيح وموسى النبي أن ينظروا إلى السيد ويتأملوه من جانبيين:

### أ. رسول اعترافنا

بالتجسد أعلن الابن كرسول، أرسله الأب إلينا ليعلن الحب الإلهي عمليًا على الصليب ويهبنا إمكانية القيامة بقيامته ويدخل بنا إلى سمواته بجلوسه عن يمين الأب. في هذا يختلف السيد المسيح عن الأنبياء والملائكة، فهو لم يُرسل بمعنى تركه موضع ليذهب إلى آخر، وإنما بمعنى ظهوره في الجسد وحلوله بيننا هذا الذي يبقى بلاهوته غير منفصل عن أبيه، يملأ السماء والأرض.

غاية رسالته هو إعلان إيماننا أو اعترافنا بالحق. قدم لنا ذاته بكونه الحق الإلهي غير المتغير، تقبله فنتعرف على أسرار الأب أيضًا، وكما يقول السيد: "لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه... الذي رأيته فقد رأى الأب" (يو ١٤: ٧، ٩).

إذن، فارسالته فريدة، خلالها يحملنا فيه ليدخل بنا إلى حضن أبيه، نتعرف عليه معرفة الإتحاد والشركة والتلامس الحق، نرى في الأب ما لا يُرى، ونتمتع بما لا يمكن للحواس الجسدية أن تعبر عنه!

### ب. رئيس كهنته

إن كان العبرانيون إذ قبلوا الإيمان بالمسيح حرموا من الكهنوت اللاوي، ومن التمتع بأعمال رئيس الكهنة خليفة هرون، لكنهم تمتعوا برئيس كهنة أعظم على مستوى إلهي، يعمل في السماء بلا توقف إلى الأبد. الأمر الذي يناقشه الرسول فيما بعد عند حديثه عن السيد كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق، وكشفيع عنا في المقادس السماوية لدى أبيه.

قلنا في دراستنا لأسفار الأنبياء أن اليهود رأوا النزاع المرّ بين الأنبياء الحقيقيين والكهنة الشكليين في عبادتهم، أما السيد المسيح فقد جاء يفوق الكل، فيه لا تقدم النبوة كمعرفة جزئية إنما هو "الحق عينه" و "المعرفة الكاملة"، في نفس الوقت هو رئيس الكهنة لا على مستوى تقديم ذبائح دموية إنما بالحب الإلهي يقدم حياته فدية عن شعبه، فيه تلتحم النبوة مع الكهنوت بطريقة فريدة فائقة، بها يفوق موسى العظيم في الأنبياء وهرون رئيس الكهنة المدعو من الله.

هذه مقدمة عن السيد المسيح للمقارنة بينه وبين موسى النبي والتي تتلخص في النقاط التالية:

أولاً: يبدأ الرسول ممتدحًا موسى النبي بكونه الأمين في كل بيته [٢]، ولم يبدأ بالكشف عن سمو السيد المسيح عنه ذلك بسبب شدة ارتباط اليهود بموسى، فقد خشي [لئلا يهرب السامع ويسد أذنيه

عنه. فمع كونهم مؤمنين، لكنهم كانوا لا يزالون يحملون مشاعر عميقة في ضمائرهم بصورة خاصة نحو موسى. [أما عبارته "في كل بيته"، فقصدها "وسط شعبه"، فقد كان موسى أميماً في رعايته للشعب كحارس ومدبر لهم.

لقد رفع الرسول بولس من شأن موسى إذ أعلن أنه أمين في كل بيته وأن السيد المسيح الذي أقامه الأب أمين أيضاً... وقد حاول الأريوسيون التركيز على هذه العبارة ليعثروا المؤمنين في شخص السيد المسيح، خاصة في قوله "أقامه"، معلنين أن هذا التعبير يجعل من السيد مخلوقاً أقامه الخالق على بيته أي كنيسته. وقد تصدى القديس أنثاسيوس الرسولي لهم في شرح هذه العبارة الرسولية، مؤكداً أننا نتطلع إلى السيد المسيح من جانبين، الجانب الأول بكونه كلمة الله الأزلي، وقد أقام لنفسه بيتاً في أحشاء البتول حيث صار واحداً مع ناسوتنا. هذا هو الذي يتحدث عنه سليمان الحكيم قائلاً: "بنت الحكمة بيتها" (أم ٩: ١). فكلمة الله هو بعينه الحكمة الذي بنى له بيتاً هو ناسوتنا الذي اتحد به.

يلحق أيضاً القديس أمبروسوس على هذه العبارة الرسولية، قائلاً: [هذا أنت ترى أن ما دعاه الرسول مخلوقاً إنما ما أخذه لنفسه من نسل إبراهيم، مؤكداً بوضوح بدء الجسد، إذ كيف يظهر خطايا الشعب إلا في جسده؟ أي شيء تألم فيه إلا جسده، إذ نقول أن المسيح تألم في الجسد؟ وفي أي شيء هو كاهن إلا لأنه أخذ لنفسه ما هو من الشعب الكهنوتي؟]

ثانياً: إن كان موسى أميماً في عمله الرعوي، لكي شتان ما بين أمانته وأمانة السيد المسيح، إذ يقول: "فإن هذا حسب أهلاً لمجد أكثر من موسى، بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت. لأن كل بيت يبنيه إنساناً ما، ولكن باني الكل هو الله" [٤-٣]. شتان ما بين السيد المسيح الخالق الذي هو باني البيت أي جابلنا والقادر على تجديد خلقتنا وبين العظيم موسى، فهو بحق أمين لكنه يشترك في كونه البيت عينه الذي يقوم السيد المسيح ببنائه!

ثالثاً: كان موسى أميماً كخادم شهادة، يشهد لرعاية الله ومحبته ويعلن ناموسه وشرائعه، لذا كان يخلع نعليه عند دخوله المقدسات (خر ٣: ٥) كخادم أمين يود أن يكون مقدساً لكي يلتقي بالقدوس. أما السيد المسيح فهو الابن الوارث كل شيء، إذ يقول الرسول: "وموسى كان أميماً في كل بيته كخادم، شهادة للعتيد أن يتكلم به، وأما المسيح فكان على بيته" [٥]. ويلحق القديس يوحنا الذهبي الفم، قائلاً: [الواحد (موسى) يهتم بممتلكات غيره، أما هذا فيهتم بممتلكاته الخاصة]، أي يهتم بنا نحن بيته، هيكله المقدس وموضوع ملكوته.

رابعاً: النتيجة العملية لهذه المقارنة هي: "وببيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية" [٦]. يلزمنا أن نبقي نحن كبيت الله الذي سبق فخدمه موسى كنبى أمين، ويقوم فيه الابن كصاحب بيت يقدسنا بروحه القدوس، كمسكن أبدي له لا يهلك إن تمسكنا بثقة فيه ووضعناه كرجاء لنا نفتخر به.

نختم هذه المقارنة بكلمات القديس يوحنا الذهبي الفم: [تراه يتحدث لا عن الهيكل بل الشعب كله... أتدرك كيف يفصل الرسول بين الشيء المصنوع (بيت الله) والصانع، بين الخادم والابن؟ أضف إلى هذا أنه بحق يدخل إلى ممتلكات أبيه كسيد بينما يدخل الآخر كخادم.]

## ٢. قسوة القلب

ينتقل الرسول في حديثه عن السيد المسيح مقارناً إياه ببنيه موسى إلى الشعب نفسه، فإن كان العبرانيون يفتخرون بقائدهم العظيم، لكن الشعب الخارج من مصر لم يدخل إلى الراحة الموعود

بها، لا عن ضعف في القائد وإنما بسبب العصيان في البرية. موسى كان أميناً، لكن الشعب بعصيانه وعدم إيمانه فقد ما وعدهم به الله خلال موسى. لهذا كان يليق بهم لا أن يفتخروا بموسى، بل يتطلعوا إلى أنفسهم لئلا يحرموا هم أيضاً من الراحة الحقيقية والتمتع بالمواعيد الإلهية كأبائهم بسبب قسوة قلوبهم الناتجة عن عدم الإيمان.

"الذِّكْرُ كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدْسُ:

الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلَا تُقْسُوا قُلُوبَكُمْ،

كَمَا فِي الإسْحَاطِ، يَوْمَ التَّجْرِبَةِ فِي الْقَفْرِ.

حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمْ.

اخْتَبِرُونِي وَأَبْصِرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً... [٧-٩].

هنا يقتبس الرسول النصف الأخير من المزمور الخامس والتسعين، فبعدما قارن بين أمانة السيد المسيح بكونه الابن الخالق لبيت الله والمهتم به، وبين أمانة موسى النبي بكونه الخادم الأمين والذي يمثل جزءاً لا يتجزأ من البيت نفسه، عاد ليكشف لهم كيف حُرِمَ آبَاؤُهُم من التمتع بالمواعيد الإلهية، إذ هلكوا في البرية، ولم يدخلوا أرض الموعد، بالرغم من أمانة موسى قائدهم. لقد هلك ذاك الجيل ليس عن نقص في الرعاية الإلهية ولا عن عدم أمانة القائد والخادم الأمين موسى، وإنما بسبب قسوة قلب الشعب وعدم إيمانهم. لقد كان الله يرعاهم أربعين عاماً، لما سبق وتحديثنا في أكثر من موضع أن رقم ٤٠ يشير إلى حياتنا الزمنية، فإن يد الله المترفقة لا تتوقف عن رعايتنا كل أيام حياتنا، مشتتةً الدخول بنا إلى راحته، لكن عدم الإيمان يحرماننا من هذه الرعاية، أو كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يقوم عدم الإيمان على القسوة، وكما في الجسد الأعضاء اليابسة القاسية لا تخضع ليدي الطبيب، هكذا لا تخضع النفوس القاسية لكلمة الله]. مادام القلب قاسياً لا يتقبل عمل الكلمة الإلهي فيه، إنما يسلك في عدم إيمان، حارماً نفسه من رعاية الله الفائقة!

ضرب لنا الرسول مثلاً عملياً بالخارجين من أرض مصر الذين فقدوا تمتعهم بمواعيد الله بسبب عدم إيمانهم التابع عن قسوة القلب، فعاشوا في حالة سخط وتذمر بلا انقطاع. فقبيل عبورهم البحر الأحمر وهم بعد في دائرة مصر، قالوا لموسى: "هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا نموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر!... كف عنا فنخدم المصريين" (خر ١٤: ١١). وبعد خروجهم عندما عبروا البحر الأحمر وترنموا للرب سرعان ما تذمروا على موسى إذ وجدوا المياه مرة (خر ١٥: ١١). وفي إيليم تذمروا مرة ثالثة، قائلين: "ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع" (خر ١٦: ٣). وفي عدم إيمان إذ أرسل الله لهم المن لم يطيعوا محتفظين بالمن للصباح التالي (خر ١٦: ١٩). وفي يوم السبت خرجوا، خلافاً للوصية، ليلتقطوا ممًا فلم يجدوا (خر ١٦: ٢٧). ولما أبطأ موسى عن النزول من الجبل أصروا أن يقيم لهم هرون عجلاً ذهبياً يسير أمامهم عوض الله (خر ٣٢). وفي عدم إيمان اشتهوا القثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم، قائلين عن المن: "والآن قد يبست أنفسنا، ليس شيء غير أعيننا إلى هذا المن" (عد ١١: ٦). وحين أرسل الله الجواسيس إلى كنعان ورجعوا، تذمرت الجماعة على موسى وهرون، قائلين: "ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف، تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر!" (عد ١٤: ٢، ٣). هكذا صارت حياتهم سلسلة من التذمر المستمر، وكان طبيعتهم نفسها قد صارت هكذا، لهذا أعلن الله رفضه هذا الجيل ولم يدخل منه

أرض الموعد غير يشوع وكالب. هذه التجربة الجماعية يلزم ألا تفارق أعيننا، حتى لا نفقد مواعيد الله بسبب قسوة قلوبنا.

هنا يركز على القلب الذي هو المنبع، فيمكن أن يكون هيكلًا مقدسًا للرب خلاله يتقدس الجسد كله بكل طاقاته، ويمكن أن يكون مصدرًا للشروع متى كان قاسيًا يرفض عمل النعمة فيه. أما العلاج فهو "التوبة" التي في جوهرها التجاء القلب إلى الله نفسه كسرّ حياته وخلصه وتقديسه. كلمة الله تجتذب القلب للتوبة، لذا يقول الرسول: "اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم". أما تأكيد الرسول لكلمة "اليوم"، ذلك لأن حياتنا بالأمس لا تشفع فينا إن كنا نعيش اليوم في قسوة القلب، والمستقبل ليس في أيدينا مادما لا نسمع صوت الله اليوم. أما إن عشنا اليوم في التوبة مصغين لصوته، فإننا ننتفع بالماضي ببركاته وضعفاته، ويفتح قلبنا بالرجاء من جهة المستقبل. يصير الزمن كله مكسبًا لنا مادامت حياتنا خاضعة للرب، لهذا يكمل الرسول هكذا:

"بَلْ عَطُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ،

مَادَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ،

لِكَيْ لَا يُقْسَى أَحَدٌ مِنْكُمْ بَعْرُورَ الْخَطِيئَةِ" [١٣].

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم: [فليعلم الواحد الآخر، تيقظوا لنلا يحل بكم ما حلّ بهم، "لكي لا يقسي أحد منكم بعورور الخطية"، أنظر كيف تلد الخطية عدم الإيمان؟ فكما أن عدم الإيمان يجلب حياة شريرة هكذا إذ تدخل النفس إلى عمق الشر تصير حمقى (أم ١٨: ٣)، وإذ تصير هكذا حمقى لا تقبل حتى أن تؤمن لكي تتحرر من المخافة.]

تخدع الخطية النفس فتجلبها إلى عدم الإيمان، وعدم الإيمان يدفعها إلى الخطية، وهكذا يدور الإنسان في دوامة عدم الإيمان والسقوط في الشر.

يكمل الرسول: "لأننا قد صرنا شركاء المسيح، إن تمسكنا ببداة الثقة ثابتة إلى النهاية" [١٤]. ينتقل بنا الرسول من المقال الذي اقتبسناه عن العهد القديم إلى حديث يخص العهد الجديد، فإن كان رجال العهد القديم قد سقطوا في قسوة القلب، فإن السيد المسيح قدم لنا الشركة معه كإمكانية جديدة حتى لا نسقط فيما سقط فيه الآباء. قدم لنا نفسه رأسًا، وصرنا نحن من لحمه وعظامه (أف ٣: ٦؛ رو ١٢: ٥) إن تمسكنا ببداة الثقة، أي تمسكنا بأساس الإيمان به كخالقنا ومجدد طبيعتنا.

يعود فيؤكد الرسول دورنا الإيجابي في التمتع بالراحة الموعود بها خلال الطاعة، قائلاً:

"إِذْ قِيلَ: الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلَا تُقْسُوا قُلُوبَكُمْ،

كَمَا فِي الْإِسْحَاطِ.

فَمَنْ هُمْ الَّذِينَ إِذْ سَمِعُوا أَسْحَطُوا؟

أَلَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ بِوَأَسِطَةِ مُوسَى؟

وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟

أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، الَّذِينَ جُنُّهُمْ سَقَطَتْ فِي الْقَفْرِ؟

وَلِمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ، إِلَّا لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا؟

فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ" [١٥-١٩].

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك القول الرسولي: [هم أيضاً سمعوا كما نسمع نحن، لكنهم لم ينتفعوا من السماع. فلا تظن أن الانتفاع هو بالسماع، فإنهم سمعوا ولم ينتفعوا شيئاً لأنهم لم يؤمنوا.]

- ١ من ثم ايها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا و رئيس كهنته المسيح يسوع
- ٢ حال كونه امينا للذي اقامه كما كان موسى ايضا في كل بيته
- ٣ فان هذا قد حسب اهلا لمجد اكثر من موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة اكثر من البيت
- ٤ لان كل بيت بينيه انسان ما و لكن باني الكل هو الله
- ٥ و موسى كان امينا في كل بيته كخادم شهادة للعتيد ان يتكلم به
- ٦ و اما المسيح فكابن على بيته و بيته نحن ان تمسكنا بثقة الرجاء و افتخاره ثابتة الى النهاية
- ٧ لذلك كما يقول الروح القدس اليوم ان سمعتم صوته
- ٨ فلا تقسوا قلوبكم كما في الاسخاط يوم التجربة في القفر
- ٩ حيث جربني ابائكم اختبروني و ابصروا اعمالهم اربعين سنة
- ١٠ لذلك مقت ذلك الجيل و قلت انهم دائما يضلون في قلوبهم و لكنهم لم يعرفوا سبلي
- ١١ حتى اقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي
- ١٢ انظروا ايها الاخوة ان لا يكون في احدكم قلب شرير بعدم ايمان في الارتداد عن الله الحي
- ١٣ بل عطوا انفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم لكي لا يقسى احد منكم بغرور الخطية
- ١٤ لاننا قد صرنا شركاء المسيح ان تمسكنا ببداة الثقة ثابتة الى النهاية
- ١٥ اذ قيل اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الاسخاط
- ١٦ فمن هم الذين اذ سمعوا اسخطوا ليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى
- ١٧ و من مقت اربعين سنة ليس الذين اخطوا الذين جثهم سقطت في القفر
- ١٨ و لمن اقسم لن يدخلوا راحته الا للذين لم يطيعوا
- ١٩ فنرى انهم لم يقدرُوا ان يدخلوا لعدم الايمان

## الأصاح الرابع

### المسيح ويشوع

بعد أن قارن الرسول بين السيد المسيح وأول قائد للشعب القديم "موسى" يتحدث هنا على خليفته يشوع الذي دخل بهم إلى أرض الموعد حيث الراحة. وقد ربط الرسول بين ثلاثة أنواع من الراحة: الدخول إلى راحة الله في اليوم السابع "السبت"، ودخول الشعب إلى أرض الراحة تحت قيادة يشوع، ودخولنا إلى الراحة الأبدية في المسيح يسوع سرّاً راحتنا.

١. حذر من عدم الإيمان ١ - ٣.

٢. اليوم السابع (الراحة) ٤ - ٥.

٣. أرض الموعد (الراحة) ٦ - ١٣.

٤. الراحة في المسيح ١٤ - ١٦.

### ١. حذر من عدم الإيمان

إذ سبق فضرب لنا الرسول مثلاً عملياً بالأباء الذين حرموا من الدخول إلى أرض الموعد، أي التمتع بالراحة، بسبب عدم إيمانهم، يحذرنا قائلاً: "فَلتُخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدِ بالدُخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ" [١]. من جانب الله قدم لنا وعدًا بالدخول إلى راحته، لكن من جانبنا يلزم أن نخف لنلا مع وجود الوعد الإلهي الصادق نُحرم من التمتع به. هو كأب فتح لنا باب الرجاء، ونحن كأبناء يلزمنا أن نخف، لا كعبيد في حالة رعب، وإنما نحمل خوف الابن الذي يخشى أن يجرح مشاعر أبيه بحرمان نفسه من الميراث الذي أعده الأب له. إن كان الله كأب قدم لنا دم ابنه ثمناً لخلاصنا، فبروح البنوة نخف لنلا نُحرم من هذا الخلاص. يقول الرسول بطرس: "وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غريبتكم بخوف، عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (١ بط ١: ١٧-١٩). ويقول الرسول بولس: "تمموا خلاصكم بخوفٍ ورعدةٍ" (في ٢: ١٢).

في حديث القديس أغسطينوس عن البتولية المقدسة يكتب إلى البتوليين معلناً خوفه عليهم لنلا يسقطون في الكبرياء فيحرمون من المسيح يسوع، حاثاً إياهم أن يسلكوا بخوف ورعدة في طريق خلاصهم، فمن كلماته: [أقول إنني في خوف عظيم عليكم لنلا تتفخروا إنكم ستتبعون الحمل أينما ذهب يذهب ولا تقدر أن تتبعوه في الطرق المستقيمة بسبب كبريائكم. إنه من الأفضل لك أيتها النفس البتول أنك وأنت بتول... أن تحلمي مخافة الرب وتلدي روح الخلاص. حقاً إنه "لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج" (١ يو ٤: ١٨) كما هو مكتوب، لكنها تطرد خوف الناس وليس خوف الله، الخوف من الشرور الزمنية وليس مخافة الدينونة الإلهية في الآخرة، "لا تستكبر بل خف" (رو ١١: ٢٠). حب صلاح الله، ولتخف صرامته ولا تكن متكبراً. بالحب خف لنلا تعصي بطريقة خطيرة (الله) الذي يُحب. أية معصية أشر من أن تحقره بالكبرياء، ذلك الذي من أجلك لا يسر بالمتكبرين!... إن كنت لا تحب فخف لنلا تهلك، وإن كنت تحب فخف لنلا تحزنه!]

إذن لنخف أنه مع بقاء وعد إلهي بدخولنا إلى راحته يخيب رجائنا بسبب عدم إيماننا أو تهاوننا. والعجيب أنه لا يقول: "وعد بالدخول إلى راحتنا" بل "وعد بالدخول إلى راحته". لأننا إذ ننعم براحتنا إنما ننعم براحتنا الحقّة. في المسيح يسوع ربنا وحده يجد الأب راحته من جهتنا إذ يقدمنا إليه أعضاء جسده، أعضاء مبررة ومقدسة بالدم الثمين، وبهذا تتحقق راحتنا نحن أيضاً، إذ فيه نستقر في أحضان الأب السماوي إلى الأبد. فالمسيح هو "سرّ الراحة الحقيقية" فيه يستريح الأب ونستريح نحن أيضاً.

انفتاح أبواب الرجاء للراحة، بثبوتنا في السيد المسيح، لا يدفعنا إلى التواكل والتراخي بل إلى الجهاد المستمر متمسكين بإقرار الإيمان والتقدم بثقة إلى عرش النعمة. كأن التمتع بالراحة يتطلب الحذر من عدم الإيمان والجهاد متمسكين بالإيمان في نمو دائم لهذا يقول: "فَلتُخَفْ... فَلتُجْتَهَدْ... فَلتُتَمَسَّكْ بالإقرار... فَلتُتَقَدَّمْ بثقةٍ إلى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَي نَنَال رَحْمَةً وَنَجِد نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" [١، ١١، ١٤، ١٦]. فالمخافة الإلهية تدفعنا إلى الاجتهاد، والاجتهاد يجعلنا نتمسك بإقرار الإيمان وهذا بدوره يجعلنا في حالة تقدم مستمر بيقين في عمل نعمة الله مطمئنين أن الله يعمل فينا في حينه، أي في الوقت المناسب.

## ٢. اليوم السابع

إذ حدثنا الرسول بولس عن الاجتهاد بخوف الله لنوال وعده بالراحة يربط بين هذا الوعد وباليوم السابع، أي السبت، الذي يعني في العبرية "راحة". "لأنه قال في موضع عن السابع: واستراح الله في اليوم السابع من جميع أعماله" [٤].

ما هو ارتباط الوعد بالدخول إلى راحته براحة الرب في اليوم السابع؟ إن كان الله قد استراح في اليوم السابع بعد أن خلق العالم كله في ستة أيام أي في ست حقبات زمنية، فلا يعني اليوم السابع راحته عن العمل، إذ يقول السيد المسيح: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). ويقول القديس إكليمنضس السكندري بأن الله لا يحتاج إلى يوم للراحة كالإنسان فإنه [لا يتعب ولا يمسه ألم ولا عوز]. إذن راحة الله في اليوم السابع إنما تعني فرحه وبهجته بخلقة الإنسان في اليوم السادس بعد أن أعد له كل احتياجاته قبل أن يجبله.

إن كان الله قد استراح في اليوم السابع، فإن الستة أيام تشير إلى الحياة الزمنية حيث يعمل الله على الدوام لحسابنا حتى متى جاء يوم الرب العظيم أي السبت الحقيقي يستريح الله بقيامتنا ولقائنا معه في الأمجاد، حيث يعلن كمال خلاصنا روحياً وجسدياً، ونوجد هناك معه وفيه إلى الأبد، في "السماء الجديدة والأرض الجديدة" (رؤ ٢١: ١)، في المدينة المقدسة أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها، والتي قيل عنها: "هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً" (رؤ ٢١: ٣). هذه هي الراحة الحقّة لله والناس، أو هو سبت الرب وسبتنا، وقد سبق لنا إدراك أن السيد المسيح هو "راحتنا الحقيقية" أو "سبتنا الحقيقي"، فيه استراح الأب في البشرية إذ وجدنا أعضاء في الجسد ابنه مقدسين ومبشرين، وفيه استرحنا في الأب إذ نجده أبانا السماوي بتمتعنا بالبنوة لله بنبوتنا في الابن الوحيد. تحققت الراحة بقيامة السيد المسيح من الأموات حيث أقامنا معه معطيًا إيانا سلطاناً على الموت وغلبة على الجحيم وتحطيمًا للخطية. فصار لنا حق الدخول إلى السماويات حتى حضن الأب باتحادنا في القائم من الأموات وللأب أن يقبلنا فيه كأعضاء جسد ابنه المحبوب. ويتحدث الأب برناباس من رجال القرن الثاني عن قيامة الرب كسرّ الراحة أو السبت الحقيقي، قائلاً: [نحن نحفظ اليوم الثامن (الأحد) بفرح، اليوم الذي فيه قام الرب من الأموات، ليعلن عن نفسه أن يصعد إلى السماوات.] وقد اعتادت الكنيسة منذ العصر الرسولي أن تقيم سرّ الإفخارستيا كسرّ للراحة الحقيقية، حيث تنعم بجسد السيد المسيح القائم من الأموات ودمه في يوم الأحد تذكّار قيامته!

يكمل الرسول بل حديثه عن راحة الله في اليوم السابع هكذا: "وفي هذا لن يدخلوا راحتي" [٥]... لماذا؟

أولاً: لأن اليهود أخذوا راحة اليوم السابع بمعنى التوقف عن العمل والبطالة دون عمل الخير... بل دنسوا السبت بالشر ففقدوا الراحة. لهذا ينصحننا القديس يوحنا الذهبي الفم، قائلاً: [لا يعني راحة الله) البطالة بل انتهاء التعب، فإن الله لا يزال يعمل حتى الآن كما يقول المسيح "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" لذا أطلب إليكم أن تتجنبوا الإهمال وتمثلوا غيراً من جهة الفضيلة لأن لذة الشر قصيرة، أما الله فباق. أما الفضيلة فعلى العكس فرحاً لا يشيخ، وأما تعبها فإلى حين.]

ثانياً: أما السبب الثاني لعدم دخولهم إلى راحة الله فهو عدم إيمان اليهود بالسيد المسيح الذي هو "السبت الحقيقي"، إذ يقول السيد نفسه: "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو ١٥: ٢٢)... لقد جاء السبت الحقيقي إلى العالم ورفضه اليهود فرفضوا راحتهم في الله. وكما يقول القديس يوحنا الإنجيلي: "إلى خاصته جاء، وخاصته لم

تقبله" (يو ١: ١١). جاء "السبت الحقيقي" ليعلن لهم الانطلاقة من حفظ السبت الحرفي والدخول إلى السبت الحقيقي، فجال يصنع خيراً في السبوت، مؤكداً لهم "أن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً" (مت ١٢: ٨؛ مر ٢: ٢٨؛ لو ٦: ٥).

### ٣. أرض الموعد (الراحة في كنعان)

انتقل الرسول بولس من الراحة التي لنا في الله في اليوم السابع أو السبت إلى الراحة التي صارت لشعب الله قديماً بدخولهم الأرض التي سبق فوعدهم بها، والتي تفيض لبناً وعسلاً، لكي يقارن بين يسوع المسيح قائدنا إلى الأرض الجديدة والسماء الجديدة ويشوع بن نون الذي دخل بهم ومعهم إلى كنعان ليهبهم الراحة التي وعد الله بها آباءهم... إذ يقول الرسول أن الله استمر يعدهم بالراحة حتى بعد تمتعهم بالأرض، كأن ما ناله الشعب بيشوع لم يحقق لهم كمال الراحة الحقة، وإنما كان رمزاً لراحة ينتظرونها: "لأنه لو كان يشوع قد أراحهم، لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر. إذا بقيت راحة لشعب الله" [٩]. لا تزال توجد راحة نسعى مجاهدين أن نتمتع بها كما استراح الله في اليوم السابع من أعماله ودخل الشعب أرض الراحة. "فلنجهتهد أن ندخل تلك الراحة، لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها" [١١]. هذه الراحة هي الاجتهاد في الحياة مع المسيح يسوع سرّ راحتنا. الإيمان به هو الراحة، والاجتهاد المستمر إنما يعني ثبوتنا في الراحة الأبدية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حقاً إن الإيمان لعظيم ويجلب خلاصاً، بدونه لا يمكن الخلاص قط... لكن الإيمان وحده لا يكفي لتحقيقه... إذ يقول: "فلنجهتهد". لا يكفي الإيمان، إنما يلزم أن يضاف إليه الحياة وغيرتنا أن نكون عظاماء. يوجد لزوم للغيرة العظمى أن نرتفع إلى السماوات. إن كان الذين نالوا ضيقات كثيرة في البرية لم يحسبوا أهلاً لأرض (الموعد) وكانوا عاجزين عن التمتع بها لأنهم تدمروا، فكيف بالأكثر نتأهل نحن للسماوات إن عشنا مهملين وعاطلين! إنما في حاجه إلى غيرة شديدة.]

ماذا يعني القول "فلنجهتهد... لئلا يسقط أحد"؟ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [تعني أنه يليق بنا أن يكون فكرنا ورجاؤنا وتوقعاتنا هناك (في السماء) لئلا نفشل]. كما يعني أيضاً أنه وإن كنا قد تمتعنا بالراحة في المسيح يسوع ودخلنا معه وفيه إلى السماويات يليق بنا أن نجهتد لننمو فيه، لئلا نسقط ونُحرم مما نحن عليه. وكما يقول الرسول بولس لأهل غلاطية: "أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأنتم بالروح تكملون الآن بالجسد!" (غل ٣: ٣). هكذا بعدما يبتدئ البعض بالروح فينعموا بالراحة الحقة في المسيح يسوع راحتنا يتراخوا في جهادهم ويسقطوا عن الراحة ليكملوا أيام زمانهم في الجسد، منحدرين من السماء إلى الأرض. لنجهتد أن نبقي عاملين في الروحيات ولا نرتد بعد إلى الجسديات، وكما يقول القديس چيروم: [لماذا نرغب نحن الذين مع المسيح قد صلبنا الجسد وشهواته وملذاته أن نمارس أعمال الجسد بعد؟] في المثال الذي ضربه السيد المسيح بخصوص الخروف الضال (لو ١٥) الذي من أجله ترك الراعي التسعة والتسعين يبحث عنه وسط الجبال، فإن هذا الخروف يمثل إنساناً كان يسلك وسط الجماعة المقدسة بالروح وقد سقط في الجسديات فحرم من الراحة الحقيقية.

أما سلاحنا الذي يسندنا للدخول إلى الراحة السماوية فهو كلمة الله، سواء الكلمة المكتوبة أو الكلمة الله المتجسد. "لأن كلمة الله حيّة وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدّين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميّزة أفكار القلب ونياتيه. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا." [١٢-١٣]. فالسيد المسيح هو كلمة الله الحيّ والفعّال الذي يدخل بنا إلى حياتنا الخفية، يعمل في القلب والحواس ويقدم كل أعضائنا، مهيباً إيانا بروحه القدس لينطلق بنا إلى حضن أبيه كورثة معه في ملكوته السماوي. إنه كاشف أسرارنا الداخلية وعارف بأعماقنا، يقدر على تجديدها المستمر. يقول البابا

أثناسيوس الرسولي: [ابن الله حيّ وفَعَال يعمل يومًا فيوم لخالص الكل]. كما يقول: [الإنسان يعمل لا بالكلمات بل باليدين لأنه مخلوق وكلمته ليست لها كيان. أما كلمة الله فكما يقول الرسول: "حيّ وفَعَال"... إذ هو خالق الكل وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو ١ : ٣)... لا يليق بنا أن نسأل: لماذا كلمة الله ليست ككلمتنا، مدركين أن الله ليس مثلنا.]

ما نقوله عن السيد المسيح كلمة الله الحيّ نكرره عن كلمة الله المكتوبة، فإننا إذ ننعّم بها إنما ندخل إلى اللقاء مع السيد المسيح نفسه المختفي وراء الحروف. بالروح القدس تدخل النفس إلى أعماق الكلمة، لننعّم بالحجال السماوي ونعيش مع كلمة الله الحيّ تتمتع بعمله فيها!

يحدثنا المرتل عن فاعلية كلمة الله في حياة المؤمنين، قائلاً: "إلى الدهر لا أنسى وصاياك، لأنك بها أحببتني"، سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي"، "فتح كلامك ينبير يعقل الجاهل"، "أبتهج أنا بكلامك، كمن وجد غنيمة وافرة" (مز ١١٩ : ٩٣، ١٠٥، ١٣٠، ١٦٢). لقد وجد المرتل في الوصية الإلهية إنها واهبة حياة وسرّ استنارة وينبوع حكمة وكنز غنى لنفسه!

#### ٤. الراحة في المسيح

إن كان يشوع بن نون لم يقدم الراحة الكاملة، وقد بقي وعد بالراحة [٩]... فما هي الراحة الحقيقية الكاملة؟ ومن الذي يقدر أن يدخل بنا إليها؟

يقول الرسول بولس: "فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار. لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" [١٤ - ١٦].

نحن نعلم أنه ما كان ليشوع بن نون أن يجتاز نهر الأردن بالشعب ليعبر إلى كنعان إلاّ ومعه رئيس الكهنة والكهنة اللاويون الحاملون التابوت المقدس، إذ "قال يشوع للكهنة احملوا تابوت العهد، واعبروا أمام الشعب" (يش ٣ : ٦)، ويقول الرب: "ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت الرب سيد الأرض كلها في مياه الأردن أن المياه المنحدرة من فوق تنفلق وتقف نداءً واحداً" (يش ٣ : ١٣). أما يسوع فهو "ابن الله" و"رئيس كهنتنا" لم يحمل تابوت عهد ليعبر بنا نهر الأردن ويدخل بنا إلى كنعان إنما بكونه واحداً في أبيه في جوهر اللاهوت اجتاز السماوات ليدخل بنا إلى كنعان السماوية وتستقر في حضن أبيه!

يقول الرسول "إذ لنا" فهو ليس مجرد رئيس كهنة بل هو "لنا"، قدم لنا ذاته لنحمله فينا، نملكه ويملكنا، يدخل إلى قلوبنا فندخل معه إلى سماواته. لهذا يقول إشعياء النبي: "يولد لنا ولد ونُعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أديباً رئيس السلام" (إش ٩ : ٦)، إنه المولود لنا ومُعطي لنا. هذا ما أكده ملاك الرب للرعاة حين بشرهم بميلاد السيد: "إنه ولد لكم اليوم... مخلص هو المسيح الرب" (لو ٢ : ١١). صار المسيح لنا حتى إذ اجتاز السماوات نجتازها معه وبه لنكون مع مسيحنًا!

يطالبنا الرسول أن نتمسك بالإقرار أي بالإيمان بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة، ونجد نعمة عوناً في حينه. الإقرار هو الإيمان، لنتمسك بالإيمان أنه "يسوع ابن الله"، أي مخلصنا ابن الله السماوي، القادر أن يجتاز بنا إلى مجده الأبدي. لنتقدم مجاهدين ومملوءين رجاءً إلى نعمة الله تسندنا وتهبنا العون، ولكن "في حينه". نطلب أن نجتاز مع يشوعنا الحق لا إلى أرض الموعد

الزمنية، بل إلى كنعان العليا، ندخل عربونها هنا، وندقوق ثمرها، وننعم بمجدها في القلب،  
وننطق بلغتها السماوية، ونحمل سمة مواطنيها، حتى متى حان الوقت ننعيم بها في كمال المجد.

ولئلا يتشكك أحد بسبب ضعفه أنه لا يقدر أن يجتاز مع السيد سماواته يقول: "لأن ليس لنا رئيسُ  
كهنَةٍ غير قادرٍ أن يرثي لضعفَاتنا، بل مُجربٌ في كلِّ شيءٍ مثلنا، بلا خطيئة". يقول القديس  
يوحنا الذهبي الفم: [إنه لا يجهل ما يخصنا كما يحدث مع كثير من رؤساء الكهنة، إذ لا يعرفون  
من هم في ضيقات... إذ يستحيل على الإنسان أن يدرك أحزان المتضايقين... أما رئيس الكهنة  
الذي لنا فقد احتمل كل شيء. تألم أولاً وعندئذٍ سعد لكي يكون قادراً أن يحنو علينا].

- ١ فلنخف انه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته يرى احد منكم انه قد خاب منه
- ٢ لاننا نحن ايضا قد بشرنا كما اولئك لكن لم تنفع كلمة الخبر اولئك اذ لم تكن ممتزجة بالايمان  
في الذين سمعوا
- ٣ لاننا نحن المؤمنين ندخل الراحة كما قال حتى اقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي مع كون  
الاعمال قد اكملت منذ تاسيس العالم
- ٤ لانه قال في موضع عن السابع هكذا و استراح الله في اليوم السابع من جميع اعماله
- ٥ و في هذا ايضا لن يدخلوا راحتي
- ٦ فاذا بقي ان قوما يدخلونها و الذين بشروا اولاً لم يدخلوا لسبب العصيان
- ٧ يعين ايضا يوما قانلاً في داود اليوم بعد زمان هذا مقداره كما قيل اليوم ان سمعتم صوته فلا  
تقسوا قلوبكم
- ٨ لانه لو كان يشوع قد اراحهم لما تكلم بعد ذلك عن يوم اخر
- ٩ اذا بقيت راحة لشعب الله
- ١٠ لان الذي دخل راحته استراح هو ايضا من اعماله كما الله من اعماله
- ١١ فلنجتهد ان ندخل تلك الراحة لئلا يسقط احد في عبرة العصيان هذه عينها
- ١٢ لان كلمة الله حية و فعالة و امضى من كل سيف ذي حدين و خارقة الى مفرق النفس و  
الروح و المفاصل و المخاخ و مميزة افكار القلب و نياته
- ١٣ و ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان و مكشوف لعيني ذلك الذي معه امرنا
- ١٤ فاذا لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات يسوع ابن الله فلنتمسك بالاقرار
- ١٥ لان ليس لنا رئيس كهنة غير قادر ان يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية
- ١٦ فلننتقدم بثقة الى عرش النعمة لكي ننال رحمة و نجد نعمة عوناً في حينه

## الأصاحح الخامس

### المسيح و هرون

إذ قارن الرسول بين الراحة التي قُدمت قديماً خلال يسوع كرمز، والراحة الحقة التي يقدمها لنا  
ربنا يسوع، بدأ حديثه في جوهر موضوع رسالته، ألا وهو "كهنوت السيد المسيح"، الذي هو  
ليس على رتبة هرون بل على رتبة ملكي صادق إلى الأبد، فبدأ هنا الحديث عن هرون بكونه  
أول رئيس كهنة مدعو من الله مباشرة لهذا العمل، والمتفوق على جميع رؤساء الكهنة الذين  
خلفوه، ليقدم لنا من هو أعظم منه بما لا يُقاس، ربنا يسوع الذي يدخل بنا إلى الأقداس السماوية،  
يشفع فينا على مستوى جديد وفريد.

١. المسيح رئيس كهنة ١ - ٥.

٢. رئيس كهنة من أجلنا ٧ - ١٠.

٣. الحاجة إلى بداعة أقوال الله ١١ - ١٤.

## ١. المسيح رئيس كهنة

عرض الرسول بولس سمات رئيس الكهنة وعمله ليكشف عن السمو الفائق للسيد المسيح متى قورن بهرون، وليوضح عمل السيد المسيح الكهنوتي بالنسبة لنا في ظل العهد الجديد.

**أولاً:** الشرط الأول في رئيس الكهنة أن يكون "مأخوذاً من الناس" [١]، فرئيس الكهنة يشفع عن بني جنسه "الإنسان" يشعر بضعفاته ويعمل باسمهم. وقد تحقق هذا الشرط في السيد المسيح، فإنه وهو ابن الله الوحيد تأنس، وصار كواحد منا غير غريب عنا، حتى يقوم بدوره الكهنوتي عن الناس، لكن شتان ما بين الكاهن الهاروني وبين السيد المسيح. الأول "قادرًا أن يترَفَّقَ بِالْجُهَالِ وَالضَّالِّينَ، إذْ هُوَ أَيْضًا مُحَاطٌ بِالضُّعْفِ" [٢]، أما الثاني فقادر أن يترَفَّقَ بِالْجُهَالِ وَالضَّالِّينَ، لأنه محاط بالضعف، وإنما لأنه وهو خالق الإنسان يدرك أسراره الداخلية، ويعرف ضعفاته، احتمل الآلام ودخل معنا في الضيق لا بسبب ضعف في داخله، إنما لكي يشاركنا أتعابنا ويعيش معنا وسط الضيقة. نحن دخلنا بسبب خطايانا فانكسرنا وسقطنا، أما هو فدخلها بسبب حبه، فلا تقدر الضيقة أن تبتلعه، ولا الألم أن يهزمه، ولا الموت أن يهلك حياته، إنما يحملنا في الضيقة وهو معنا فيها ليرفعنا إلى مجده، ويهبنا حياته المقامة. إنه مختبر للألم لكنه غير محاط بضعف داخلي. كان رئيس الكهنة الهاروني يقدم ذبائح عن جهالاته وخطاياها أولاً حتى يقدر أن يدخل إلى عمله الشفاعي عن الشعب الله، مقدمًا عنهم أيضًا ذبائح دموية، فيشفع بالصلاة مستندة على ذبائح حيوانية. أما رئيس الكهنة الجديد يسوع المسيح فلم يكن في عوز إلى ذبيحة كفارية عن نفسه لأنه بلا خطية، لذا يشفع لا بمجرد كلمات صلاة تقام، وإنما يحملنا فهي أعضاء جسده خلال ذبيحة نفسه التي قدمها في كمال حبه، ذبيحة فريدة قدمها مرة واحدة من أجل إخوته الأصاغر لم تقدم ولا تشيخ، فعالة على الدوام، قادرة أن تبررنا وتحملنا إلى حضن الأب. رئيس كهنتنا قدوس بلا عيب، لم تدفعه قداسته إلى القسوة على الخطاة وإدانتهم، بل بالحري أعلنت أنه وحده القادر على الشفاعة الكفارية، أي القادر أن يحملنا إلى حضن أبيه باتحادنا فيه. ذبيحته مقبولة ومرضية لدى الأب، لأنها بلا عيب قادرة أن تجعلنا نحن أيضًا موضوع رضاه!

قداسة رئيس كهنتنا كشفت بالأكثر عن أسرار عمق الحب الإلهي من جهة البشرية في أعماق خطيتها. إنه ينقش أسماءنا على حجارة كريمة مثبتة في صدرية، ليُدخَلَ بها إلى قدس الأقداس أمام تابوت العهد، وإنما ينقشها فيه، يضعنا في أحشائه، أسماؤنا مكتوبة بالدم الذكي الكريم، ليُدخَلَ بنا إلى السماوات عينها، مقدمًا إيانا أبناءً لأبيه السماوي!

**ثانيًا:** الشرط الثاني في رئيس الكهنة أن: " يُقَامُ لِأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا" [٢].

لا يقوم رئيس الكهنة الهاروني من بين الناس فحسب وإنما من لأجل الناس أيضًا، يقصد تقديم قرابين وذبائح عن الخطايا التي ارتكبوها حتى يصيروا لله، فهو لا يعمل لحساب أمورهم الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، إنما يهتم أولاً وأخيراً أن يقدمهم بالروح لله. أما الابن الوحيد الجنس فصار ابن الإنسان يتقدم إليهم كرئيس كهنة منهم و عنهم، مقدمًا حياته قربانًا وذبيحة حب لكي يطهرهم من الخطايا، مقدسًا ضمائرهم ومجددًا نفوسهم الداخلية، ليصيروا لله أبيه. يدخل بهم إلى البنوة للأب خلال تقديمهم باتحادهم معه وثبوتهم فيه.

كنا قبلاً مبيعين للخطية فملك الموت علينا (رو ٥: ١٢ - ١٤)، لكن إذ "مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨)، لم نعد تحت سلطان الموت وإنما صرنا أحياء في المسيح يقدمنا لأبيه، أو كما يقول الرسول: "كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ١١). هذا هو عمل السيد المسيح الكفاري، الأمر الذي يعجز عنه كل رئيس كهنة هاروني، إذ هو محتاج إلى من ينتشله من سلطان الموت ويرفعه عن الضعف؛ يقول الرسول: "وَلِهَذَا الضُّعْفِ يَلْتَرَمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ الْخَطَايَا لِأَجْلِ الشَّعْبِ هَكَذَا أَيْضًا لِأَجْلِ نَفْسِهِ" [٣].

ثالثاً: الشرط الثالث في رئيس الكهنة أن يكون مدعوً من الله "وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ، بَلِ الْمَدْعُوُّ مِنَ اللَّهِ، كَمَا هَارُونُ أَيْضًا. كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا لَمْ يَمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلِدْتُكَ. كَمَا يَقُولُ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ" [٤-٦]. يلزم أن يكون مدعوً من الله حتى يقبل الله القرابين والذبائح ويستجيب لشفاعته عن الشعب. هذا ما جعل اليهود يفتخرون بأن الله دعا هرون باسمه وبطريقة واضحة كأول رئيس كهنة لهم، أما رئيس كهنتنا يسوع المسيح فهو الابن الأزلي المدعو من الأب: "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك". دُعي بواسطة أبيه الواحد معه في الجوهر لا بتعيين خارجي كما هرون، إنما هي دعوة النور لبهائه غير المنفصل عنه. هو تخصيص عمل في الأقانيم الإلهية. الأب اختص بالتدبير والابن يعمل الخلاص والروح القدس بالشركة. إنه الكاهن السرمدى الذي قدم ذاته لأجل خلاصنا ويبقى كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

## ٢. رئيس كهنة من أجلنا

"الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ،

إِذْ قَدَّمَ بَصْرَاحَ شَدِيدٍ وَدُمُوعَ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ،

وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ،

مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ.

وَإِذْ كَمَّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلَاصِ أَبَدِيِّ،

مَدْعُوًّا مِنَ اللَّهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ" [٧-١٠].

قبل ناسوتنا وحمل جسدنا كقول الإنجيلي "والكلمة صار جسداً" (يو ١: ١٤) لكي يمارس عمله الكهنوتي عنا بتقديم حياته فدية. يقول الرسول "في أيام جسده" ليعلم أن ما تألمه في الجسد كما يقول معلمنا بطرس: "قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد" (١ بط ٤: ٢)، مقدماً نفسه بصراخ شديد ودموع وطلباتٍ وتضرعاتٍ، وكان معلمنا بولس يود أن يؤكد أن الآلام كانت حقيقية بما تحمله من مرارة وما تبعته من صرخاتٍ شديدة ودموع وطلباتٍ وتضرعاتٍ، وليس كما ادعى أصحاب الفكر الغنوسي أنها آلام وهمية، لأن جسده لم يكن إلا خيالاً. لقد تألم حقاً وصرخ بدموع وطلب وتضرع!

إنه ليس كهرون يلبس الثياب الكهنوتية ويمارس عمله الكهنوتي كطقس ليس فيه بذل من جانبه، بل بالعكس كان ينعم بالزينة مع كرامة الناس، أما يسوعنا فلبس ثوب تواضعنا، حمل جسدنا لكن بلا خطية ومارس كهنوته آلاماً وصرخات ودموعاً وطلباتٍ وتضرعات بل وموتاً على الصليب. التحم كهنوته بذبيحته فصار طقسه فريداً، طقس الآلام الحب البازل حتى الموت! لقد غير ربنا

مفهومنا للعمل الكهنوتي، فهو ليس كرامة وسلطاناً في عيني الكاهن، إنما هو قبول الموت مع المسيح الذبيح كل النهار من أجل المحبوبين! هذا ما عاشه الرسول بولس نفسه في ممارسته العمل الرسولي، إذ يقول: "وأما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم، وإن كنت كلما أحبكم أكثر أحب أقل، فليكن!" (٢ كو ١٢: ١٥، ١٦). ويحمل القديس يوحنا الذهبي الفم ذات الروح حين يعلن بذله لشعبه، قائلاً: [لبيكم تستطيعون معاينة النيران الملتهبة في قلبي، لتعرفوا إنني أحترق أكثر من سيدة شابة تنن بسبب ترملها المبكر، فإني لست أظنها تحزن على زوجها ولا يحزن أب على ابنه، كحزني أنا على هذا الجمهور الحاضر هنا]، ويقول القديس أغسطينوس: [جاء في الإنجيل: "ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة" (١ يو ٣: ١٦)... كما وضع نفسه لأجلنا، يلزمنا نحن أيضاً لأجل الآخرين ومن أجل الإيمان أن نضع نفوسنا.]

دخل رئيس كهنتنا إلى الآلام بصراخ شديد، فعالج مشكلة الألم لا بنزعها، وإنما بدخوله طريقها كرئيس الإيمان أو قائد الإيمان ومكمله، فندخل معه تحت رعايته مقتفين أثر خطواته، مختفين فيه فلا يكون لها سلطان علينا. بدخوله الآلام عن محبة لنا غير مفهوم الألم، فلم يعد بعد علامة للخضوع والغضب الإلهي بكونه ثمرة العصيان، إنما طريق الإتحاد مع المسيح المتألم وممارسة الشركة مع الثالوث القدوس.

**يتساءل البعض: لماذا كان يصرخ للقادر أن يخلصه؟ ألم يكن قادراً أن يخلص نفسه؟**

جاء السيد نائباً عنا، آدم الثاني الذي يعالج أخطاء آدم الأول، لهذا تقدم في طاعة كاملة لا ليعمل مشيئته الخاصة بل مشيئة الأب، بالرغم من كونهما يحملان مشيئة واحدة، إذ لا تعارض بينهما. لقد عمل الابن إرادة أبيه، وإن كانت لا تتعارض مع إرادته، عمل ذلك معلناً أننا فيه نحيا سالكين بإرادته لا إرادتنا الذاتية.

هل صرخ السيد ليخلصه الأب من الموت وقيمه؟ إذ دخل السيد في دائرة الصليب في طاعة كاملة للأب صرخ مقدماً طلبات وتضرعات، قائلاً: "نفسى حزينة جداً حتى الموت"... "لنكن إرادتي بل إرادتك"... كان لا بد أن يصرخ ويئن لأنه صار إنساناً حقاً وحمل الآلام الحقيقية! إنه أعلن عن دخوله تحت الآلام دون أن يطلب القيامة، لأن القيامة ليست أمراً خارجاً عنه، بل كما قال لمراثا: "أنا هو القيامة" (يو ١١ : ٢٥). يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لم يُصل للأب في أي موضع بخصوص قيامته، بل على العكس أعلن بوضوح: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو ٢ : ١٩)، وأيضاً: "لي سلطان أن أضع حياتي، وليس سلطان أن أخذها" (يو ١٠ : ١٨). ما هذا إذن؟ لماذا صلي؟... لقد صلي من أجل الذين آمنوا به (ليقتدوا به).]

لقد قام السيد بسلطانه، لكنه في طاعة وخضوع لإرادة الأب، معلناً الأب بذلك تقوى الابن المستحق للقيامة. هو القيامة بعينها لكنه بالحياة التقوية قبل إرادة الأب أن يقوم، لكي بتقواه وبره نحن أيضاً ننعم الحياة المقامة.

أخيراً إذ أطاع الابن خاضعاً للآلام حتى الموت مكملًا خلاصنا الأبدي نتعلم فيه نحن أيضاً الخضوع للألم كطريق للخلاص. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إن كان وهو الابن قد اقتنى الطاعة بالآلام، فكم بالأكثر يلبق بنا أن نطيع!]

### ٣. الحاجة إلى بداعة أقوال الله

إذ رأى الرسول في هذه المقارنات أموراً عسيرة الفهم بالنسبة لهم أكد لهم أنه يقدم الأساسيات التي هي كاللبن يشربه الأطفال المبتدئون؛ قدم لهم لبن الحق الإنجيلي بطريقة يمكن للطفل أن يفتق عليه.

"الَّذِي مِنْ جِهَتِهِ الْكَلَامُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا، وَعَسِرُ التَّفْسِيرُ لِنُطْقِ بِهِ،

إِذْ قَدْ صِرْتُمْ مُتَّبَاطِنِي الْمَسَامِعِ.

لَأَنْتُمْ إِذْ كَانِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طَوْلِ الرَّمَانِ،

تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدًا مَا هِيَ أَرْكَانُ بَدَءَةِ أَقْوَالِ اللَّهِ،

وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ لِأَنَّ طَعَامَ قَوِيٍّ.

لَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبْنَ هُوَ عَدِيمُ الْخَبْرَةِ فِي كَلَامِ الْبِرِّ لِأَنَّهُ طِفْلٌ،

وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ،

الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُ مُدْرَبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" [١١-١٤].

يشبه الرسول هؤلاء المرتدين إلى الفكر اليهودي بالأطفال غير الناضجين. كان يليق بهم أن يكونوا معلمين، فإن اليهود لهم خبرة طويلة في الحديث مع الله ومنهم ظهر الأنبياء واليهب سلمت الشريعة. وكان يليق بهم أن يقوموا بدورهم القيادي الروحي للعالم الأممي كله، لكنهم عوض أن يصيروا معلمين سلخوا كأطفال صغار يحتاجون من يسقيهم التعليم.

يقول الرسول الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لنتطق به، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ليس لأنه هكذا هو بطبيعته وإنما لأنهم هم "متباطو الفهم" كقول الرسول. هذه هي طبيعة الإنسان الضعيف أن يرتبك بالكلمات القليلة كما بالكثيرة، وما هو واضح وسهل يظنه عسر الفهم. لئنه لا يكن أحد منا هكذا.] فالعيب إذن ليس في الإيمان وإنما في ضعف اليهود الذين نالوا النبوات واضحة والرموز التي تعلن الإيمان الحق، لكنهم تعسروا في فهمه وارتبكوا في إدراكه، إذ حصر فكرهم في الحرف القاتل! هذا ما حبس نموهم وأفقدتهم نضوجهم، فأصبحوا في حاجة إلى اللبن البسيط، عوض أن ينعموا بالطعام القوي الذي للبالغين. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يوجد ضعف في الاستماع وذلك كالمعدة الضعيفة التي لا تتقبل كل الأطعمة الدسمة العسرة الهضم. هكذا النفس أيضاً متى كانت متعجرفة ثائرة ومتوترة الأعصاب ومستتهرة فإنها لا تقدر أن تتقبل كلمة الروح. اسمع قول الرسول: "هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه؟!"] (يو ٦: ٦٠)، لكن متى كانت النفس قوية وصحيحة يكون كل شيء بالنسبة لها سهلاً وخفيفاً ويصير كل شيء بالنسبة لها في أكثر سمو ونشاط، فترتفع محلقة في الأعلى.]

إن كان اليهود لم يختلوا مكانتهم كمعلمين، بل في ضعف صاروا كأطفال، لهذا يقدم لهم الرسول اللبن. بقولنا "اللبن" لا نقول من شأن الإعلان الإنجيلي الأساسي، لكن يليق بالمؤمن ألا يقف عند الطفولة الروحية بل يسلك نحو النضوج ليتمتع بالطعام القوي الخاص بالبالغين، وذلك بسبب تمرنهم العملي على التمتع بالمعرفة الروحية، فالتمييز بين الخير والشر لا يقف عند السلوك وحده ولا عند المعرفة وحدها إنما يمسه الحياة الإيمانية العملية من كل جوانبها. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لا يعرف الطفل أن يميز بين الطعام الصالح والريء، فغالباً ما يضع بعض القانورات في فمه، ويضع ما هو ضار، صانعاً هذا عن عدم تمييز، أما الناضج فلا يفعل هكذا.] ويُلاحظ أن الطفل بسبب عدم قدرته على التمييز يحتاج إلى الأم لتقدم له اللبن النقي غير الغاش، أما متى نضج فتقدم له الطعام القوي الذي يناسبه، وهكذا من له يُعطى فيزداد.

إن كانت الكنيسة كما تقدم لأطفالها لبناً والكبار طعاماً قوياً، فهل تقدم طعامين مختلفين أو تعليمين مختلفين؟ يستحيل، فإن عمل الكنيسة الواحد هو تقديم عريسها ربنا يسوع المسيح لكل إنسان، لكنها تقدمه للأطفال بطريقة تناسب إمكانياتهم ولل كبار بطريقة أخرى، إنه مسيح واحد للجميع للأطفال والكبار وللقديس أثناسيوس حديث جميل في هذا الأمر، إذ يقول: [بالنسبة للذين لم يبلغوا بعد طريق الكمال يصير (اللوعوس) كغنمة تعطي لبناً، هذا ما استخدمه بولس قاتلاً: "سقيتكم لبناً لا طعاماً" (١ كو ٣: ٢). أما الذين تقدموا وبلغوا فوق قامة الطفولة لكنهم لا يزالون ضعفاء بالنسبة للكمال فيكون لهم (اللوعوس) طعاماً قدر طاقتهم، وكما قدم بولس "وأما الضعيف فيأكل بقولاً" (رو ١٤: ٢). لكن إذ ينطلق الإنسان ويسير في طريق الكمال لا يعود يفتت على الأمور السابقة بل يكون له اللوعوس كخبز ولحم للطعام، إذ هو مكتوب: "وأما الطعام القوي للبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة" (عب ٥: ١٤).].

إذن قدم الرسول لشعبه الكلمة تارة لبنا وأخرى بقولا وثالثة طعامًا قويًا قدر ما يحتمل السامعون أن يقبلوا ويميزوا!

- ١ لان كل رئيس كهنة ماخوذ من الناس يقام لاجل الناس في ما لله لكي يقدم قربانين و ذبائح عن الخطايا
- ٢ قادرا ان يترقق بالجهال و الضالين اذ هو ايضا محاط بالضعف
- ٣ ولهذا الضعف يلتزم انه كما يقدم عن الخطايا لاجل الشعب هكذا ايضا لاجل نفسه
- ٤ و لا ياخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضا
- ٥ كذلك المسيح ايضا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له انت ابني انا اليوم ولدتك
- ٦ كما يقول ايضا في موضع اخر انت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق
- ٧ الذي في ايام جسده اذ قدم بصراخ شديد و دموع طلبات و تضرعات للقادر ان يخلصه من الموت و سمع له من اجل تقواه
- ٨ مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تالم به
- ٩ و اذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص ابدي
- ١٠ مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق
- ١١ الذي من جهته الكلام كثير عندنا و عسر التفسير لننطق به اذ صرتم متباطئي المسامع
- ١٢ لانكم اذ كان ينبغي ان تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون ان يعلمكم احد ما هي اركان بداءة اقوال الله و صرتم محتاجين الى اللين لا الى طعام قوي
- ١٣ لان كل من يتناول اللين هو عديم الخبرة في كلام البر لانه طفل
- ١٤ و اما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب الثمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير و الشر

## الأصحاح السادس

### أحاديث إيمانية

بعد أن تحدث عن السيد المسيح رئيس الكهنة السماوي، مقارنًا إياه بهرون، بدأ يتحدث عن جوانب إيمانية، حتى يتحدث عن السيد المسيح كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق إلى الأبد، ومنه ينتقل إلى عمل المسيح الكهنوتي.

١. الاستنارة والتوبة ١ - ٨.

٢. الجهاد الحي ٩ - ١٢.

٣. الوعد لإبراهيم بقسم ١٣ - ٢٠.

١. الاستنارة والتوبة

"إِذْكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلَامَ بَدَاءَةِ الْمَسِيحِ لِنَتَقَدَّمَ إِلَى الْكَمَالِ،

غَيْرَ وَاضِعِينَ أَيْضًا أَسَاسَ التَّوْبَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَيِّتَةِ، وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ،

تَعْلِيمَ الْمَعْمُودِيَّاتِ، وَوَضَعَ الْأَيْدِي،

قِيَامَةَ الْأَمْوَاتِ، وَالذَّيْنُوتَةَ الْأَبَدِيَّةَ،

وَهَذَا سَنَفَعُهُ إِنْ أَدِنَ اللَّهُ" [١-٣].

ماذا يقصد بكلام براءة المسيح الذي يترك الرسول الحديث عنه ليتقدم إلى الكمال؟ إنه يسرد ستة بنود كأساسيات للإيمان المسيحي، كل بندين مرتبطان معاً، هذه التي تعلمها كل مسيحي نال المعمودية، وأمن بها كأمر أساسية لا تحتاج بعد إلى تفسير. إنها الحروف الأبجدية بالنسبة للمؤمن، أساسيات لازمة وضرورية لكنها كمبادئ أساسية لا تحتاج بعد إلى شرح بعد إيمانه بها وتمسكه بها قبل نواله سرّ الاستنارة. هذه الأساسيات هي:

١ ، ٢. **التوبة من الأعمال الميتة والإيمان:** هذان هما أول بندان، بدونهما يفقد الإنسان عضويته في الكنيسة أو مسيحيته. لقد وضع التوبة عن أعمال الشر الميتة قبل الإيمان مع أن التوبة إنما هي ثمرة من ثمار الإيمان، لكن الرسول أراد أن يعطي للتوبة أهميتها فلا إيمان خارج التوبة. وكما يقول معلمنا يعقوب: "ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟... أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني" (يع ٢: ١٤، ١٨).

٣ ، ٤. **تعليم المعموديات ووضع الأيدي:** من أساسيات الحياة المسيحية أن يتقبل الإنسان الدفن مع السيد المسيح في المعمودية لينعم بالقيامة معه، أي ينال الحياة الجديدة في المسيح يسوع (رو ٦: ٤)، وينعم بحلول الروح القدس عليه خلال وضع الأيدي لتقديس النفس والجسد معاً ليصير الإنسان هيكلًا مقدسًا.

٥ ، ٦. **قيامه الأموات والدينونة الأبدية:** يكمن رجاء المؤمن في قيامة الأموات حيث ينعم جسده مع نفسه بالحياة الأبدية على مستوى ملائكي سماوي، مترقبًا الدينونة لينال إكليله من يدي عريس نفسه يسوع المسيح.

البندان الأولان يمثلان الأساس الذي تقوم عليه حياتنا وهو "الإيمان الحي المعلن خلال التوبة عن الأعمال الميتة"، والبندان التاليان فيمثلان إمكانيات عمل الله في حياته، أي التمتع بالبنوة لله في المعمودية وسكنى الروح القدس بوضع الأيدي (أو الميرون)، والبندان الأخيران هما رجاء المؤمن بدونهما يفقد طريقه ويتحطم باليأس!

يرى البعض أن الرسول وهو يحدث المسيحيين العبرانيين يشير إلى البنود الأساسية التي يقوم عليها الإيمان المسيحي ولها جذور في العهد القديم، لذا فلا حاجة له أن يحدثهم عنها، فالمسيحي الذي من أصل يهودي يسهل أن يتقبل طريق التوبة خلال الإيمان بالمسيا المخلص، ويدرك سرّ المعمودية ووضع الأيدي اللذين تعرض لهما العهد القديم خلال الرموز والظلال مهينًا إياه لقبولها، ومترجيًا القيامة من الأموات والدينونة الأبدية.

إنه يترك الحديث عن هذه الأمور ليعالج أمرًا هامًا يبدو أنه قد حدث خلاف حوله، وهو ما هو موقف الكنيسة من المؤمن الذي اعتمد واستنارت نفسه بالروح القدس وارتوى بكلمة الإنجيل وتمتع ببهجة الخلاص واختبر قوة الحياة الجديدة السماوية، ثم عاد فارتد عن الإيمان أمام ضغط الاضطهاد أو تحت إغراءات الخطية؟ هل إن عاد تائبًا عن ارتداده يحتاج إلى التجديد مرة أخرى خلال سرّ المعمودية؟ ويجب القديس بولس رافضًا إعادة معموديته، إذ يقول:

"لأنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا (نالوا سرّ الاستنارة أي العماد) مرَّةً،

وَدَأَفُوا الْمَوْهَبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ،

وَدَأَفُوا كَلِمَةَ اللَّهِ الصَّالِحَةَ وَقَوَّاتِ الدَّهْرِ الْآتِي،

الحياة الجديدة السماوية وسَقَطُوا،

لَا يُمَكِّنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا (أي إعادة المعمودية كسر التجديد) لِلتَّوْبَةِ،

إِذْ هُمْ يَصَلِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ابْنَ اللَّهِ ثَانِيَةً وَيُشْهَرُونَهُ" [٤-٦].

هذا التفسير قدمه لنا القديس يوحنا الذهبي الفم مؤكداً أنه يستحيل إعادة المعمودية الراجعين إلى الإيمان بعد ارتدادهم، كما يقول: [لقد منعهم (من إعادة المعمودية) بقوله "لا يمكن" فإنه لا يمكن ممارسة ما هو مستحيل! يقول إن الذين استنبروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية أي نالوا المغفرة وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة متحدتاً هنا عن التعليم، وقوات الدهر الآتي - ما هي القوات التي يتحدث عنها؟ إنها صنع المعجزات أو غيرة الروح (٢ كو ١: ٢٢) - وسقطوا يستحيل تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه... لا يعني هذا استبعاد التوبة، حاشا! إنما استبعاد (إعادة) التجديد بواسطة الجرن، إذ لم يقل "لا يمكن (يستحيل)" بخصوص التجديد بالتوبة، وإنما أكمل قائلاً: "يستحيل... إذ هم يصلبون ابن الله ثانية". فكلمة "التجديد" هنا، أي "يجعله جديداً" أي "يجعل الإنسان جديداً" إنما هو من عمل الجرن وحده، إذ قيل "يجدد مثل النسر شبابك" (مز ١٠٣: ٥)، أما التوبة فتعمل في الذين تجددوا لكن بالخطايا صاروا قدامى، فتحررهم من هذا القَدَم ليصيروا أقوياء.]

يؤكد القديس ذاته أن الرسول يتحدث عن إعادة المعمودية مدلاً بقول الرسول "إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه"، لأن المعمودية هي صلب مع السيد المسيح، وإعادتها إنما تعني تكرار صلبه فنكون كمن يشهر به.

"لأنَّ أَرْضًا قَدْ شَرَبَتِ الْمَطَرَ الْآتِيَّ عَلَيْهَا مِرَارًا كَثِيرَةً،

وَأَنْتَجَتْ عُشْبًا صَالِحًا لِلَّذِينَ فَلَحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ،

تَنَالُ بَرَكَهَ مِنَ اللَّهِ.

وَلَكِنْ إِنْ أُخْرِجَتْ شَوْكًا وَحَسَا،

فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ،

الَّتِي نَهَايْتُهَا لِلْحَرِيقِ" [٧-٨].

وكان القلب الذي يتقبل نعم الله المجانية كالأرض التي تترتوي بالمطر مراراً يصير بركة؛ هذه النعم الإلهية أو الأمطار هي عطايا ومواهب الثالوث القدس المجانية التي ننالها خلال المعمودية وسر الميرون وسماعنا لكلمة الله الحية الخ. هذه النفس التي تتقبل المطر المجاني والبركات السماوية إذا لم تتجاوب معها ترتد إلى برية قاحلة، تنتج شوكاً وحسكاً لا يصلح لشيء إلا لأن يحرق بالنار. لكن دموع التوبة الصادقة تعيد إلينا ثمر الروح، وتحول بريتنا إلى جنة مقدسة ينعم العريس السماوي بثمره فيها.

ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المطر هنا يشير إلى تعليم الكتاب المقدس كما جاء في الكتاب نفسه، إذ يقول الله على لسان إشعياء النبي متحدتاً عن كرمه المثمر: "وأجعله خراباً لا يُقضب ولا يُنقب، فيطلع شوك وحسك، وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطراً" (٥: ٦). وعلى

لسان عاموس النبي: "هوذا أيام تأتي يقول السيد أرسل جوًا في الأرض، لا جوًا للخبز وعطشًا للماء بل لاستماع كلمات الرب" (٨: ١١). كما يقول المرتل: "نهر الله ملآن ماء" (مز ٦٥: ٩). فالأرض التي تتقبل مياه الأمطار الإلهية إي الكلمة السماوي تأتي بثمر الروح المفرح، وتصير هي نفسها بركة، أما التي تسمع الكلمة ولا تعمل تكون كأرض لم تتقبل المطر، فتصير تحت اللعنة. لهذا يقول السيد المسيح لليهود: "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو ٢٥: ٢٢). لقد جاء وقدم لهم نفسه "الكلمة الإلهي" المطر السماوي، منتظرًا من كرمه الثمر فأخرج شوگا (إش ٥: ٢)، أي أخرج خطية وجوّدًا في عدم إيمان.

وعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا النص بقوله: [أخشى أن تنطبق هذه الأمور علينا أكثر مما على غيرنا، إذ يقول: "لأن أرضنا قد شربت المطر الآتي عليها"، فإننا نشرب على الدوام، ونسمع باستمرار، لكن إذ تشرق الشمس (مت ٨: ٦) نفقد في الحال رطوبتنا ونخرج شوگا، إذن ما هو الشوك؟ لنسمع المسيح يقول: "همّ هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر" (مت ١٣: ٢٢).]

## ٢. الجهاد الحي

إذ تحدث بالأمور السابقة أراد أن يحذرهم لئلا يعيشوا بلا ثمر بالرغم من وجود المطر الإلهي المتكاثر، فيخرجون أشواگا ويحملون اللعنة عوض تمتعهم بغنى عطايا الله الكثيرة المجانية. وإذ خشي عليهم الرسول لئلا يسقطوا في اليأس أسرع يبعث فيهم روح الرجاء كعادته، مؤكدًا لهم أنه لا يرى فيهم أرض لعنة بل أرض بركة، قائلًا: "وَلَكِنَّا قَدْ تَبَقْنَا مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ أُمُورًا أَفْضَلًا، وَمُخْتَصَمَةً بِالْخَلَّاصِ، وَإِنْ كُنَّا نَتَكَلَّمُ هَكَذَا" [٩]. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ماذا يقول؟ لسنا ننطق بهذه الأمور لكي ندينكم، ولا لأنني أظن أنكم مملوءون شوگا، وإنما أخاف عليكم لئلا تصيروا هكذا، فمن الأفضل أن أركبكم بالكلمات عن أن تسقطوا في هذه الأمور. هكذا هي حكمة بولس.]

يعود الرسول فيرد أنفاسهم بقوله: "لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم. ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ليقيم الرجاء إلى النهاية، لكي لا تكونوا متباطئين بل متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرتئون المواعيد" [١٠-١٢].]

علق القديس يوحنا الذهبي الفم على العبارة السابقة، قائلًا: [يا له من مصلح لأرواحهم إذ يقدم لهم قوة جديدة بتذكيرهم بالأمور القديمة محضراً إياهم إلى عدم افتراض أن الله ينسى (تعبه السابق)... وذلك كما كتب لأهل غلاطية "كنتم تسعون حسناً" (٧: ٦)، وأيضاً: "أهذا المقدار احتملت عبياً؟! (٣: ١٤). وكما يمزج المديح بالتوبيخ هنا بقوله: "إذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين" (عب ٥: ١٢)، هكذا أيضاً في الرسالة إلى أهل غلاطية، إذ يقول: "إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً" (غل ١: ٦)، هكذا مع التوبيخ يوجد مديح.]

يا لحكمة الرسول بولس فيما هو يوبخ ويحذر مشبهًا إياهم بالأرض الراضة للمطر الإلهي، الحاملة للشوك والحسك علامة اللعنة، يفتح لهم أبواب الرجاء، لئلا يهلكوا بسبب اليأس، فيعلن لهم أن الله ليس بظالم حتى ينسى أتعاب محبتهم التي أظهروها نحو اسمه وترجموها إلى عمل خلال خدمتهم السابقة للقديسين والحالية أيضاً، هكذا امتاز الرسول بولس - مع صراحته الشديدة وعدم مجاملته لإنسان على حساب الحق - أن يظهر لطيفًا للغاية في توبيخاته للأخريين. فهو وسط التوبيخ يشجع دون أن يتملق أو يداهن. إنه يحث الكل على الجهاد المستمر دون تباطؤ، يلهبهم

بنيران الإيمان الحيّ وطول الأناة، ويرفع أنظارهم إلى ميراث المواعيد الإلهية. بحق يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [يحملنا الرجاء إلى الأمام. إنه يشفيننا! لا تكن قلقًا ولا تيأس، لئلا يصير رجاؤك باطلاً.]

هكذا يليق بكل خادم للسيد المسيح أن يتمثل بالرسول بولس، رسول الرجاء، يسند كل قلب حتى في أمر لحظات التوبيخ، متمثلاً بالسيد المسيح الذي قيل عنه: "قصبه مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ، حتى يخرج الحق إلى النصر، وعلى اسمه يكون رجاء للأمم" (مت ١٢: ٢٠، ٢١؛ إش ٤٢: ١).

إن كان التوبيخ لازماً كي لا تسترخي النفس في الشر وتستطيب له، فإن الرجاء يسندنا على التوبة والجهاد بفرح دون أن يحطمها اليأس.

هكذا شجع الرسول بولس من يكتب إليهم، مؤكداً لهم أن الله لا ينسى تعب محبتهم، خاصة خدمتهم للقديسين. فماذا يقصد بالقديسين؟ يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [كل مؤمن هو قديس بالرغم من كونه إنساناً يعيش في العالم، إذ يقول (الرسول) "لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة، وبالمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل" (١ كو ٧: ١٤)]. انظر كيف يقيم الإيمان القداسة؟ فإن رأينا علمانياً (واحدًا من الشعب) في ضيقة يلزمنا أن نمد يدنا إليه، فلا نكون غيورين تجاه سكان الجبال وحدهم، فإن هؤلاء بحق هم قديسون في سلوكهم كما بالإيمان، أما الأولون فقديسون بايمانهم والكثير منهم بالسلوك أيضاً. إذن لبتنا لا نذهب إلى راهب ملقى في السجن بينما نمتنع عن الذهاب إلى واحد من الشعب. فالأخير قديس وأخ؛ بل وإن رأينا وثنيًا في ضيقة فلنظهر له حنوًا، وهكذا نحن نحنو على كل إنسان في ضيقة وخاصة المؤمن. أصغ إلى بولس القائل: "فلنعمل الخير للجميع ولاسيما لأهل الإيمان" (غلا ٦: ١٠). وكما يقول **القديس جيروم**: [من واجبك أن تكسي المسيح في الفقير، وتزوره في المريض، وتطعمه في الجائع، وتأويه فيمن ليس له مأوى، خاصة الذين هم من أهل الإيمان، فتسند جماعات البتوليين وتهتم بخدام الله الذين هم مساكين يعيشون الحياة الملائكية وينطقون بتسابيح الله وهم على الأرض].

### ٣. الوعد لإبراهيم بقسم

إذ تحدث الرسول عن الجهاد الحيّ الصادر عن نفس مؤمنة ترجمت إيمانها عمليًا خاصة في خدمة القديسين يقدم لنا "إبراهيم" أب الآباء ورجل الإيمان العملي، هذا الذي نال الوعود الإلهية بقسم إلهي: "فإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَحْضَرٌ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ، قَائِلًا: إِنِّي لِأَبَارِكَنَّكَ بِرَكَّةٍ وَأَكْثَرَنَّكَ تَكْثِيرًا. وَهَكَذَا إِذْ تَأْتَى نَالُ الْمَوْعِدِ" [١٣-١٥].

كان من جانب الله أن يهب الوعد ويثبتته بالطريقة التي يفهمها الإنسان، إذ يقول: "فإنَّ النَّاسَ يُقْسِمُونَ بِالْأَعْظَمِ، وَنَهَايَةُ كُلِّ مُشَاجِرَةٍ عِنْدَهُمْ لِأَجْلِ التَّثْبِيثِ هِيَ الْقَسْمُ" [١٦]. وكان القسم هي اللغة التي يفهمها البشر لتثبيت الوعد؛ أما من جانب الإنسان فهو بالإيمان العملي ينال إن تأتى. العطية مجانية وعظيمة وأكيدة، لكن ينالها من تأتى في صبر وإيمان!

من جهة القسم الإلهي يقول **القديس أغسطينوس**: [إنه لأمر عظيم أن يتكلم الله فكم بالأكثر حينما يقسم! ... إنه يستخدم القسم للتثبيت. وبمن يقسم؟ يقسم بنفسه، وبنفسه يثبت مواعيده.]

هكذا يهب الله الوعد ويعطي العون، لكننا لا نقف في سلبية تجاه هذا العون الإلهي إنما يجب أن نقابل وعود الله وعونه بالتجاوب العملي وطول الأناة، فهو يقدر الإرادة البشرية والحرية الإنسانية، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [الله لا يريد أن تكون العطية بكاملها من

جانبه... الله يريد أن يظهر العبد وكأنه ساهم في شيء، فلا يسقط في الخجل]، ويقول أيضاً: [النعمة دائماً مستعدة! إنها تطلب الذين يقبلونها بكل ترحيب. هكذا إذ يرى سيدنا نفساً ساهرة وملتهبة حباً يسكب عليها بفيض غناه، وبغزارة تفوق كل طلبته.]

يختم الرسول حديثه عن الوعد لإبراهيم، قائلاً: "فَلِذَلِكَ إِذْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيرًا لُورَتَهُ الْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغْيِيرِ قَضَائِهِ، تَوَسَّطَ بِقِسْمٍ، حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمِي التَّغْيِيرِ، لَا يُمَكِّنُ أَنَّ اللَّهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ التَّجَانَا لِنُحْسِبَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةً وَتَائِبَةً، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لِأَجْلِنَا، صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مَلَكِي صَادِقٍ، رَبِّيسَ كَهَنَةِ إِلَى الْأَبَدِ" [١٧-٢٠].

هنا يعلن الرسول "سرّ تعزيتنا" من جانبيين:

**الجانب الأول:** تتحقق تعزيتنا بأمرين عديمي التغيير، هما الوعد الإلهي والقسم لتثبته، فإله لا يكذب في وعده ولا يحنث بقسمه. بهذا الوعد المثبت بالقسم يمتلئ قلبنا رجاءً، ويكون هذا الرجاء أشبه بمرساة تسنده وسط تيارات العالم ولججه.

**الجانب الثاني:** تحقق الوعد الذي أعطى لنا في إبراهيم بصورته الحقيقية في "يسوع" بكرنا، أو "السابق". هذا هو سرّ تعزيتنا الحقيقية، أن ربنا يسوع المسيح كسابق لنا لم ينل مواعيد أرضية وبركة زمنية إنما دخل إلى ما وراء الحجاب إلى المقدرات السماوية بعينها وليس إلى ظلالها، فصار لنا حق التمتع معه بكوننا جسده المقدس. إنه رئيس كهنتنا الأبدي الذي على رتبة ملكي صادق، قادر أن يشفع فينا لدى الأب ليُدخل بنا إلى سماواته. في هذا يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [إن كان من أجلنا دخل المسيح السماوات عينها، فإنه كان من قبل وعلى الدوام هو رب السماوات وموجدها، لذلك كتب أنه تمجد لأجلنا. وكما يقل هو نفسه الذي يقدر الكل أنه يقدر ذاته للأب من أجلنا (يو ١٧: ١٩) لا بمعنى أن الكلمة يصير مقدساً، وإنما أنه يقدرنا نحن كلنا فيه، هكذا نفهم النص "مجد ذاته" لا بمعنى أنه يتمجد إذ هو الأعلى لكنه يصير باراً لأجلنا فنتمجد نحن فيه، وندخل أبواب السماء التي فتحها لنا. لقد قال السابقون: "ارفعوا أبوابكم أيها الرؤساء ولترتفعي أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد" (مز ٢٤: ٧) لم تكن الأبواب مغلقة قط أمامه بكونه الرب وخالق الكل، لكن هذا كُتب من أجلنا نحن الذين أغلقت أبواب الفردوس أمامنا.]

- ١ لذلك و نحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم الى الكمال غير واضعين ايضاً اساس التوبة من الاعمال الميتة و الايمان بالله
- ٢ تعليم المعموديات و وضع الايادي قيامة الاموات و الدينونة الابدية
- ٣ و هذا سنفعله ان اذن الله
- ٤ لان الذين استنبروا مرة و ذاقوا الموهبة السماوية و صاروا شركاء الروح القدس
- ٥ و ذاقوا كلمة الله الصالحة و قوات الدهر الاتي
- ٦ و سقطوا لا يمكن تجديدهم ايضاً للتوبة اذ هم يصلبون لانفسهم ابن الله ثانية و يشهرونه
- ٧ لان ارضاً قد شربت المطر الاتي عليها مرارا كثيرة و انتجت عشباً صالحاً للذين فلتت من اجلهم تتال بركة من الله
- ٨ و لكن ان اخرجت شوكا و حسكا فهي مرفوضة و قريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق
- ٩ و لكننا قد تيقنا من جهنم ايها الاحباء امورا افضل و مختصة بالخلاص و ان كنا نتكلم هكذا
- ١٠ لان الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم و تعب المحبة التي اظهرتموها نحو اسمه اذ قد خدمتم القديسين و تخدمونهم
- ١١ و لكننا نشتهي ان كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء الى النهاية

- ١٢ لكي لا تكونوا متباطئين بل متمثلين بالذين بالايمان و الاناة يرثون المواعيد  
 ١٣ فانه لما وعد الله ابراهيم اذ لم يكن له اعظم يقسم به اقسم بنفسه  
 ١٤ قائلاً اني لباركنك بركة و اكثرتك تكثيراً  
 ١٥ و هكذا اذ تانى نال الموعد  
 ١٦ فان الناس يقسمون بالاعظم و نهاية كل مشاجرة عندهم لاجل التثبيت هي القسم  
 ١٧ فلذلك اذ اراد الله ان يظهر اكثر كثير لورثة الموعد عدم تغيير قضائه توسط بقسم  
 ١٨ حتى بامرين عديمي التغيير لا يمكن ان الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجانا  
 لنمسك بالرجاء الموضوع امامنا  
 ١٩ الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة و ثابتة تدخل الى ما داخل الحجاب  
 ٢٠ حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة الى الابد

## الأصحاح السابع

### المسيح و ملكي صادق

ليواسيهم فيما فقدوه من امتيازات إذ تحدث الرسول بولس مع المسيحيين من أصل عبراني، لا ليعلن لهم ما قد تمتعوا به على مستوى فائق، مقارناً بين السيد الإيمان المسيحي، إنما بقبولهم وخدمته بالملائكة وخدمتهم للأبء القدامى، وبينه وبين موسى النبي وأيضاً المسيح في شخصه هرون، أراد أن يقارن بينه وبين إبراهيم رجل الإيمان وأب الآباء، مقتطفاً جزءاً من يسوع ثم وتقديم حياته يبدو لكل يهودي بلا معنى، غامضاً تماماً وهو لقاءه مع ملكي صادق وخضوعه له الذي منه تخرج العشور له. إن كان إبراهيم قد حمل في صلبه كل أمة اليهود بما فيها سبط لاوي رمزاً للسيد المسيح هرون والكهنة، فإنه قد تصاغر جداً أمام ملكي صادق، الذي لم يكن إلا

١٠. - ملكي صادق رمز المسيح ١.

١٧. - الوعد بكهنوت جديد ١١.

٢٨. - المقارنة بين الكهنوت في القديم والجديد ١٨.

#### 1. ملكي صادق رمز المسيح

استقبله إبراهيم بعد غلبته وردت قصة ملكي صادق في سفر التكوين (ص ١٤) الملك والكاهن، العشور لملك الذي قدم ذبيحة للملوك في كدرلعومر وإنقاذ لوط ابن أخته، فقدم إبراهيم غريبة من الخبز والخمر.

تفسيراً، إذ كيف يقدم أب الآباء إبراهيم هذه القصة لا تزال تمثل لغزاً لدى اليهود لا يعرفون له غريباً؟ ولماذا ظهر هذا الملك والكاهن في الكتاب الذي في صلبه كهنوت لاوي العشور لرجل أباه أو أمه أو نسبه؟ لماذا لم يقدم ذبيحة دموية كما كانت المقدس واختفى فجأة ولا يعرف أحد عادة ذلك الزمان؟

بإعلانه أن ملكي صادق وهو رمز أسئلة لا يجد لها اليهود إجابة، لكن الرسول يكشف عن سرها صلبه. كان رمز السيد المسيح أسمى للسيد المسيح قد فاق شخص إبراهيم الحامل الكهنوت في ما كان يمكن أن يقدم العشور [ يوحنا الذهبي الفم القديس حتى من ذلك الذي نال المواعيد. يقول

بركته، أو أعظم منه.] تقديم العشور له يعني أن أبانا إبراهيم يطلب لغريب لو لم يكن هذا الغريب ملكي صادق يبارك ذاك الذي له المواعيد، وكما يقول الرسول: "وبدون كل مشاجرة بمعنى آخر "يُبارك من الأكبر الأصغر".

يدفع - لاوي - من هو في صلبه حقًا إنه لمن المدهش أن إبراهيم الذي يتقبل العشور في شخص لملكي صادق الغريب. وكان الكهنوت اللاوي نفسه الذي يتقبل العشور والتقدمات قد العشور في شخص إبراهيم لمن هو رمز لشخص السيد المسيح، رئيس الكهنة السماوي الأعظم انحنى

أما أوجه الرمز التي حملها ملكي صادق فهي

لغويًا "ملك البر"، إشارة إلى السيد المسيح التي تعني "ملك صادق" من جهة الاسم يسمى: **أولاً** النفس فيخفيها فيه لتظهر في عيني الأب حاملة برّه. بمعنى الذي يملك في القلوب ببرّه؛ يترعب في على الإنسان روحياً تحتفي كل ضعفاته ونقائصه، ويتجلى السيد آخر حين يملك السيد المسيح: متبررين مجاًاً بنعمته بالفداء الذي يبسوع المسيح" (رو ٣: ٣): الرسول ببرّه وبهائه! وكما يقول (٢٤).

السلام، فقد ملك السيد المسيح في كنيسته واهباً أي ملك "ملك ساليم" من جهة العمل فهو: **ثانياً** إخوته وسلاماً مع نفسه. تصالحت البشرية مع السماء، لمؤمن سلاماً مع الأب وسلاماً مع المصالحة داخل الإنسان نفسه: بين النفس والجسد حيث وتصالحت مع بعضها البعض، بل وتمت يسلك بروح واحد. حقاً إن السيد المسيح هو ملك ساليم الحقيقي، صار كل ما في الإنسان روحياً، المستويات يمتد سلامه إلى كل

أن غاية حديثه هو تمتعهم بالسلام ختم السيد حديثه الوداعي مع تلاميذه قبل القبض عليه ليعلن العالم سيكون ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" فيه: "قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام. في على هذا القول الإلهي هكذا: [لقد قدم هذا كغاية أغسطينوس القديس (يو ١٦: ٣٣). ويعلق السلام، وذلك كما أننا نحن أيضاً مسيحيون بهذا الهدف... فهذا السلام هو لحديثه حتى يجدوا فيه وكل عمل تقوي، نمارسه في الوقت الحاضر. فمن أجل السلام (في المسيح) ننعم غاية كل نية ونتتقف بأعماله وكلماته ونتقبل غيرة الروح، ولأجله نؤمن به ونترجاه... بهذا السلام بسريره، نتعزى في وسط كل متابعنا وبه نخلص منها. من أجله نحتمل الضيقات بسرور حتى نملك فيه [بسعادة دون ضيقات

سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم" (يو ١٤: ١): "على قول السيد لتلاميذه القديس أغسطينوس ويعلق راحل (إلى السماء)، وسيعطينا سلامه الخاص عندما (٢٧)، قائلاً: [إنه يترك سلامه معنا وهو ونحن في هذا العالم، وسيهبنا سلامه الخاص به في العالم العتيد. يأتي في النهاية. يترك لنا سلاماً معنا حتى إذ نسكن فيه نغلب العدو (إبليس)، وسيهبنا سلامه الخاص عندما لا إنه يترك سلاماً يوجد عدو نحاربه فنملك كملوك. يترك سلاماً معنا، لكي نحب هنا بعضنا البعض، يعود بعد سلامه حينما نرتفع فوق كل إمكانية لحدوث انشاقات. يترك سلاماً لنا لكي لا يدين أحد وسيهبنا الآخر فيما هو خفي عنه وهو سالك على الأرض، وسيهبنا سلامه حينما "يظهر آراء القلوب السلام، سواء وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١ كو ٤: ٥). ومع ذلك فإنه فيه ومنه ننال [لدى الأب بواسطته عندما يتركه لنا ونحن راحلون نحو الأب، أو يهبه لنا عندما نحضر بالفعل

انشقاقاً قد حدث في العهد القديم بين النبوة سبق أن رأينا في مقدمة الأصحاح الأول أن: **ثالثاً** والكهنة، إذ لم يستطع الأخيرون أن يتقبلوا كلمة الحق، والكهنوت، أو بمعنى أدق بين الأنبياء في شكلية بلا روح، لكن جاء السيد الحق ذاته والكاهن الأعظم، مكتفين بممارسة الطقس التعبدي

فائق وفريد مع الكهنوت السماوي الأبدى، مصالِحًا المعرفة مع العبادة يحمل النبوة في كمال هنا أيضًا يجمع السيد بين الملوكية والكهنوت، فهو ملك البرّ والسلام في نفس! والحق مع الطقس الكاهن على رتبة ملكي صادق إلى الأبد، هو الملك والكاهن في نفس الوقت، عمله الوقت لا يمكن فصله عن الكهنوتي. ففيما هو يملك على القلب خلال ذبيحته الفريدة، يقدم هذه الملوكية البازل، الذبيحة بكونه رئيس الكهنة السماوي. فهو الملك صاحب السلطان خلال الحب العملي روحيين والمعلن بشفاعته الكفارية عن مؤمنيه ليقيمهم فيه ومعه ملوكًا وكهنةً

شيئًا عن أبيه أو أمه أو نسبه. وكأنه ملكي صادق كرمز للسيد المسيح لم يذكر الكتاب: رابعًا فالسيد المسيح سرمدى بحق ليس من زرع بشر، يحمل رمزًا لمن هو بلا بداءة أيام ولا نهاية اللاهوت، كاهن أبدي ليس له أب حسب الجسد، ولا أم من جهة

إلا بكونها رمزًا لذبيحة الإفخارستيا ذبيحة ملكي صادق من الخبز والخمر لا معنى لها: خامسًا نفسه بتحويل الخبز والخمر إليهما في تأسيسه التي هي جسد السيد المسيح ودمه، حيث قام السيد مخاطبًا السيد: [أنت كاهن لا بتقديم ذبائح يهودية وإنما بالحري القديس جيروم السرّ. وكما يقول فكما أن ملكي صادق، ملك ساليم، قدم خبزًا وخمرًا (تك ١٤ : ١٨) هكذا . على طقس ملكي صادق ودمك، الخبز الحقيقي والخمر الحقيقي. هذا هو ملكي صادقنا الذي وهبنا الذبيحة تقدم أنت جسدك على طقس، (يو ٦ : ٥٥) "من يأكل جسدي ويشرب دمي": الإلهية التي لنا. إنه ذلك الذي قال [ملكى صادق، معطيًا إيانا سرائره

## 2. الوعد بكهنوت جديد

الجماعة المقدسة التقدّمت بعد اختيار هرون وبنيه كهنة للرب يخدمون هيكله ويقدمون باسم أقسم " : على طقس هرون، قائلًا والذبائح، عاد فوعد بكهنوت آخر على طقس ملكي صادق وليس في هذا الوعد يرى الرسول بولس . "الأبد الرب أنك أنت الكاهن على رتبة ملكي صادق إلى وفي السبط الذي تكرر لهذا العمل، وفي الناموس تحول في ثلاثة أمور: في طبيعة الكهنوت، المرتبط به

على الطقس الهاروني أو اللاوي وإنما تحول في طبيعة الكهنوت فقد جاء الوعد لا بكهنوت: أولاً الكهنوتية وطبيعتها، كما يكشف عن ضعف على طقس ملكي صادق، هذا يعني تغيير في السمة فلو كان " :قيام طقس آخر؟! يقول الرسول الكهنوت الأول وعدم كماله وإلا فما الحاجة إلى إلى أن يقوم إذ الشعب أخذ الناموس عليه - ماذا كانت الحاجة بعد - بالكهنوت اللاوي كمالً بمعنى آخر إن كان . [١١] "على رتبة هارون؟ كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يقال أقيم بناء على دعوة إلهية وارتبط بناموس الله، لكنه لم يكن إلاً طريقًا مهد الكهنوت اللاوي قد العبرانيين الأذهان لتفهم كهنوت آخر هو كهنوت السيد المسيح، وهذا هو موضوع الرسالة إلى الذي يسهب الرسول الحديث عنه في الأصحاحات التالية

لأنّ الذي " . لاوي إلى سبط يهوذا حدث تغير أيضًا في السبط، فتحول الكهنوت عن سبط: ثانيًا ربنا قد طلع من سبط آخر لم يلازم أحد منه المدبج. فإنه واضح أن يقال عنه هذا كان شريكًا في كان موسى شيئًا من جهة الكهنوت. وذلك أكثر وضوحًا أيضًا إن سبط يهوذا، الذي لم يتكلم عنه التغير في السبط لم يكن بلا هدف، فإن سبط هذا . [١٥] "على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر يهوذا، وكأنه في المسيح، وفي المسيح وحده التقى يهوذا هو السبط الملوكي الذي خرج منه ملوك الأمر الذي لم يحدث من قبل. لقد تحققت فيه نبوة أبينا يعقوب الكهنوت الجديد مع العمل الملوكي، قائلًا: "يهوذا إياك يحمداخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك. الذي بارك ابنه يهوذا، أسد. من فريسة سعدت يا ابني، جثا وربض كأسد وكلبوة، من ينهضه؟! لا يزول يهوذا جرو

يهودا ومشرع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب" (تك ٤٩: قضيب من الذي يسبح له ويحمده هذه النبوة بتكاملها قد تحققت بالكامل في شخص السيد المسيح (١٠ - ٨ وصارت يده على قفا أعدائه، إنه إخوته إذ صار أخًا بكرًا، هذا الذي حطم بالصليب عدوه إبليس، الصليب وقام ليقبضنا معه. إنه يملك بالصليب، يتعبد له بنو أبيه السماوي، هذا الأسد الذي جثا على من كل أمة ولسان معطيًا السلام لشعب، وتخضع له الشعوب

عهده وشريعته ووصاياه. الكهنوت تغير الكهنوت يقتضي تغير الناموس، فكل كهنوت: ثالثًا كرمز، وأيضًا ناموسه يتناسب معه. اللاوي يخدم خلال الذبائح الدموية وغسالات الجسد السماوي صار هناك عهد جديد وناموس وبالانطلاق من الكهنوت رمزي إلى الكهنوت الروحي مكملة له، تكشف أعماقه وتدخل به من الطفولة إلى جديد وتعاليم جديدة، ليست ناقضة للقديم وإنما أرضية مثل أرض الموعد التي تفيض لبنًا وعسلًا إلى النضوج الروحي، ومن الوعد ببركات الأب في ابنه لهذا أكد السيد حين أعلن دستورته أنه ما جاء لينقض مواعيد فائقة سماوية وإتحاد مع (ليكملة مت ٥: ١٧ الناموس وإنما

الأعظم السماوي يسوع المسيح، يقارن الرسول بين ناموس الكهنوت اللاوي وناموس الكاهن إبطالًا فبالضرورة يصير تغيّر للناموس أيضًا... فإنه يصير لأنه إن تغيّر الكهنوت: قائلًا إذ الناموس لم يكمل شيئًا. ولكن يصير إدخال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، القديمة لا بنقضها وإنما أبطلت الوصية [١٢، ١٨، ١٩] "أفضل به تقرب إلى الله رجاءً إذ به تقرب إلى الأب "رجاء أفضل" لنا بتحقيقها في الوصية الجديدة المكمل لها، هذه التي فتحت باتحادنا معه في ابنه

أفضل، ورجاء أفضل خلال هكذا يحدثنا الرسول عن ذبائح أفضل، وكهنوت أفضل، ومواعيد الذبيحة التي خلاله هي أفضل، [الرسولي البابا أثاناسيوس "المسيح يسوع ربنا". وكما يقول لنا خلاله أفضل. هذه ليست أعظم لمقارنتها بما هو أقل والرجاء الذي فيه أفضل، والمواعيد التي [الطبيعية عن الأمور السابقة، لأن من يقوم بهذا التدبير هو أعظم منها وإنما لاختلافها في

### المقارنة بين الكهنوت في القديم والجديد 3.

المسيح، أهم بنودها قدم لنا الرسول مقارنة بين الكهنوت اللاوي وكهنوت السيد

إبطال الوصية الأولى، إذ هي عاجزة قيام الكهنوت الجديد وإبطال الكهنوت اللاوي يعني: أولاً إذ يُبتلع الرمز في المرموز إليه، [١٩-١٨] معه عن الدخول بنا إلى الاقتراب إلى الله والإتحاد

لأنه مؤقت يحقق هدفه بظهور الكهنوت كان الكهنوت اللاوي بدعوة إلهية لكن بدون قسم، ثانيًا رُبَّة مَلِكِي أَقْسَمَ الرَّبُّ وَكُنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى: الأبدى الجديد المقام بقسم، إذ قيل عن تطهير الخطايا وتقديس علامة ضمان أفضل لعهد أفضل [٢١]. الأول عاجز [صديق] [٢٠] النفس، أما الثاني فيحقق ما عجز عنه الأول

بموت الواحد يبقى الكهنوت قائمًا بغيره في الكهنوت القديم دُعي كهنه كثيرون حتى إذ: ثالثًا فَلأنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، كَثِيرِينَ، لَأَنَّ المَوْتَ مَعَهُمْ مِنَ البَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا وَأَوْلِيكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً" علامة ضعف الكهنوت الأول أنه لم يرتبط بكاهن واحد، وإنما [٢٤-٢٣] "لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ من سبط لاوي. كان رئيس الكهنة يفرح حين يلبس ابنه الثياب ارتبط ببني قهات جميعهم لا يقدر هو أن يخلد فيترك الكهنوت قائمًا في نسله، أما السيد المسيح الكهنوتية ويحتل مركزه، إذ عليه، لهذا يبقى كهنوته أبدًا لا يزول. بتجسده أعلن كهنوته، وبموته لم يفقد فلا يقوى الموت

موته هو كهنوته، إذ لا يقدر الموت أن ينجسه ولا أن يوقف تيار شفاعته الكفارية، بل بالعكس الوقت. قام السيد أساس كهنوته إذ به قدم نفسه ذبيحة حب للآب، فصار الكاهن والذبيحة في نفس ذبيحته فعلاً لا يتكرر! لا زال ليعلن أبدية كهنوته وسماوية ذبيحته فيبقى كهنوته دائماً، وتبقى تفنى. خلال هذا الكهنوت الفائق والذبيحة كهنوته عاملاً في كنيسته وذبيحته حاضرة لا تشيخ ولا! والذبيحة في المسيح الكاهن والذبيحة الفريدة تنعم الكنيسة بالعمل الكهنوتي

يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى النَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ فَمِنْ تَمَّ: أعلن الرسول قوة هذا العمل بقوله لم يمت إلى النهاية ولا استهلكت ذبيحته، [25] "إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ ذبيحة نفسه عنا كسرًا تقديسنا. هذا هو ينبوع القوة التي منه يستمد الكهنة لكنه حيّ أمام الآب يقدم وتقدماتهم، فهم يمارسون الكهنوت بلبسهم المسيح الكاهن الأعظم، وما يقدمونه إنما ذات عملهم! ذبيحة المسيح التي لا تتكرر

كسائر الشعب، يحتاجون معهم إلى من كان رؤساء الكهنة والكهنة في العهد القديم خطاة: رابعاً بلا شرّاً ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة، وصارَ قدوساً" يقدسهم، أما رئيس الكهنة يسوع فهو المنفصل فإن كان قد صار كواحد منا، لكنه لا يزال القدوس وحده، [٢٦] "السَّمَاوَاتِ أَعْلَى مِنْ أَبِيهِ السَّمَاوِي. عن الخطاة المرتفع إلى السموات، به وفيه نتقدس، ونجد لنا موضعاً في حضن ذلك عن خطايا الشعب، كهنة العهد القديم محتاجون إلى تقديم ذبائح أولاً عن أنفسهم ثم بعد فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ. " مكررين هذا العمل بلا انقطاع، أما رئيس الكهنة يسوع فقد آتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتَقِيمُ ابْنًا يُقِيمُ أَنَسًا بِهِمْ ضَعْفًا رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ فَإِنَّ النَّامُوسَ! وشتان ما بين الناس الذين بهم ضعف والابن الكامل الأبدى، [٢٧-٢٨] "مُكَمَّلًا إِلَى الْأَبَدِ

ابراهيم راجعا من كسرة الملوك لان ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل 1 و باركه

المترجم اولا ملك البر ثم ايضا ملك ساليم اي ملك الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء 2 السلام

لا بداءة ايام له و لا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهنا الى بلا اب بلا ام بلا نسب 3 الابد

الغنائم ثم انظروا ما اعظم هذا الذي اعطاه ابراهيم رئيس الالباء عشرا ايضا من راس 4 الشعب بمقتضى و اما الذين هم من بني لاوي الذين ياخذون الكهنوت فلهم وصية ان يعشروا 5

الناموس اي اخوتهم مع انهم قد خرجوا من صلب ابراهيم

ليس له نسب منهم قد عشر ابراهيم و بارك الذي له المواعيد و لكن الذي 6

الاصغر يبارك من الاكبر و بدون كل مشاجرة 7

بانه حي و هنا اناس مائتون ياخذون عشرا و اما هناك فالمشهود له 8

حتى اقول كلمة ان لاوي ايضا الاخذ الا عشرار قد عشر بابراهيم 9

كان بعد في صلب ابيه حين استقبله ملكي صادق لانه 10

الشعب اخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد الى ان فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال اذ 11

صادق و لا يقال على رتبة هرون يقوم كاهن اخر على رتبة ملكي

للناموس ايضا لانه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير 12

المذبح لان الذي يقال عنه هذا كان شريكا في سبط اخر لم يلازم احد منه 13

من جهة الكهنوت فانه واضح ان ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئا 14

اخر و ذلك اكثر وضوحا ايضا ان كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن 15

قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول 16

يشهد انك كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق لانه 17

من اجل ضعفها و عدم نفعها فانه يصير ابطال الوصية السابقة 18  
تقترب الى الله افضل به اذ الناموس لم يكمل شيئاً و لكن يصير ادخال رجاء 19  
و على قدر ما انه ليس بدون قسم 20  
قسم قد صاروا كهنة و اما هذا فيقسم من القائل له اقسم الرب و لن يندم انت لان اولئك بدون 21  
الابد على رتبة ملكي صادق كاهن الى  
على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا لعهد افضل 22  
اولئك قد صاروا كهنة كثيرين من اجل منعهم بالموت عن البقاء و 23  
انه يبقى الى الابد له كهنوت لا يزول و اما هذا فمن اجل 24  
الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حي في كل حين فمن ثم يقدر ان يخلص ايضا الى التمام 25  
ليشفع فيهم  
رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر و لا دنس قد انفصل عن الخطاة و صار لانه كان يليق بنا 26  
السموات اعلى من  
خطايا نفسه ثم عن الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة ان يقدم ذبائح اولا عن 27  
خطايا الشعب لانه فعل هذا مرة واحدة اذ قدم نفسه  
ابنا الناموس يقيم اناسا بهم ضعف رؤساء كهنة و اما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم فان 28  
مكملا الى الابد

## الإصحاح الثامن

### المسيح رئيس الكهنة السماوي

تربي معلمنا بولس الرسول عند قدمي غملائييل، قائد إحدى مدرستي اليهود التقليديتين، وكان الكل يأمل أن يتسلم التلميذ قيادتها بعد معلمه بسبب غيرته الملتهبة نحو تراث آبائه وتقاليدهم، فقد أبتلع قلبه كله، وامتصت أحاسيسه تماماً في عشق الهيكل بكل طقوسه. الآن يواجه المسيحيين الذين هم من أصل عبراني ليحدثهم عن حقيقة جديدة تبدو في ظاهرها مناقضة لكل خبراتهم الماضية، وهي أن الكاهن الأعظم الجديد سماوي، جاء ليرفع الإنسان بكل حياته وسلوكه وعبادته إلى السماويات، فلا نكوص إلى ما كان عليه العبرانيون. دخل بنا إلى السماويات عينها فلا رجعة إلى الظلام. قدم لنا ذاته رئيس كهنة جديد، وذبيحة جديدة، ودخل بنا إلى هيكل جديد، ليقوم بعمل جديد لحسابنا.

١. كهنوت سماوي ١ - ٦.

٢. عهد سماوي ٧ - ١٣.

١. كهنوت سماوي

"وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلَامِ فَهُوَ أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هَذَا،

قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعِظْمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ" [١].

رأس الكلام أو نهاية ما نبتغيه هو أن لنا رئيس كهنة سماوي يخدم باسمنا ولحسابنا وهو جالس في يمين عرش الآب في السماوات. إن كان السيد المسيح هو رئيس الكهنة الفريد على رتبة ملكي صادق قد جاء بقسم يحمل كهنوياً أبدياً يخدم في السماوات، أمامه يختفي الكهنوت اللاوي الذي

ارتبط بخدمة الخيمة أو هيكل اورشليم، فإن هذا كله إنما هو "لنا". وكان الرسول يود أن يؤكد لهم أن ما ورد في الرسالة ليس من أجل الجدال الفكري بل هو مكسب عملي به صار "لنا" هذا الكاهن الجديد بخدمته الجديدة. ما خسره هؤلاء العبرانيون بإيمانهم بالسيد المسيح إنما هو فقدان للظل من أجل التمتع بالحق، وحرمان من شبه السماويات لأجل الدخول في السماويات عينها.

"لنا" رئيس كهنة، قدم ذاته لنقنتيه، فنقول "حبيبي لي" (نش ٢: ١٦). في القديم كان رئيس الكهنة يمثلني ويخدم في القدس نائباً عني، لكنني لا أقدر أن أقتنيه لي في داخلي، أما رئيس الكهنة الجديد فأعطاني ذاته ملكاً لي. هذا ما أكده الملاك للرعاة: "إنه وُلد لكم" (لو ٢: ١١)، وما يتمتع به إشعياء النبي وإن كان خلال النبوة "لأنه يولد لنا ولد" (إش ٩: ٦).

لا يقلل الرسول من شأن الكهنوت اللاوي، إذ كان الكهنة "يَخْدُمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، كَمَا أُوحِيَ إِلَى مُوسَى وَهُوَ مَزْمَعٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَسْكَنَ. لِأَنَّهُ قَالَ: انظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أَظْهَرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ" [٥]. أما خدمة العهد الجديد فهي خدمة العهد الأفضل بالدخول في السماويات.

إذ كان كهنة العهد القديم من تراب وأقامهم الله لخدمته بقيت خدمتهم لظل السماويات، أما كاهننا فسماعي، وهيكله الذي يخدمه هو السماويات عينها. ما هو هذا الهيكل السماوي إلا كنيسة العهد الجديد التي تحمل السمة السماوية، إذ صارت سيرتنا في السماويات (في ٣: ٢٠)، وعبادتنا أيضاً سماوية. في هذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [الكنيسة سماوية! إنها ليست إلا السماء]، [صارت لنا السماء عوض الهيكل، بعد أن قادنا إلى السماء. فإن تلك الأمور كانت رمزاً لما صرنا نحن عليه، خلالها تمجدت خدمة (العهد الجديد) وظهر مجد الكهنوت كما يليق]. كما يقول: [أمورنا سماوية، صارت السماويات لنا حتى وإن كانت تمارس ونحن على الأرض، وذلك مثل الملائكة الذين يدعون سمائيون حتى وإن كانوا على الأرض. لقد ظهر الشاروبيم على الأرض ومع هذا فهم سمائيون... وأيضاً "سيرتنا هي في السماوات" (في ٣: ٢٠)، حتى وإن كنا نعيش هنا... إن كنا سمائيين وحصلنا على ذبيحة كهذه فلنخف! لا نبقي على الأرض، ففي استطاعتنا إلا نكون على الأرض من الآن إن أردنا ذلك! فإن الوجود على الأرض أو عدمه هو حالة سلوكية ومحض اختيار! كمثال يُقال عن الله أنه في السماء؛ لماذا؟ ليس لأنه محدود بحيز معين (السماء)، حاشا! ولا بمعنى أنه ترك الأرض خالية من حضرته، وإنما يُقال هذا بسبب علاقته بالملائكة والتصاقهم به. فإن كنا قريبين من الله إنما نكون في السماء. فإنني ماذا أعني بالسماء؟ إنني أرى رب السماء وأصير أنا نفسي سماء! إذ يقول: "نأتي (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣). [إذن لتكن نفوسنا سماء].

## ٢. عهد جديد

بدخولنا إلى الهيكل السماوي الجديد في خدمة سماوية عوض الهيكل القديم، بقيادة رئيس الكهنة السماوي، دخلنا في العهد الجديد الذي طالما اشتاق إليه الأنبياء، إذ يقول الرسول: "فَأِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ بِلَا عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِنَّانٍ. لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لِأَيَّامٍ: هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أَكْمَلَ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَا كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمَلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ امْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لِأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ" [٧-٩].

هذه هي غاية الكتاب المقدس: دخول الله مع الإنسان في عهد. ففي البداية إذ سقط الإنسان الأول في الفردوس لم يتخل الله عنه، وإنما دخل معه في عهدٍ أن يقيم من نسل المرأة من يسحق رأس الحية (تك ٣: ١٥). وحين دخل العالم تحت عقوبة الطوفان، وتجددت الخليقة بالمياه أقام الله عهداً مع نوح وجعل العلامة قائمة في الطبيعة (قوس قزح) (تك ٩: ٩)، هذه العلامة تظهر حول

العرش الإلهي ( رؤ ٤ : ٣ ؛ ١٠ : ١ ). ومع إبراهيم أب الآباء أقام الله عهدًا خلال علامة في الجسد، أي الختان (تك ١٧). وأخيرًا دخل الله مع الشعب في عهد خلال موسى النبي على جبل سيناء إذ أخرجهم من أرض العبودية ممسكًا بيدهم ليدخل بهم إلى أرض العهد، أما العلامة فهي الدم الذي رُس على لوحى العهد أو كتاب العهد والمذبح كل ما يستخدم في العبادة. أما استخدام الدم لتثبيت العهد فنعود إليه بشيء من التفصيل في الأصحاح التالي إن أذن الرب.

إذن العهد مرّ بمراحل كثيرة، أولاً مجرد وعد (مع آدم)، أكده بعلامة طبيعية (مع نوح) ثم علامة مرتبطة بالجسد (مع إبراهيم) وأخيرًا علامة الدم (مع موسى)... وماذا كان مصير هذا العهد؟ لقد تعبد الشعب للعجل الذهبي قبل نزول موسى من الجبل، إذ سمع صوت الرب له: " اذهب، انزل، لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر " (خر ٣٢ : ٧). حاسبًا الرب إياه شعب موسى (فسد شعبك) وليس شعبه، هو نقض العهد حتى "حمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل" (خر ٣٢ : ١٩). وكان موسى قد أعلن عن كسر العهد، وعجز الإنسان عن الحفاظ عليه. هذا ما دفع الأنبياء في العهد القديم إلى التطلع إلى عهد جديدٍ بسماتٍ جديدةٍ قادر على تغيير قلب الإنسان والدخول إلى الحياة الداخلية لكي لا يكسر الإنسان العهد. فيقول إرميا النبي: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم... بل هذا هو العهد الذي أقطعته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" (إر ٣١ : ٣١ - ٣٣). كما يقول حزقيال النبي: "وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهدًا مؤبدًا وأقرهم وأكثرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فوقهم، وأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعبًا" (حز ٣٧ : ٣٦، ٣٧).

العهد الجديد ليس كالعهد القديم منقوش على حجارة خارجية، إنما يسجله الروح القدس في أعماقنا، إذ يمس حياتنا الداخلية حيث ملكوت الله فينا... "يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَدْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" [١٠].

ينقش الروح القدس هذا العهد في داخلنا ويكون الله نفسه هو معلمنا، إذ يقول الرسول: "ولا يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلًا: اعْرِفِ الرَّبَّ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ" [١١]. في العهد الجديد لا يتقدم السيد المسيح كمعلم خارج عنا يقدم لنا وصاياه، لكنه دخل إلينا، في حياتنا، ليغير طبيعتنا ويجدها بروحه القدس، ويكون هو نفسه الوصية والحياة والقيامة والبرّ فينا! وكما يقول البابا أناسيوس الرسولي في مقالاته ضد الأريوسيين: [إن كنا لسنا مخلوقين فيه، فلا يكون لنا (السيد) في داخلنا، بل نفتنّه خارجًا عنا، ويكون بذلك مجرد معلم نتقبل منه التعليم. لو كان الأمر كذلك بالنسبة لنا فإن الخطية لم تفقد بعد سلطانها على الجسد كوارثة له وغير مطرودة منه. ولكن الرسول يعارض مثل هذا التعليم إذ يقول: "نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع" (أف ٢ : ١٠)].

١ و اما راس الكلام فهو ان لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السماوات

٢ خادما للاقدا س و المسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا انسان

٣ لان كل رئيس كهنة يقام لكي يقدم قربانين و ذبائح فمن ثم يلزم ان يكون لهذا ايضا شيء يقدمه

٤ فانه لو كان على الارض لما كان كاهنا اذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قربانين حسب الناموس

٥ الذين يخدمون شبه السماويات و ظلها كما اوحى الى موسى و هو مزعم ان يصنع المسكن لانه

قال انظر ان تصنع كل شيء حسب المثال الذي اظهر لك في الجبل

٦ و لكنه الان قد حصل على خدمة افضل بمقدار ما هو وسيط ايضا لعهد اعظم قد تثبت على

مواعيد افضل  
 ٧ فانه لو كان ذلك الاول بلا عيب لما طلب موضع لثان  
 ٨ لانه يقول لهم لانما هوذا ايام تاتي يقول الرب حين اكمل مع بيت اسرائيل و مع بيت يهوذا  
 عهدا جديدا  
 ٩ لا كالعهد الذي عملته مع ابائهم يوم امسكت بيدهم لآخريهم من ارض مصر لانهم لم يثبتوا في  
 عهدي و انا اهملتهم يقول الرب  
 ١٠ لان هذا هو العهد الذي اعهدته مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب اجعل نواميسي في  
 اذهانهم و اكتبها على قلوبهم و انا اكون لهم الها و هم يكونون لي شعبا  
 ١١ و لا يعلمون كل واحد قريبه و كل واحد اخاه قاتلا اعرف الرب لان الجميع سيعرفونني من  
 صغيرهم الى كبيرهم  
 ١٢ لاني اكون صفوحا عن اثمهم و لا اذكر خطاياهم و تعدياتهم في ما بعد  
 ١٣ فاذا قال جديدا عتق الاول و اما ما عتق و شاخ فهو قريب من الاضمحلال

## الأصحاح التاسع

### الخدمة السمائية

إن كان لنا رئيس كهنة لا على رتبة هرون ولا من سبط لاوي، وإنما على طقس ملكي صادق، له  
 كهنوت جديد، فإنه يليق به أن يخدم في هيكل جديد ليقدم ذبيحة جديدة فريضة لحسابنا.

١. مقارنة بين العهدين ١ - ١٤.

٢. تثبيت العهد السماوي ١٥ - ٢٢.

٣. الذبيحة الفريضة ٢٣ - ٢٨.

١. مقارنة بين العهدين

يقارن الرسول بولس بين العهدين القديم والجديد مقدماً لنا النقاط التالية:

أولاً: أبرز الرسول أن المسكن الأول، سواء خيمة الاجتماع أو هيكل أورشليم، كان يحوي قسمين  
 رئيسيين هما القدس و قدس الأقداس يفصل بينهما الحجاب الذي يخفي قدس الأقداس وراءه، قائلاً:  
 "ثُمَّ الْعَهْدُ الْأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضًا فَرَائِضُ خِدْمَةٍ وَالْقُدْسُ الْعَالَمِيُّ، لِأَنَّهُ نُصِبَ الْمَسْكَنُ الْأَوَّلُ الَّذِي  
 يُقَالُ لَهُ الْقُدْسُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمَنَارَةُ، وَالْمَائِدَةُ، وَخُبْزُ التَّقْدِيمَةِ. وَوَرَاءَ الْحِجَابِ الثَّانِي الْمَسْكَنُ  
 الَّذِي يُقَالُ لَهُ قُدْسُ الْأَقْدَاسِ فِيهِ مَبْحَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مَعْشَى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ،  
 الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ. وَفَوْقَهُ كُرُوبًا  
 الْمَجْدُ مَظَلِّينَ الْغِطَاءِ. أَشْيَاءٌ لَيْسَ لَنَا الْآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ" [٥-١].

رأى الرسول في القسمين إشارة إلى العهدين؛ القدس يشير إلى العهد القديم، و قدس الأقداس إلى  
 العهد الجديد. الأول يخدمه كهنة كثيرون كل يوم، والثاني يشير إلى السماء لا يدخله إلا رئيس  
 الكهنة مرة واحدة في السنة كرمز للسيد المسيح الذي قدم نفسه مرة واحدة ليدخل بنا إلى سماواته.

لا يتجاهل الرسول قدسية العهد القديم فإنه كالمسكن له فرائض خدمة من قبل الله، وفيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة، مقدسات هي شبه السماويات، الأمور التي يقول الرسول: "ليس لنا الآن أن نتكلم عنها بالتفصيل"، لأنها تحمل رموزاً حية للسيد المسيح وخدمته إذ به نعلم بالاستنارة ونتمتع بجسده الخبز المحيي! وقد سبق لنا في دراستنا لسفر الخروج الحديث عنها. هذا عن القدس، أما ما وراء الحجاب فيختفي قدس الأقداس الذي فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد ممثل الحضرة الإلهية، معشى من كل جهة بالذهب إشارة للاهوت، فيه قسط من ذهب فيه المن إشارة إلى المن الحقيقي جسد الرب ودمه الأقدسين، وعصا هرون علامة كهنوت الرب ورعايته الشخصية لكنيسته، ولوحا العهد إشارة إلى كونه كلمة الله، وفوق التابوت كاروبان يظللان الغطاء علامة دخولنا إلى الإتحاد مع السمايين في المسيح يسوع ربنا.

إن كان القدس يشير إلى الحياة الحاضرة المقدسة في الرب أو خدمة العهد القديم، فإن قدس الأقداس يشير إلى الحياة السماوية التي قدمها لنا الرب السماوي بعهد الجديد معنا. يقول الرسول إنه لا يمكن أن يظهر طريق الحياة الجديدة السماوية مادام المسكن الأول له إقامة، بمعنى أن خدمة الروح في المسيح يسوع لا تظهر مادامت الطقوس الموسوية تقام في حرفيتها كظل. لا بد أن ينشق الحجاب ويزول الظل بظهور الحق ذاته، وتختفي الخدمة الموسوية أمام الهيكل الجديد، أو كما يقول الرسول: "مُعَلِّيًا الرُّوحَ الْقُدْسُ بِهَذَا أَنَّ طَرِيقَ الْأَقْدَاسِ لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ، مَادَامَ الْمَسْكَنُ الْأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ، الَّذِي هُوَ رَمَزٌ لِلْوَقْتِ الْحَاضِرِ، الَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَدَبَائِحُ لَا يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكْمَلَ الَّذِي يَخْدُمُ" [٨-٩].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ماذا يعني بقوله: الوقت الحاضر؟ يقصد زمن ما قبل مجيء المسيح، فإنه بعد مجيئه لا يكون بعد الوقت الحاضر، إذ كيف يمكن أن يوجد الوقت، وقد جاء وانتهى؟!] خدمة الناموس الموسوي هي خدمة الوقت الحاضر، أما وقد جاء السيد في ملء الزمان فقد رفعنا إلى ما فوق الزمن ودخل بنا إلى السماويات.

ثانياً: يقارن الرسول بين ذبائح العهد القديم وذبحة العهد الجديد، ففي الناموس الموسوي يقدم الكهنة دم ثيوس وعجول، مرشوش على المنجسين بقدم إلى طهارة الجسد [١٢-١٤] أما كاهن العهد الجديد فيقدم دم نفسه. وكما يقول الرسول: "وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَعَجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَثِيُوسٍ وَرَمَادُ عَجَلَةٍ مَرَشُوشٌ عَلَى الْمُنْجَسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَرْزَلِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلا عَيْبٍ، يُظَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللَّهَ الْحَيَّ؟!" [١٢-١٤]. في القديم يُقدم دم حيوانات تُقاد للذبح بغير إرادتها، أما في العهد الجديد فقدم رئيس الكهنة نفسه تقوده إرادته الحرة وطاعته لأبيه حتى الموت موت الصليب وحبه للبشرية وهي بعد تعاديه! إنه الكاهن والذبحة في نفس الوقت. وكما يقول القديس أغسطينوس: [أنت هو الكاهن، وأنت الذبحة، أنت المقدم وأنت التقدمة!]

ثالثاً: إذ قارن بين الخدمتين، رأى الخدمة الأولى، وهي خدمة الوقت الحاضر تركز على تطهير الجسد [١٣]، أما الثانية وهي خدمة ما فوق الزمن الحاضر، خدمة السماء، فتمس الضمائر وأعماق النفس الداخلية، أي خدمة الروح الفعالة التي تقيم ملكوت الله في داخلنا. الأولى تقوم على دم حيوانات تموت وتستهلك، أما الثانية فتقوم على دم ابن الله الذي بروح أرزلي قدم نفسه، لا يمكن للفساد أن يمسك به ولا للموت أن يحبس، واهب حياة وقيامة! الأولى يقوم بها كهنة تحت الضعف، محتاجون إلى تكفير عن خطاياهم، أما الثانية فيقوم بها من هو "بلا عيب" [١٤]، قادر أن يقدسنا!

رابعاً: إذ يتحدث الرسول عن الهيكل القديم أو المسكن الأول بما احتواه من أثاثات، يقول: "أشياءٌ ليس لنا الآن أن نتكلم عنها بالتفصيل"، وكأنه ترك الباب مفتوحاً للمقارنة بين خدمتي العهدين. الأمر الذي جعل الآباء يسهبون فيها. لكنني أكتفي بالقليل مما ورد في كتابات البابا أثناسيوس الرسولي مقارناً بين الهيكل القديم بخدمته الموسوية، والهيكل الجديد الذي هو "جسد المسيح" الذي فيه صارت لنا الخلقة الجديدة مقدسة به، أو كما يقول الرسول: "الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنون معاً مسكنًا لله في الروح" (أف ٢: ٢١، ٢٢).

يقارن البابا أثناسيوس الرسولي بين الهيكل القديم وجسد الرب هكذا:

[كان الهيكل القديم مقامًا من حجارة وذهب كطل، لكن إذ جاءت الحقيقة بطل الرمز من هناك، وكقول الرب لا يبقى حجر على حجر إلا وينقض (مت ٢٤: ٢) ...]

من يحتقر الهيكل يحتقر الرب الذي في الهيكل، ومن يفصل الكلمة عن الجسد يجعل من النعمة التي وهبت لنا فيه لا شيء. لا تقبل افتراض الأريوسيين الأشرار جدًا وغير العاقلين بأنه مادام الجسد مخلوقًا فالكلمة أيضاً مخلوق، ولا القول بأنه مادام الكلمة غير مخلوق فجسده مزدري به!...

لكن، إذ الكلمة هو الخالق، الذي صنع المخلوقات، لهذا ففي نهاية الدهور ليس المخلوق (الجسد) لكيما يقدر الخليفة وهو الخالق ويشفيها. فالخليفة لا يمكن لها أن تخلص بواسطة مخلوق، كما أنها أوجدت بواسطة الخالق...]

إذن في العهد الجديد تقدم إلينا السيد متجسدًا، مقدمًا لنا جسده كسرًا تقديسًا لنا، ففيه نختفي، وبه نتحد، لنحمله في داخلنا كما نحن فيه... هذا هو "وَقْتُ الإِصْلَاحِ" [١٠]. لا إصلاح بشرائع وأوامر ونواه وإنما بإمكانيات جديدة، بإتحادنا معه!

## ٢. تثبيت العهد السماوي

كانت هناك قاعدة قانونية رومانية بمقتضاها أن أية وصية لا تكون لها قوة مادام الموصي حيًا، إذ يستطيع في أي وقت شاء أن يسحب الوصية أو يغير بنودها، لكن متى مات الموصي تثبتت الوصية ولا يمكن لأحد أن يغيرها. هكذا يرى الرسول بولس أن علاقة الله بالإنسان هي علاقة الأب الموصي لابنه، ففي القديم قدم وصيته خلال العهد الموسوي، وإذا لم يكن ممكنًا للموصي أن يموت لتثبيت الوصية كان دم الحيوانات يقوم بهذا الدور. أما في العهد الجديد، فإذا تسلمنا الوصية مات الموصي على الصليب فأعلن تثبيت الوصية وفعاليتها الأكيدة. وكان موت الصليب أو دم السيد المسيح المبذول هو ختم على الوصية الإلهية وتأكيد لنا للتمتع بالميراث الأبدي الذي أوصى به. فإن كان السيد قد أوصى هكذا: "من يؤمن بي فله حياة أبدية" (يو ٦: ٤٧). فقد ختم الوصية بجسده المبذول ودمه المسفوك عنا: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣).

في وضوح قال الرسول: "لأنه حيثُ تُوجَدُ وصيةٌ يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ المَوْصِي، لأنَّ الوصيةَ ثابتةٌ على الموتى، إذ لا قوة لها البتة مادام الموصي حيًا" [١٦-١٧]. هكذا إذ يستلزم استخراج شهادة وفاة للموصي لتأكيد الوصية، فإننا نقدم دم السيد المسيح على الصليب علامة ثبوت الوصية بموت الموصي.

من هنا نفهم لماذا كان الدم علامة التطهير في العهد القديم والجديد، إذ هو علامة ثبوت الوصية. لهذا كان كتاب العهد أو الوصية يرش بالدم وجميع الشعب يتقدسون به. [١٩-٢٠]، لكنه لم يكن دم الموصي بل رمزه، دم حيوانات. أما في العهد الجديد فحملت الوصية قوتها خلال دم ابن الله، الموصي: "كُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيْبًا يَنْطَهَرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالْذَّمِّ، وَبَدُونِ سَفَكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفَرَةٌ!" [٢٢]. لقد استخدم موسى الدم والماء للتطهير [١٩]، ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك، قائلاً: [أخبرني لماذا كان كتاب العهد وأيضاً الشعب يرشون، إلا من أجل الدم الثمين الذي كان الأول (دم الحيوانات) مثلاً له؟... ولماذا الماء؟ لكي يظهر... ولماذا الصوف (القرمزي)؟ كان هذا لكي يحتفظ بالدم، إذ يظهر الدم والماء كأنهما واحد].

أما بالنسبة للعهد الجديد، فيتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم: [أين هو الكتاب إذن؟ لقد طهر أذهانهم فيحسبون هم أنفسهم كتاب العهد الجديد... وأين الخيمة؟ مرة أخرى هم أنفسهم الخيمة، إذ يقول: "سأسكن فيهم وأسير بينهم" (٢ كو ٦: ١٦). لكن هؤلاء لم يرشوا بصوف قرمزي ولا بزوفا، لماذا؟ لأن الغسل هنا ليس غسلًا جسديًا، وإنما هو غسل روحي، وكان الدم روحياً (دم حقيقي) أخذه من القديسة مريم وبذله على الصليب لكن الروح القدس هو الذي هيأ التجسد) كيف؟ إنه لم يفض عن جسد حيوانات غير عاقلة بل عن جسد أعده الروح (القدس). بهذا الدم لم يرشنا موسى بل المسيح خلال الكلمة التي قيلت: هذا هو دم العهد الجديد لمغفرة الخطايا. هذه الكلمة هي عوض الزوفا قد غُمست في الدم ورشتنا جميعاً. هناك كان غسل الجسد خارجياً لأن التطهير كان جسدياً، أما هنا فالتطهير روحي يدخل إلى النفس ويغسلها... هناك كان الرش يتم عند السطح فقط، والذي يرش يُغسل من آثار الدم... أما بالنسبة للنفس فالأمر غير ذلك إذ يمتزج الدم بكيانها ليجعلها نشيطة ونقية، يقودها إلى ذات الجمال غير المقرب إليه].

### ٣. الذبيحة الفريدة

كانت أمثلة السماويات وظلالها تتطهر بدم حيوانات، أما السماويات عينها فسرّ تقديسها هي الذبيحة الفريدة، ذبيحة الصليب التي لا تتكرر، ذبيحة السيد المسيح نفسه الحيّ القادر وحده أن يقيم من الأموات.

تُقدم الذبائح الدموية في الخيمة أو هيكل أورشليم، المسكن الأول، ظل السماويات، أما المسيح الذبيح بصفته الكاهن والذبيح فهو قائم في السماوات عينها يظهر أمام وجه الأب بكونه الحمل الذي كأنه مذبح. حقاً إنه لم ينفصل قط عن الأب من جهة اللاهوت لكنه من أجلنا نزل إلينا - بغير انفصال عن الأب - مقدماً ذاته ذبيحة حب عنا، لكي إذ يرتفع إلى السماوات يرفعنا معه، ويشفع فينا بدمه فندخل إلى حضن أبيه.

كان الكهنة قديماً يقدمون دم حيوانات ميتة، فكانت الذبائح عاجزة عن إقامتنا بل وحتى عن قيامتها هي نفسها، أما الكاهن الأعظم يسوع المسيح، فهو وحده الذي قدم نفسه واهب الحياة، فلا حاجة لتكرار الذبيحة. كهنوته أبدي وذبخته لا يتوقف عملها أو فاعليتها... لا تقدم ولا تشيخ! إذ يقارن القديس يوحنا الذهبي الفم بين ذبيحة العهد القديم الحيوانية وذبحة العهد الجديد الفائقة يقول: [عظيم هو الفارق! إنه هو الفدية والكاهن والذبيحة! فلو كان الأمر غير ذلك لصار هناك حاجة إلى تقديم ذبائح كثيرة وكان يُصلب مراراً كثيرة].

ربما يتساءل البعض: إن كانت ذبيحة السيد المسيح لا تتكرر، فلماذا تقيم الكنيسة الإفخارستيا، ذبيحة المسيح، كل يوم على كل مذبح؟ نجيب أن الإفخارستيا ليس تكراراً لذبيحة الصليب، وإنما هي امتداد لذات الذبيحة القائمة الأبدية غير الدموية التي لا تتوقف، فالمسيح الذبيح الحيّ القائم من الأموات هو بعينه يقدم جسده ودمه الأقدسين دون تكرار أو تغيير، والمذابح المحلية في حقيقتها

هي مذبح واحد لكنيسة واحدة! وقد سبق لنا دراسة ذلك بأكثر إسهاب من واقع كتابات الآباء وشهادات الليتورجيات.

يقول الرسول بولس أنه كما نموت نحن مرة واحدة لنقوم فئدان، مات عنا مرة واحدة ليحمل في جسده دينونتنا، مخلصًا إيانا من الموت. إنه لن يموت مرة أخرى ولا تتكرر ذبيحته، إنما تبقى ذبيحته قائمة فوق الزمن تعمل في كل من يدخل بالإيمان إلى الجلجثة ليلتقي بالذبيحة القادرة أن ترفعه إلى العرش الإلهي ليكون له مصالحة مع الأب. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [لقد مات من أجل الكل، هذا من جانبه، فإن هذا الموت كان المقابل ضد هلاك كل البشرية، لكنه لم يحمل خطايا كل الناس لأنهم لم يريدوا.] لقد أحنى ظهره ليحمل الخطايا عن الجميع لكنه يُحسب مخلصًا للمؤمنين وحدهم، هؤلاء الذين يظهرون معه بلا خطية عندما يأتي على السحاب فيحملهم إلى أبيه أبرارًا فيه.

لقد رأى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن هذا النص [٢٦-٢٨]. [يشير إلى قوة الحياة التي بحسب الله وأيضًا إلى قوة الخطية فبالنسبة للحياة حسب الله يظهر أن المسيح لا يموت بعد، وأما من جهة الخطية، فإنها وإن كانت قد جلبت الموت على من هو بلا خطية كم بالأكثر يكون تدميرًا للذين يخضعون لها؟!]

- ١ ثم العهد الاول كان له ايضا فرائض خدمة و القدس العالمي
- ٢ لانه نصب المسكن الاول الذي يقال له القدس الذي كان فيه المنارة و المائدة و خبز التقدمة
- ٣ و وراء الحجاب الثاني المسكن الذي يقال له قدس الاقداس
- ٤ فيه مبخرة من ذهب و تابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب الذي فيه قسط من ذهب فيه المن و عصا هرون التي افرخت و لوحا العهد
- ٥ و فوقه كروبا المجد مظللين الغطاء اشياء ليس لنا الان ان نتكلم عنها بالتفصيل
- ٦ ثم اذ صارت هذه مهياة هكذا يدخل الكهنة الى المسكن الاول كل حين صانعين الخدمة
- ٧ و اما الى الثاني فرئيس الكهنة فقط مرة في السنة ليس بلا دم يقدمه عن نفسه و عن جهالات الشعب
- ٨ معلنا الروح القدس بهذا ان طريق الاقداس لم يظهر بعد ما دام المسكن الاول له اقامة
- ٩ الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تقدم قرابين و ذبائح لا يمكن من جهة الضمير ان تكمل الذي يخدم
- ١٠ و هي قائمة باطعمة و اشربة و غسلات مختلفة و فرائض جسدية فقط موضوعة الى وقت الاصلاح
- ١١ و اما المسيح و هو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الاعظم و الاكمل غير المصنوع بيد اي الذي ليس من هذه الخليقة
- ١٢ و ليس بدم تيوس و عجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس فوجد فداء ابديا
- ١٣ لانه ان كان دم ثيران و تيوس و رماد عجلة مرشوش على المنجسين يقصد الى طهارة الجسد
- ١٤ فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح ازلي قدم نفسه لله بلا عيب يظهر ضمائرکم من اعمال ميثة لتخدموا الله الحي
- ١٥ و لاجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون اذ صار موت لفاء التعديت التي في العهد الاول ينالون وعد الميراث الابدي
- ١٦ لانه حيث توجد وصية يلزم بيان موت الموصي

١٧ لان الوصية ثابتة على الموتى اذ لا قوة لها البتة ما دام الموصي حيا  
 ١٨ فمن ثم الاول ايضا لم يكرس بلا دم  
 ١٩ لان موسى بعدما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس اخذ دم العجول و التيوس مع  
 ماء و صوفاً قرمزياً و زوفاً و رش الكتاب نفسه و جميع الشعب  
 ٢٠ قائلاً هذا هو دم العهد الذي اوصاكم الله به  
 ٢١ و المسكن ايضا و جميع انية الخدمة رشها كذلك بالدم  
 ٢٢ و كل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم و بدون سفك دم لا تحصل مغفرة  
 ٢٣ فكان يلزم ان امثلة الاشياء التي في السماوات تطهر بهذه و اما السماويات عينها فيذبائح  
 افضل من هذه  
 ٢٤ لان المسيح لم يدخل الى اقداس مصنوعة بيد اشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الان  
 امام وجه الله لاجلنا  
 ٢٥ و لا ليقدم نفسه مرارا كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة الى الاقداس كل سنة بدم اخر  
 ٢٦ فاذا ذلك كان يجب ان يتالم مرارا كثيرة منذ تاسيس العالم و لكنه الان قد اظهر مرة عند  
 انقضاء الدهور لبيطل الخطية بذبيحة نفسه  
 ٢٧ و كما وضع للناس ان يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة  
 ٢٨ هكذا المسيح ايضا بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص  
 للذين ينتظرونه

## الأصاح العاشر

### الدخول إلى الأقداس

يكمل الرسول بولس مقارنته بين خدمة الهيكل الأول وخدمة الهيكل الجديد السماوي، ليؤكد لهم  
 أن ما قد حُرِّموا منه بطردهم من الهيكل اليهودي إنما ظلال يلزم أن تخدم ما هو حق، تفتح  
 المجال للخدمة السماوية. فما فقدوه من خدمة الكهنوت اللاوي لا يقارن بجانب خدمة السيد  
 المسيح نفسه رئيس الكهنة السماوي، الذي وحده يقدر أن يدخل بنا إلى الأقداس.

١. عجز الذبائح الحيوانية ١ - ١١.

٢. قوة الذبيحة الفريدة ١٢ - ١٨.

٣. الدخول إلى الأقداس ١٩ - ٢٣.

٤. الجهاد المستمر ٢٤ - ٣٩.

١. عجز الذبائح الحيوانية

"لأنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ،

لَا نَفْسُ صُورَةِ الْأَشْيَاءِ،

لَا يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلِّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ،

أَنْ يُكْمَلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ" [١].

يؤكد الرسول بولس عجز الناموس الموسوي عن تكميل الذين يقدمون الذبائح الحيوانية، فإن هذا الناموس لا يقدم عربوناً للسماويات أو الحياة العتيدة بل ظلاً لها، وبالتالي لا يقدر على تطهير الضمير الداخلي وتحويل النفس إلى سماءً وملكوئاً لله. يشبه القديس يوحنا الذهبي الفم الناموس الموسوي برسام يمسك بالقلم ليضع الخطوط الأولى للمنظر. هو بلا شك عمل ضروري ونافع بدونه لا تكتمل الصورة، لكنه لا يدخل بنا إلى ملامح الصورة ولا يكشف عن جمالها. أما العهد الجديد ففي رأيه يمثل رساماً قدم لنا بألوانه الزاهية ملامح قوية للصورة صادقة وجذابة، توضح لنا تفاصيل كثيرة عن السماء. كان العهد القديم بكل طقوسه التعبدية أشار إلى الطريق، لكن ملامحه لم تكن واضحة ولا جذابة، أما ذبيحة العهد الجديد فدخلت بنا إلى الطريق بعينه لنبلغ الكمال السماوي.

العهد الأول ضروري ونافع لكنه يقف عاجزاً، يدفعنا للتمتع بالكمال في العهد الجديد الذي قدم لنا السماء حقيقة واقعة داخل القلب، يجعل من أعماقنا الداخلية أيقونة حية للحياة الخالدة. قدم الرسول دليلين على عجز ذبائح الناموس القديم:

### الدليل الأول

"لأنه لا يمكن أن دم ثيران وثيوس يرفع الخطايا" [٤]. يستحيل لدم حيوانات غير عاقلة أن تطهر الإنسان جسداً وروحاً من الخطايا؛ إنها في ذاتها لا تحمل قوة للتطهير، إنما تستمد فاعليتها مما تحمله من طاعة لمشيئة الله التي أعلنت عن هذه الذبائح كرموز. لهذا يرفض الله هذه الذبائح إن قدمت كعمل روتيني في غير طاعة لله. فهو لا يسر باللحوم ولا يطلب الشحوم ودم الحيوانات، لكنه يطلب الطاعة. هذا ما يؤكد الرسول بقوله: "لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر... ثم قال: هَذَا أَجِيءُ. لأفعل مشيئتك يا الله" [٧-٥]. كان الله لا يشتهي الذبائح الحيوانية، وإنما يطلبها كرمز للابن المتجسد، الذي صار جسداً، مقدماً الطاعة لمشيئة الأب بالتمام حتى الموت موت الصليب مقدس في الابن القدوس. "فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرةً واحدة" [١٠].

### الدليل الثاني:

وهو مكمل للسابق، حيث يعلن الرسول تكرار الذبائح الدموية الحيوانية يوميًا كعلامة العجز: "وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها، التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية. وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطناً لإقديمه. لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" [١١-١٤].

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا النص، قائلاً: [اخبرني ما الحاجة إلى ذبائح لو أن ذبيحة واحدة كافية؟! فنقديم ذبائح كثيرة على الدوام يؤكد أن (العابدين) لم يتطهروا قط، وذلك كالدواء متى كان قوياً وجالباً الصحة يحطم المرض تماماً، وأن ذلك يتم بعد استخدامه مرة واحدة دون تكرار... فإعادة طلب الدواء باستمرار برهان أكيد على ضعف مفعوله. الدواء الممتاز يستخدم مرة واحدة ولا يتكرر. هكذا أيضاً في هذا الأمر لماذا يُعالج هؤلاء باستخدام الذبائح عينها باستمرار؟ فلو أنهم كانوا قد تحرروا من كل خطاياهم لما كانت الذبائح تتكرر كل يوم. لقد رسم لهم أن يقدموا ذبائح دائمة مساءً ونهاراً. هذا لا يعني حدوث تحرر من الخطايا إنما اتهام وتأكيد

لوجودها. ما يحدث ليس استعراضاً لقوة الذبائح بل اتهام لضعفها. فالذبيحة الأولى لا تحمل قوة فتقدم الثانية، والثانية بلا فاعلية فيقدم غيرها، هذا كان شهادة عن وجود الخطايا. بحق كانت التقدّمات شهادة عن الضعف، استمرارها دليل لضعفها. أما بالنسبة للسيد المسيح فكان الأمر مختلفاً.]

يتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم عن ذبيحة الإفخارستيا اليومية، هل ذبائح للصليب متكررة، ويجب: [إنها ليست ذبيحة أخرى كما كان رئيس الكهنة يفعل؛ إنما نقدم على الدوام ذات الذبيحة، أو بالأحرى نتمم تذكّار (أنامنيسيس) الذبيحة.] وقد سبق لنا في دراستنا عن سرّ الإفخارستيا تأكيد هذه الحقيقة أن ذبيحة الإفخارستيا ذبيحة حقّة، لكنها ليست تكراراً بل ذات ذبيحة الصليب القائمة والتي لا تقدم ولا تتكرر.

## ٢. قوة الذبيحة الفريدة الواحدة:

يقابل الذبائح المتكررة ذبيحة السيد المسيح الواحدة الفريدة: "وَأَمَّا هَذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الْأَيْدِ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، مُنْتَظِرًا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْهِ. لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَيْدِ الْمُقَدَّسِينَ" [١٢-١٤]. جلوس السيد المسيح كذبيح عن يمين الأب في السماوات منتظراً وضع أعدائه تحت قدميه شهادة حية عن قوة الذبيحة المحيية التي تعمل على الدوام لمصالحة البشرية لكي يدخل بالمؤمنين إلى حضن الأب معلناً النصر على الشيطان وكل أعماله النجسة خلالهم. فالسيد ليس محتاج أن يعلن عن جلوسه عن يمين أبيه إذ هو واحد معه، لكن ما صنعه إنما يتحقق باسم كنيسته عبر العصور.

إنه "القربان" الواحد الجالس عن يمين الأب لا يتكرر، يعمل بغير انقطاع لنصرتنا وتحررنا من الخطية. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [مادام قد غفر الخطايا خلال الذبيحة الواحدة فلا حاجة إلى ذبيحة ثانية.]

مرة أخرى يؤكد الرسول بولس أنه حيث تستطيع ذبيحة العهد الجديد أن تدخل إلى القلب وتعمل في الذهن لتطهير الأعماق فلا حاجة بعد إلى ذبيحة أخرى. "هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعَاهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِي أَدْهَانِهِمْ وَلَنْ أذْكَرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدَ. وَإِنَّمَا حَيْثُ تَكُونُ مَعْفَرَةٌ لِهَذِهِ لَا يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ الْخَطِيئَةِ" [١٦-١٨].

## ٣. الدخول إلى الأقداس

"فَادْ لَنَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالِدُخُولِ إِلَى الْأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ،

طريقاً كَرَسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ،

وَكَاهِنٍ عَظِيمٍ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ" [١٩-٢١].

يحدثهم الرسول كإخوة ارتبطوا معاً بروح الأخوة بثبوتهم في المسيح يسوع الكاهن والذبيحة، إذ صارت لهم ثقة أو دالة للدخول إلى الأقداس باستحقاقات دم المسيح، خلال عضويتنا في جسده المقدس، الحجاب الذي انشق بالموت لكي يدخل بنا إلى قدس الأقداس، والكاهن القادر وحده أن يقدمنا إلى سماواته.

يحدثنا القديس أثناسيوس الرسولي عن هذا الجسد المبذول كطريق لعبورنا إلى الأقداس، قائلاً: [إذ بسط يديه على الصليب طرح رئيس سلطان الهواء الذي يعمل الأب في أبناء المعصية (أف ٢: ٢) مهيباً طريق السماوات لنا].

بذبيحة الصليب المحطمة لسلطان إبليس وهاذمة للخطية صار لنا الثقة أو الجسارة في التمتع بالسماء، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [من أين الجسارة؟ ان كانت الخطية تجلب خزيًا فإن غفرانها وتمتعنا بشركة الميراث وبالحب العظيم يجلب لنا الدالة (أو الجسارة)].

إذ قدم الله الناموس بذبائحه القديمة إنما مهّد الطريق لتقبل ذبيحة جسد السيد المسيح الذي وحده يرفع قلوبنا إلى السماوات، وكما يقول العلامة أوريجينوس: [بالناموس نحصد محصول الأسرار كسلم نصعد به من السفليات إلى العلويات، ونرتفع به من الأرضيات إلى السماويات. الآن لتصعد - ما استطعت - فوق الأفكار الأرضية خلال التأمل والبصيرة الداخلية التي للقلب. لتتسى الأرض وتصعد إلى سحب السماء... لتبحث عن خيمة الله (الكنيسة) حيث دخل يسوع ليعيد لنا طريقنا، فيظهر أمام وجه الله يشفع لأجلنا].

صار لنا الثقة أو الجسارة للدخول إلى "الأقداس"، أي مقدسات الله. هنا لا يقول "قدس الأقداس" أو "القدس"، إذ انفتح الاثنان معاً ولم يعد بعد بينهما حجاب يفصلهما عن بعضهما البعض. في استحقاقات الدم انفتحت حياتنا السماوية هنا أي على الأرض على الحياة السماوية المستقبلية؛ انفتح القدس (عبادتنا الحاضرة) على قدس الأقداس (العبادة الأبدية).

أما الطريق الذي انفتح فهو جسده بكونه الحجاب الذي انشق على الصليب وارتفع جسد الرب فانشق حجاب الهيكل الفاصل بين القدس وقدس الأقداس، صار جسده هو سرّ انفتاح الأقداس علينا أو انطلاقنا نحن إليها، إذ صار لنا فيه موضع كأعضاء جسده المقدس، لنا حق التمتع بالسماويات، جسده هو الحجاب الذي اختفى وراءه اللاهوت حتى نقدر أن نلتقي به ونتعرف على أسرارهِ الإلهية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حين رُفِعَ جسده إلى العلى ظهرت الأمور التي في السماء]. كما يقول أنه في العهد القديم كان رئيس الكهنة يدخل قدس الأقداس بينما يبقى الكل خارجاً، أما الآن فإننا ندخل مع رئيس كهنتنا. دخول رئيس الكهنة وحده قدس الأقداس دون الشعب كان علامة انغلاق طريق الأقداس أمام البشرية، أما الآن فدخول السيد المسيح إلى السماء وجلسه عن يمين العظمة حاملاً طبيعتنا هو إعلان عن انفتاح طريق الأقداس بالنسبة لنا.

يحدثنا البابا أثناسيوس الرسولي عن جسد السيد المسيح المرتفع على الصليب كمن هو في الهواء حتى يحطم رئيس سلطان الهواء إبليس (أف ٢: ٢)، فاتحاً الطريق لنا نحو السماوات، إذ يقول: [إن كان الشيطان عدو جنسنا قد سقط من السماء وتحول إلى مجالنا السفلي فقد صار له سلطان على الأرواح زملائه الذين يستخدمهم كأتباعه يعملون بالخداعات لأجل المعصية. لا يعملون فقط في الذين يندعون وإنما يحاولون إعاقة المرتفعين إلى فوق، وكما يقول الرسول: "حسب رئيس سلطان الهواء، الرب الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢: ٢). لقد جاء الرب ليطرده الشيطان ويطهر الهواء منه، مهيباً الطريق إلى السماء وذلك "بالحجاب أي جسده" (عب ١٠: ٢٠). كقول الرسول: أي نوع من الموت يقدر أن يحقق هذا، إلا الموت الذي يتم في الهواء، أقصد بالصليب!... لقد لاق جداً أن يحتمل الرب هذا الموت، فبرفعه (على الصليب) ظهر الهواء من شر إبليس وكل أنواع الشياطين، إذ يقول: "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨)، بهذا صنع افتتاحاً جديداً لطريق السماء، إذ يقول أيضاً: "ارفعوا أبوابكم أيها الرؤساء ولترتفع الأبواب الدهرية" (مز ٢٤: ٧ - السبعينية). فإن الكلمة لم يكن في حاجة إلى فتح الأبواب إذ هو رب الكل، ولا يُغلق شيء من أعماله أمامه، إنما نحن الذين في حاجة إلى فتح الأبواب، إذ حملنا في جسده. لقد قدم الموت لحسابنا، مهيداً لنا الطريق إلى السماوات].

يرد القديس أناسيوس على الأريوسيين الذين يدعون أن السيد المسيح مخلوق بسبب جسده، قائلاً بأن هذا الجسد الذي أخذه الكلمة يخلص البشر من الموت، ويفديهم من الخطايا، ويفتح لهم أبواب السماء. [الذين لا يريدون أن يعبدوا الكلمة الذي صار جسداً يجحدون تأنسه... لا يمكن فصل الكلمة عن الجسد.] كأنه إذ يقول الرسول أن طريق الأقداس قد فتح بجسده، لا يمكن أن تعزل الجسد عن الكلمة، إذ هو شخص واحد، كلمة الله المتجسد.

هذا الطريق المفتوح لنا ننعم به في مياه المعمودية حيث نتحد مع مسيحننا كأعضاء في جسده، إذ يقول: "لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الْإِيمَانِ، مَرَشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شَرِيرٍ، وَمُعْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ" [٢٢].

## الجهاد المستمر

إيماننا بدم السيد المسيح هو الطريق الذي يهبنا الرجاء اليقين لدخولنا الأقداس، هذا الرجاء ينبغي أن يكون ملتصقاً مع ضميرنا الصالح بعيداً عن الشر، مع الالتزام بالجهاد المستمر في حياة البرّ خاصة المحبة. وكان الإيمان ليكون حياً وفعالاً يلزم أن يكون ملتصقاً بالرجاء مع المحبة، إذ يقول: "لنتقدم في يقين الإيمان... لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً... ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة" [٢٢-٢٤]. الإيمان يهبنا الدخول إلى الطريق، والرجاء يفتح القلب لمعاينته بفرح، والمحبة هي سمة الطريق ذاته!

من أعمال المحبة: "ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة" [٢٤]. أي يسند أهدنا الآخر خلال المحبة وأعمال الخير. فالجهاد يكون قانونياً باجتماعنا معاً بروح المحبة كأعضاء بعضنا لبعض، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [بهذا يكون اجتماع الكنيسة كلها قوياً، إذ ما لا يستطيع الإنسان أن يفعله بمفرده يقدر أن يتممه خلال التصاقه ببقية الكنيسة. لهذا فالصلوات (الجماعية) المرتفعة هنا عن العالم وعن الكنيسة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها لأجل سلام الذين هم في ضيقة أمر ضروري.]

يعود فيؤكد الرسول ضرورة الجهاد بروح جماعية، قائلاً: "غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةً، بَلْ وَاعْظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالْأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرَبُ" [٢٥]. وقد استخدم القديس يوحنا الذهبي الفم هذه العبارة في مدح الكنيسة الجماعية ونبذ روح العزلة عن الجماعة، قائلاً: [ليس شر عظيم هكذا مثل العزلة وبقاء الإنسان خارج الجماعة بلا اتصال.] حقاً ما أنفع الروح الجماعية، فإنها تسند كل عضو دون أن تفقده علاقته الشخصية مع إلهه!

أخيراً يحذرنا الرسول نحن الذين تمتعنا بفاعلية دم السيد المسيح من السقوط في العصيان، لأن: "مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ. فَكَمْ عِقَابًا أَشْرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللَّهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنَسًا، وَأَزْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟!" [٢٨-٢٩] ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا النص بقوله:

[كيف تدوس ابن الله؟...]

الذين يخطئون لا يعطون المسيح اعتباراً...

لقد صرت جسد المسيح، فهل تسلم نفسك للشيطان، ليطأ عليك تحت قدميه؟!]

كما يقول: [مثل هذا الإنسان يستحق عقابًا أعظم، ومع هذا فإن الله يفتح له أبواب التوبة ويقدم له وسائل كثيرة لغسل معاصيه.]

إن كان السيد المسيح بدمه فتح لنا باب الرجاء على مصراعيه، فلا يعني هذا استهانتنا بالمراحم الإلهية وطول أناة الله علينا. وكما يقول الرسول بولس: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يفتادك إلى التوبة؛ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب وإستعلان دينونة الله، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله" (رو ٢: ٤ - ٦).

بعد أن قدم الوصايا كشف لهم جانبًا من جوانب جهادهم لأجل تشجيعهم، كعادة الرسول الذي يقرن توبيخاته بالمدح، وحزمه بالحب وشدته بالرجاء، إذ يقول: "وَلَكِنْ تَذَكَّرُوا أَيَّامَ السَّالْفَةِ الَّتِي فِيهَا بَعْدَمَا أَنْرَثُمْ صَبِرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلامٍ كَثِيرَةٍ" [٣٢]. بعدما نالوا المعمودية أي سرّ الاستنارة صبروا على الجهاد في آلام كثيرة خاصة من بني جنسهم اليهود، وقد قبلوا الآلام ليس بجهادٍ وصبرٍ فحسب، وإنما بفرحٍ روحي، إذ يقول: "لَأَنْكُمْ رَثِيئُمْ لِيُؤدِّي أَيْضًا، وَقَبْلَتْكُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ، عَالِمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالًا أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبِأَقْيَا" [٣٤].

علامة تقدمهم الروحي أنهم قبلوا الآلام بفرح وكما يقول العلامة أوريجينوس: [الفرح هو أحد ثمار الروح الواردة في الكتاب المقدس؛ ففي الرب تبتهج نفسي؛ إذ تبتهج نفسي بالرجاء، تبتهج باحتمال الظلم لأجل اسمه في كل المناسبات، مقدمًا باكورة الفرح لله بواسطة الكاهن الأعظم الحقيقي.]

أما سرّ فرحهم في احتمال الظلم وسلب أموالهم فهو التمتع بالمكافأة السماوية. لقد وضعوا ثقتهم بإيمان في الأقداس السماوية متمسكين بإقرار الرجاء راسخًا إلى النهاية. لقد احتملوا آلام الحب الحاضرة بصبرٍ وفرح، منتظرين سرعة مجيء السيد المسيح الآتي ليأخذهم معه إلى الأقداس.

١ لان الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الاشياء لا يقدر ابدًا بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام ان يكمل الذين يتقدمون  
٢ و الا افما زالت تقدم من اجل ان الخادمين و هم مطهرون مرة لا يكون لهم ايضا ضمير خطايا

٣ لكن فيها كل سنة ذكر خطايا

٤ لانه لا يمكن ان دم ثيران و تبيوس يرفع خطايا

٥ لذلك عند دخوله الى العالم يقول ذبيحة و قربانا لم ترد و لكن هيات لي جسدا

٦ بمحرقات و ذبائح للخطية لم تسر

٧ ثم قلت هانذا اجيء في درج الكتاب مكتوب عني لافعل مشيئتك يا الله

٨ اذ يقول انفا انك ذبيحة و قربانا و محرقات و ذبائح للخطية لم ترد و لا سررت بها التي تقدم حسب الناموس

٩ ثم قال هانذا اجيء لافعل مشيئتك يا الله ينزع الاول لكي يثبت الثاني

١٠ فهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة

١١ و كل كاهن يقوم كل يوم يخدم و يقدم مرارا كثيرة تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة ان تنزع الخطية

١٢ و اما هذا فبعدهما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الابد عن يمين الله

١٣ منتظرا بعد ذلك حتى توضع اعداؤه موطنًا لقدميه

- ١٤ لانه بقربان واحد قد اكمل الى الابد المقدسين  
 ١٥ و يشهد لنا الروح القدس ايضا لانه بعدما قال سابقا  
 ١٦ هذا هو العهد الذي اعهدته معهم بعد تلك الايام يقول الرب اجعل نواميسي في قلوبهم و اكتبها  
 في اذهانهم  
 ١٧ و لن اذكر خطاياهم و تعدياتهم في ما بعد  
 ١٨ و انما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية  
 ١٩ فاذ لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الاقداس بدم يسوع  
 ٢٠ طريقا كرسه لنا حديثا حيا بالحجاب اي جسده  
 ٢١ و كاهن عظيم على بيت الله  
 ٢٢ لتتقدم بقلب صادق في يقين الايمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير و مغتسلة اجسادنا بماء  
 نقي  
 ٢٣ لتتمسك باقرار الرجاء راسخا لان الذي وعد هو امين  
 ٢٤ و لنلاحظ بعضنا بعضا للتحريض على المحبة و الاعمال الحسنة  
 ٢٥ غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعطين بعضنا بعضا و بالاكثر على قدر ما ترون  
 اليوم يقرب  
 ٢٦ فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما اخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا  
 ٢٧ بل قبول دينونة مخيف و غيرة نار عتيدة ان تاكل المضادين  
 ٢٨ من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين او ثلاثة شهود يموت بدون رافة  
 ٢٩ فكم عقابا اشر تظنون انه يحسب مستحقا من داس ابن الله و حسب دم العهد الذي قدس به  
 دنسا و ازدرى بروح النعمة  
 ٣٠ فاننا نعرف الذي قال لي الانتقام انا اجازي يقول الرب و ايضا الرب يدين شعبه  
 ٣١ مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي  
 ٣٢ و لكن تذكروا الايام السالفة التي فيها بعدما انترتم صبرتم على مجاهدة الام كثيرة  
 ٣٣ من جهة مشهورين بتعبيرات و ضيقات و من جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا  
 ٣٤ لانكم رثيتم لقيودي ايضا و قبلتم سلب اموالكم بفرح عالمين في انفسكم ان لكم مالا افضل في  
 السماوات و باقيا  
 ٣٥ فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة  
 ٣٦ لانكم تحتاجون الى الصبر حتى اذا صنعتم مشيئة الله تتألون الموعد  
 ٣٧ لانه بعد قليل جدا سيأتي الاتي و لا يبطل  
 ٣٨ اما البار فبالايمان يحيا و ان ارتد لا تسر به نفسي  
 ٣٩ و اما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الايمان لاقتناء النفس

## الأصحاح الحادي عشر

### الإيمان

يعتبر هذا الأصحاح تطبيقًا عمليًا من واقع رجال العهد القديم المؤمنين، فبعد أن تحدث الرسول عن السيد المسيح كرئيس الكهنة الذي فتح الأقداس السماوية، مقارنًا بين خدمة الكهنوت اللاوي والكهنوت الجديد، يؤكد ضرورة الإيمان كطريق للتمتع بهذه المقاديس السماوية المفتوحة للبشرية كلها في المسيح يسوع.

١. ما هو الإيمان؟ ١ - ٣.

٢. رجال الإيمان ٤ - ١٢.

٣. الإيمان بالوطن السماوي ١٣ - ١٥.

٤. رجال الإيمان (يتبع) ١٦ - ٣٩.

١. ما هو الإيمان؟

"وَأَمَّا الْإِيمَانُ فَهُوَ الثَّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالْإِيْقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى.

فَأَيْتُهُ فِي هَذَا شُهْدَ لِلْقُدَمَاءِ" [٢-١].

الإيمان هو الثقة بالمقدسات الإلهية غير المنظورة كحقائق واقعة وحاضرة، فيحيا الإنسان في يقين من جهة الأمور غير المنظورة ولا ملموسة بالحواس.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [الإيمان هو رؤية واضحة للأمر وتؤكد كامل من جهة غير المنظورات كأنها من المنظورات.] كما يقول: [سأوضح الأمر بأمثلة... فقد قال الرب أن من يترك أباً أو أماً أو إخوة أو أخوات يصير له آباء وأمهات، فنرى ذلك القول أنه يتحقق فعلاً. وأيضاً إذ يقول: "في العالم يكون ضيق لكن ثقوا (افرحوا) أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣)، بمعنى أنه لا يغلبك أحد، هذا يدركه (المؤمن) أنه حقيقة واقعة. وأيضاً عندما يقول أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة (مت ١٦: ١٨) حتى وإن كانت مُضطهدة، وأنه لا يستطيع أحد أن يوقف الكرازة، يدرك أن هذه النبوة حقيقة واقعة مع أن هذا قيل في وقت كان يصعب فيها تصديقها.] بالإيمان قبلنا وصايا الله الصعبة ومواعيده التي يبرهن على صدقها لا بكلمات وإنما بخبرة عملية عند ممارستها. بالإيمان نسلكتها ونتقبل مواعيدها التي تبدو غير معقولة لكننا نكتشف صدقها خلال الخبرة. لهذا [يتطلب الإيمان نفساً نشطة ومملوءة غيرة، تسمو فوق الأمور الحسية وتعبر فوق كل تعقلات بشرية، فإنه لا يمكن أن تصير مؤمنة إن لم ترتفع فوق العادات العامة التي للعالم.]

ولما كان الرسول يتحدث إلى مسيحيين من أصل عبراني لهذا قال: "فَأَيْتُهُ فِي هَذَا شُهْدَ لِلْقُدَمَاءِ" [٢]؛ وكأنه يقول لهم إن هذا الأمر ليس بغريب عنكم، فقد اختبره آباؤكم. تاريخهم العبراني هو خير شاهد لحياة الإيمان. كأن الرسول يضع أمامهم أسفار العهد القديم ليتصفح معهم حياة الإيمان كما عاشتها كنيسة العهد القديم.

لقد بدأ العهد القديم بإعلان الله كخالق "بِالْإِيمَانِ نَفَهُمْ أَنَّ الْعَالَمِينَ أَثَقَّتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكُونُوا مَا يَرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" [٣]. فإن رجال العهد الجديد لا يستطيعوا أن يتقبلوا السيد المسيح "كلمة الله المتجسد" كمخلص ومجدد طبيعتهم الداخلية بروحه القدس، ما لم يتقبلوا الأساس الأول أن الله هو الخالق بكلمته. فالكلمة الذي يخلق هو وحده يقدر أن يجدد الخلقة بعد أن فسدت.

يقول البابا أنثاسيوس الرسولي: [الله صالح، أو بالحري الصلاح في جوهره... خلق كل شيء من العدم بكلمته الذاتية، يسوع المسيح ربنا.] وبه أيضاً جدد الخلقة وخلصها ويرى أيضاً في هذه العبارة الرسولية أن الله هو الخالق ليس من يبلغ قياسه، كائن قبل كل الدهور، به جاء الزمن.

## ٢. رجال الإيمان

ينتقل من الأساس الأول للإيمان بكلمة الله الخالق الأزلي، إلى أمثلة عملية لرجاء الإيمان في العهد القديم، وكان إيمان الكنيسة ما هو إلا امتداد لرجال الكنيسة الأولى قبل التجسد. ولعله ذكر هذه الأمثال لأن الرسول بولس - كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم - أراد أن يعلن لهم أن العبرانيين قد بدأوا حياتهم مع الله بالإيمان خلال أشكال مختلفة، لكن للأسف كملوا في ضعف بقلوب فاترة في الإيمان.

وقد لاحظ القديس أثناسيوس الرسولي الذي قضى أغلب حياته الرعوية في جهاد من أجل الإيمان المستقيم، وغالبًا ما كان يضطر أن يترك كرسيه ويهرب من الأريوسيين الذين صمموا على قتله، أن الجهاد من أجل الإيمان لا يقل عن الاستشهاد. وأن رجال الإيمان الذين ذكرهم الرسول هنا غالبيتهم لم يستشهدوا لكنهم عاشوا رجال إيمان. يقول القديس: [لا تقوم تركية الشهيد على مجرد رفضه للتبشير للأوثان وإنما على رفضه إنكار الإيمان، فإن هذا يمثل شهادة واضحة عن الضمير الصالح. هذا ولا يُدان فقط الذين ينجرفون إلى عبادة الأوثان كغرباء وإنما يُدان أيضًا الذين يخونوا الإيمان.] كما يمتدح الإيمان قائلاً: [إبراهيم الأب البطريك قد قبل الإكليل ليس لأنه تألم حتى الموت، وإنما لأنه آمن بالله، وأيضًا القديسون الذين ذكرهم بولس من جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والبقية لم يتكلموا بسفك دمائهم، إنما تبرروا بالإيمان، إذ كانوا مستعدين أن يحتملوا الموت من أجل التقوى نحو الله.]

قدم بولس الرسول الأمثلة التالية من عظماء المؤمنين والمؤمنات:

### أ. هابيل

إنه المثل الأول لرجال الإيمان، لا يقوم على أساس حياته الخاصة وإنما يقول الرسول: "بالإيمان قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَائِينَ، فِيهِ شَهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللَّهُ لِقَرَابِيئِهِ. وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ!" [٤] لقد شهد الله ببره ليس لأفضلية حياته أو أعماله الخاصة عما لقائين، وإنما لأفضلية ذبيحته عن قرابين قايين. لقد قدم قايين من ثمرات الأرض قربانًا، لكن الله اشتم رائحة الرضا في الذبيحة الدموية التي لهابيل. كانت تحمل رائحة السيد المسيح على الصليب وظلالها. هذا هو أساس إيماننا أن كلمة الله الخالق يحددنا نحن خليقته خلال الدم الثمين، فنقدم حياتنا ذبيحة حب خلال إتحادنا بالذبيح الحق، بهذا نصير كهابيل الذي صار هو نفسه كذبيحة وهو مرفوض من أخيه.

كأن الرسول يحدث المسيحيين العبرانيين المطرودين من الهيكل، أنهم قد صاروا كهابيل المرفوض من أخيه من أجل الذبيحة المقبولة لدى الله الأب، ذبيحة السيد المسيح. لهذا وإن حاول إخوتهم أن ينهوا حياتهم لكن صوتهم يبقى مدويًا، وشهادتهم لا يمكن كتمانها بالموت، ولا للزمن أن يحطمها. لا يزال صوت هابيل عاليًا يعلن عن قبول الله ذبيحته الدموية، ويبقى صوت المؤمنين المرذولين والمضطهدين صارخًا يشهد للحق بغير انقطاع.

### ب. أخنوخ:

"بالإيمان نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لَا يَرَى الْمَوْتَ، وَكَمْ يُوجَدُ لَأَنَّ اللَّهَ نَقَلَهُ - إِذْ قَبِلَ نَقْلَهُ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللَّهَ" [٥]. إن كان هابيل بايمانه أعلن عن سرّ ذبيحة المسيح المقبولة عنده، وقبولنا الموت معه كل يوم، فإن حياة أخنوخ حملت بالإيمان صورة حياة للكنيسة السماوية الفائقة، والتي تعلق فوق الحياة البشرية الطبيعية، تشهد لسيرتها أمام العالم، لهذا ينقلها الرب إليه لتحيا معه شريكة في

أمجاده. يقول الرسول: "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات، التي منها ننتظر مخلصًا هو الرب يسوع، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده".

بالإيمان نتمتع بالحياة السماوية كأعضاء في كنيسة الله المقبولة لدى عريسها، "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه" [٦].

ليت قلبنا يكون بحق كأخنوخ يؤمن بالله فيُنقل إلى فوق لينتظر المجازاة للذين يطلبونه، التي هي بحق اقتناء ربنا يسوع. هذه هي مكافأة النفس التي تطلبه... إنها تناله وتوجد معه في سماواته وأمجاده الأبدية في حضن الأب السماوي.

### ج. نوح:

إن كان هابيل يعلن في إيمانه الذبيحة الفريدة التي لا تصمت قط عن الشهادة للحق فينا، وأخنوخ يمثل الكنيسة المرتفعة إلى عريسها لكي تحيا في السماويات عبر وجودها بالجسد على الأرض، فإن نوحًا يمثل إيمانه إدانة العالم الذي رفض الدخول في الفلك، فإنه لا خلاص خارج الفلك، ولا تمتع بالحياة الجديدة إلى خلال المياه المعمودية. "بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تُر بعد خاف، فبنى فلكًا لخلص بيته، فيه دان العالم، وصار وارثًا للبر الذي حسب الإيمان" [٧]. إن كانت الكنيسة تمتع بالخلص في الصليب كما في فلك نوح وسط مياه المعمودية، فإن هذا الخلاص إنما يدين العالم.

لقد اعتاد الآباء أن يقيموا الكنيسة غالبًا على شكل فلك نوح علامة العبور من العالم القديم إلى الحياة الجديدة... وقد سبق لنا الحديث في شيء من التفصيل عن الكنيسة وعلاقتها بفلك نوح، مستندًا على كتابات الآباء الأولين.

### د. إبراهيم:

قدم كل أب من الآباء جانبًا من جوانب الإيمان، هابيل قدم الجانب الإلهي وهو تقديم الذبيحة المقدسة، أي تقديم حمل الله، وأخنوخ كشف عن طبيعة الكنيسة المؤمنة ألا وهو الجانب السماوي، ونوح أعلن أنه لا خلاص خارج الكنيسة المقدسة، أما إبراهيم فقدم الجانب العملي للإيمان وهو الطاعة لله بجانب جوانب متفاعلة معًا. لقد آمن إبراهيم أب الآباء عمليًا فترك الملموسات والمنظورات في ثقة في وعود الله التي لم تكن ملموسة ولا منظورة. يقول الرسول: "بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيديًا أن يأخذه ميراثًا، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. بالإيمان تعرب في أرض الموعد كأنها غريبة، ساكنًا في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه. لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله" [٨-١٠]. لقد أطاع أن يخرج الذي كان عتيديًا أن يتمتع بالميراث، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب. الإيمان هو الذي قاده! لم يسمع من قبل عن أمثلة إيمانية حيّة يقتدي بها إلا ما قد تسلمه بالتقليد عن هابيل وأخنوخ ونوح، ليس بين يديه كتاب مقدس ولا شريعة مستلمة ولا من يرشده أو نبي أو كاهن، لكن الإيمان أنار له الطريق؛ وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كان أبوه أمميًا وعابد وثن، ولم يسمع أنبياء ولا عرف أين يذهب.] بالإيمان لم ينل أرض موعد، لكنه وثق أن نسله يرث الأرض التي يسير عليها كغريب هو وابنه إسحق وحفيده يعقوب، وكان غير مضطرب وبلا هم، متأكدًا من تحقيق مواعيد الله في الأجيال القادمة الخارجة من صلبه.

كما قدم لنا الرسول رجال إيمان هكذا يقدم لنا أمثلة حية لنساء مؤمنات مثل سارة التي تمثل الكنيسة المؤمنة بالله واهب القيامة. "بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذتُ قُدْرَةً عَلَى إِثْشَاءِ نَسْلِ، وَبَعْدَ وَقْتِ السَّنِّ وَكَلَّتْ، إِذْ حَسِبَتْ الَّذِي وَعَدَ صَادِقًا. لِذَلِكَ وُلِدَ أَيْضًا مِنْ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ مِنْ مُمَاتٍ، مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي الكَثْرَةِ، وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ الَّذِي لَا يُعَدُّ" [١١-١٢].

إن كان رجال الإيمان قد ابتدأوا بهابيل الصديق ليعلن الوحي الإلهي ذبيحة السيد المسيح التي لن تصمت بل تبقى عاملة عبر الأجيال، فإن النساء المؤمنات يبتدئن بسارة الأم المباركة التي كانت في حكم الموت، كانت أحشائها عاقراً غير قادرة على الإنجاب ويؤكد موتها شيخوختها! لقد نالت بالإيمان قوة القيامة لتنجب من الأحشاء الميتة أولاداً لله مثل نجوم السماء ورملة شاطئ البحر الذي لا يُعد! لقد قال القديس يوحنا المعمدان لليهود: "لا تفنكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأنني أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم" (مت ٣: ٩). هذا القول لم يكن حديث مبالغه فقد أقام الله بالفعل من الحجارة أولاداً لإبراهيم، إذ كانت أحشاء سارة أشبه بالحجارة التي لا تنجب، في حكم الجماد من جهة إمكانية الإنجاب، وبالإيمان وهبها الله أن يقيم لها من الحجارة أولاداً لإبراهيم. هذا هو إيمان سارة في قيامة السيد المسيح الذي بقيامته أقام من الحجارة أولاداً لإبراهيم ولا يزال يقيم! لقد كان آباؤنا من الأمم كالحجارة إذ يعبدون الوثن الحجري، وتحولوا إلى أولاد إبراهيم بل أولاد الله! لقد حول الإيمان القلوب الحجرية إلى أولاد الله الحي!

### ٣. الإيمان بالوطن السماوي:

إذ طُرد المؤمنون من الهيكل اليهودي وحرّموا من ممارسة العبادة الجماعية مع إخوانهم، فإن الرسول يرفع أعينهم إلى هيكل آخر سماوي وعبادة على مستوى ملائكي، ليذكروا أن ما فقدوه من منظورات لا يقارن أمام ما يتمتعون به في عالم غير المنظورات. هذا ليس بأمر خيالي، إنما هو حياة إيمانية تمثل امتداداً للحياة التي عاشها آباؤهم، محتملين الحرمان من الكثير، لينعموا بالمواعيد السماوية. يقول الرسول: "فِي الإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا المَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوهَا، وَأَقْرَبُوا بِأَنفُسِهِمْ غُرَبَاءَ وَتَزَلَّاهُ عَلَى الأَرْضِ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظَاهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا. فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي حَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرَّجُوعِ. وَلَكِنِ الآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَآوِيًا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِي بِهِمُ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" [١٣-١٦].

هكذا يؤكد الرسول أن رجال العهد القديم، ليس كما يظن البعض قد وضعوا رجاءهم في مواعيد زمنية، وإنما رأوا الوطن السماوي والمواعيد الأبدية مختفية وراء المواعيد الزمنية. لقد تطلّعوا بالإيمان إلى وعود الله الأبدية فصدقوها بالإيمان وحَيَّوها بالعمل الجاد للتمتع بها ولهيب قلبهم الذي لا ينقطع في الشوق إليها. لقد أحسوا أمام هذه الوعود أنهم بحق هم غرباء ينتظرون العبور إلى وطنهم السماوي للتمتع بها، ليس من أمر زمني - مهما كانت قدرته - يستحق أن يسحب القلب إلى الوراء نحو الأرضيات. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حقاً كانوا في أوجاع الطلاق كل يوم، مشتاقين إلى التحرر من هذا العالم ليرجعوا إلى وطنهم. أما نحن فعلى العكس متى أصابتنا حمى نهمل كل شيء ونبكي كأطفال صغار خائفين من الموت. لسنا بلا سبب نفعل هذا، فإننا إذ لا نعيش هنا كغرباء ولا نسرع نحو وطننا نكون كمن يذهب لينال العقوبة لهذا نحزن. إننا لا نسلك كما ينبغي لكننا نقلب الأوضاع رأساً على عقب. نحزن حينما يليق الفرح، ونرتجف كالمجرمين ورؤساء العصابات عندما يُقدمون إلى كرسي القضاء، متذكّرين ما ارتكبوه فيخافون ويرتعبون].

يشتهي رجال الإيمان وطنهم السماوي، لهذا يُسر الله بهم، فيدعى إلههم لأنه أعد لهم المدينة السماوية التي فيها يجتمعون معه ويسكن هو في وسطهم إلى الأبد، يفرح بأولاده ويفرحون بأبيهم السماوي. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [أه! يا لعظم الكرامة! لقد وهبهم أن يدعى إلههم... فإنه يتمجد عندما يدعى إلهًا للصالحين والمترفين والذين يهتمون بالفضيلة.] لقد سبق في دراستنا للعهد القديم أن رأينا الله يعتز بنسب نفسه إلهًا للمباركين ولا ينسب نفسه إلهًا للأشرار مع أنه إله الكل! ويحسب الشعب "شعبه" حينما يكون مقدسًا، أما عند صنعه الشر فلا يدعوه "شعبي" بل "الشعب" أو "شعبك" (شعب موسى).

#### ٤. رجال الإيمان (يتبع):

إذ قطع الرسول حديثه عن أمثلة من رجال الإيمان ليؤكد غايتهم وهو التمتع بالوطن السماوي عاد ليعطي أمثلة من رجال ونساء العهد القديم:

##### أ. إبراهيم:

عاد الرسول يتحدث عن إبراهيم ليعلم إيمانه العجيب في مواعيد الله التي وُهبته له والتي جاءت كأنها متضاربة مع الأوامر الإلهية الصادرة إليه. لقد أعطاه الله وعدًا أن يبارك إسحق ابنه ليقوم منه نسلًا بلا عدد، وفي نفس الوقت يطلب إليه تقديم هذا الابن الوحيد والحبیب ابن الموعد ذبيحة. بالإيمان قبل أبونا إبراهيم الوعد بثقة وأطاع الأمر بغير اضطراب أو شك. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [سمع إبراهيم ما يضاد المواعيد من ذلك الذي وهبه إياه، ومع هذا لم يضطرب بل نفذ الأمر غير المنسجم مع المواعيد. حقًا طبقًا للحسابات البشرية الأمر غير منسجم مع المواعيد، لكن بالإيمان تظهر منسجمة معًا. كيف حدث هذا؟ لقد علمنا الرسول نفسه هذا بقوله: "حاسبًا أن الله قادر على إقامته من الأموات"، وذلك بذات الإيمان الذي كان له بأن الله يهبه (إسحق) مما لم يكن ويقيم من الموت (إذ وهبه إياه خلال رحم سارة الميت فأقامه من العدم ووهبه حياة عوض الموت). لقد آمن أيضًا أنه سيقومه بعد تقديمه ذبيحة. طبقًا للحسابات البشرية الأمران مستحيلان: أي إنجاب طفل من رحم ميت عقيم ومتقدم في الأيام، وإقامة إنسان ذبيح. إيمانه السابق قد أعد الطريق للأمور المقبلة.]

يلحق **القديس أثناسيوس الرسولي** على إيمان إبراهيم أب الآباء في تقديمه إسحق للرب قائلاً: [في تقديم ابنه تعبد لابن الله، إذ مع تقديم إسحق ذبيحة رأى المسيا في الكبش (تك ٢٢: ١٥) الذي قدم ذبيحة لله عوضًا عنه، لقد جُرب الأب البطريرك في إسحق، لكنه على أي الأحوال لم يقدم ذبيحة من عين ذبيحة في إشعيا: "كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامته أمام جازيها فلم يفتح فاه" (إش ٥٣: ٧)... لقد قبل الله إرادة (نية) مقدم الذبيحة لكنه منع الذبح، لأنه ما كان موت إسحق يقدر أن يهب للعالم الحرية وإنما هو موت المخلص وحده الذي يحبره شُفِينَا (إش ٥٣: ٥).]

هكذا بالإيمان قدم إبراهيم ابنه ذبيحة حب لله فرأى في الحمل الموثق بقرنيه صورة الفداء في حمل الله الذي يحمل خطية العالم. هذا ومن جانب آخر رأى في إسحق نفسه أيضًا صورة حياة لعمل المسيح الفدائي، وقد اعتادت الكنيسة في كل خميس للعهد إذ تذكر تأسيس سرّ الإفخارستيا، تصلي بقسمة "ذبح إسحق" كرمز لذبيحة السيد المسيح على الصليب.

##### ب. إسحق:

"بِالإِيمَانِ إِسْحَاقُ بَارَكَ يَعْقُوبَ وَعَيْسُو مِنْ جِهَةِ أُمُورٍ عَتِيدَةٍ" [٢٠]. بارك إسحق المتغرب ابنه يعقوب وعيسو ناظرًا إلى الأمور المستقبلية بوضوح. فقد قدّم ابنه يعقوب عن عيسو البكر جسديًا، لأن الأول قد صار في عيني الله بكرًا، مع أنه حسب الجسد هو الثاني. لقد حمل بهذا رمزًا لما هو عتيد أن يحدث فإن يسوع المسيح، آدم الثاني، صار بكرًا للبشرية وخسر آدم الأول البكرية، لأن آدم بعد سقوطه لم يكن قادرًا أن يرضي الله، أما رب المجد يسوع فهو موضع سرور الأب، فيه ننعم برضا الأب ويسر الأب بنا.

#### ج. يعقوب:

"بِالإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ ابْنَيْ يُوسُفَ، وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ" [٢١]. عندما بارك ابني يوسف وضع يعقوب يمينه على رأس الأصغر (إفرايم) ويساره على رأس الأكبر (منسي)، فصارت يداه أثناء تقديم البركة على شكل صليب، الأمر الذي أحرز قلب والدهما يوسف وحاول تصحيح الوضع، لكن يعقوب أصر على موقفه. بهذا وضع يمين البركة على الأصغر إفرايم، وليس على رأس البكر جسديًا منسى... وكان البكرية لا تعطى حسب الجسد وإنما هي عطية توهب مجانًا لمن يستحقها روحياً. كأن يعقوب يكرر ما فعله أبوه إسحق حين باركه وهو الأصغر. ومن ناحية أخرى أعلن أبونا يعقوب أن كل بركة روحية تحل علينا إنما هي خلال علامة الصليب وكما يتحدث القديس هيبوليتس عن فاعلية الصليب وبركته فينا: [الصليب هو سلم يعقوب، هذه الشجرة ذات الأبعاد السماوية ارتفعت من الأرض حتى السماء، أقامت ذاتها غرساً أبدياً بين السماء والأرض، لكي ترفع المسكونة... وتضم معاً أنواعاً مختلفة من الطبيعة البشرية.]

أما سجوده على رأس عصاه فكان إشارة إلى سجوده للصليب.

#### د. يوسف:

"بِالإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ" [٢٢]. سمع يوسف الوعد الإلهي لجدّه إبراهيم فأمن أن الله لن يترك شعبه متغربًا، لهذا بالإيمان أوصى بعظامه عند الخروج إعلانًا عن شوقه للدخول إلى مواعيد الله خلال عظامه اليابسة. كان يوسف في مصر يعيش في مجدٍ، بكونه الرجل الثاني بعد فرعون، لكن القصر لم يشغله عن الوعد الإلهي، مشتركا بالإيمان مع الشعب في الخروج خلال النية، كرمز للخروج من عبودية الخطية إلى الحياة الجديدة في المسيا المخلص.

#### ه. والدا موسى:

"بِالإِيمَانِ مُوسَى، بَعْدَمَا وُلِدَ، أَخْفَاهُ أَبَوَاهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، لِأَنَّهُمَا رَأَى الصَّبِيَّ جَمِيلًا، وَلَمْ يَخْشِيَ أَمْرَ الْمَلِكِ" [٢٣]. لم ينس الرسول عند حديثه عن موسى النبي كرجل إيمان عظيم أن يبرز أولاً إيمان والديه. لقد قدم الرسول لنا والدين كمثال بين أمثلة الإيمان حتى ندرك خطورة دور الأسرة في الحياة الإيمانية وعمل الوالدين الجسديين مع الأب الروحي في تهيئة الأجيال المؤمنة بحق. هذا أيضًا أبرزه الرسول حين كتب إلى تلميذه تيموثاوس يقول له: "أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكن موقن أنه فيك أيضًا" (٢ تي ١: ٥).

لقد ظهر إيمان والدي موسى في إخفائهما الطفل ثلاثة أشهر، "لأنهما رأيا الصبي جميلاً"، وكما يقول الشماس اسطفانوس: "كان جميلاً جدًا". ماذا رأيا في وجهه إلا انعكاس مجد السيد المسيح

المقام من الأموات. فقد كان الطفل تحت حكم الموت، لأن فرعون طلب قتل كل الأطفال الذكور، لكن الوالدين استبقياه بإيمان أن جمالاً داخلياً يكمن فيه. لقد بقي ثلاثة شهور، ونحن نعلم أن رقم ٣ يشير إلى القيامة (حيث قام السيد في اليوم الثالث)، ليظهر بعد الشهور الثلاثة على وجه المياه، مقدساً المياه لتهدب المؤمن قوة القيامة معه.

لقد كان موسى جميلاً في أعينهما، لذا احتفظا به ثلاثة أشهر، وهكذا بالإيمان نحمل في داخلنا لا موسى بل ربه، مدركين أنه "أبرع جمالاً من بني البشرية"، نخفيه فينا ثلاثة أشهر حتى ننعم بالقيامة معه، فلا نوجد محمولين على مياه النهر بل على البحر الزجاجي في أورشليم العليا.

#### و. موسى

"بِالإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبِي أَنْ يُدْعَى ابْنُ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، مَفْضِلاً بِالْأَحْرَى أَنْ يَنْزِلَ مَعَ شَعْبِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقَتِي بِالْخَطِيئَةِ...". [٢٤]. يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة، قائلاً: [إذ وُضعت السماء أمام موسى صار الإعجاب بقصر مصري أمراً تافهاً... لقد حسب العار من أجل المسيح أفضل من الحياة السهلة، وهذا في ذاته يحمل مكافأة... لقد ألقى موسى بنفسه في مخاطر كثيرة بمحض اختياره في الوقت الذي كان في إمكانه أن يعيش متديباً وهو يتمتع بالخيرات...، لكنه حسب خطية ألا يكون مستعداً لاحتمال الآلام مع الغير، فصار احتمالاً للآلام خيراً عظيماً، ملقياً بنفسه فيها تاركاً القصر الملكي. لقد فعل هذا لأنه رأى أمامه أموراً عظيمة، حاسباً عار المسيح أفضل من خزائن مصر.]

بالإيمان ترك موسى مصر غير خائف من غضب الملك، لقد هرب أولاً خائفاً من الملك لكي لا يجرب الرب وسط المخاطر بلا هدف، وعندما دُعي للعمل أطاع وعاد ليواجه فرعون بلا خوف.

"بِالإِيمَانِ صَنَعَ الْفِصْحَ، وَرَشَّ الدَّمَ، لِئَلَّا يَمَسَّهُمُ الَّذِي أَهْلَكَ الْأَبْكَارَ" [٢٨]. لقد قام موسى بهذا العمل بكونه رمزاً لعمل السيد المسيح الخلاصي، أي الفصح الحقيقي الذي عبر بنا من عبودية إبليس إلى حرية مجد أولاد الله، وقد سبق لنا الحديث عن ذلك بشيءٍ من التوسع في دراستنا لسفر الخروج.

"بِالإِيمَانِ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ كَمَا فِي الْيَابِسَةِ، الْأَمْرُ الَّذِي لَمَّا شَرَعَ فِيهِ الْمِصْرِيُّونَ غَرَفُوا" [٢٩]. هنا يقارن شعباً بشعب، فقد قاد موسى الشعب كله بالإيمان ليجتازوا البحر كيابسة. إن كان موسى بشعبه يمثل مملكة الله التي ينفث لها الطريق خلال مياه المعمودية، فإن فرعون بجيشه يمثل مملكة إبليس التي تتحطم خلال نفس مياه المعمودية. في المعمودية تقوم مملكة السماوات فينا وتتحطم مملكة إبليس ولا يكون لها موضع فينا.

#### ز. يشوع:

"بِالإِيمَانِ سَقَطَتْ أَسْوَارُ أَرِيحَا، بَعْدَمَا طِيفَ حَوْلَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ" [٣٠]. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [بالتأكيد لا تستطيع أصوات الأبواق أن تسقط الحجارة (التي للأسوار)... لكن الإيمان يقدر أن يفعل كل شيء.]

#### ط. راحاب الزانية:

"بِالإِيمَانِ رَاغَبُ الزَّانِيَةِ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ الْعُصَاةِ، إِذْ قَبِلَتْ الْجَاسُوسِينَ بِسَلَامٍ" [٣١]. ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك، قائلاً:

[من العار أن تظهر في عدم إيمان أكثر من زانية!]

لقد سمعت ما رواه الرجلان وأمنت!

وكانت النتيجة هلاك الكل بينما حُفظت وحدها من الهلاك.

لم تقل في نفسها: أني أبقى مع أصدقائي الكثيرين،

ولا قالت: هل أنا أكثر حكمة من هؤلاء الرجال العقلاء الذين لا يؤمنون، وأنا أو من؟!]

لم تقل شيئاً من هذا بل أمنت بما سيحدث وما سيعانيه (الكنعانيون).]

انتقل الرسول من الآباء البطارقة إبراهيم وإسحق ويعقوب إلى يوسف فموسى كأول قائد للشعب ثم تلميذه يشوع الذي دخل بالشعب أرض الموعد، وهنا يتوقف أمام امرأة زانية غريبة الجنس "راحاب" نالت ما لم يستطع كثير من العبرانيين أن ينالوه، فقد استحققت أن تُحسب في نسب السيد المسيح (مت ١: ٥)، ثم يبلغ بنا إلى رجال إيمان من القضاة مثل جدعون وباراق وشمشون ويفتاح، والملوك مثل داود، والأنبياء كصموئيل. هكذا يجول بهم خلال كل تاريخهم ليقدم أمثلة من كل حقبة فقد وُجد شهود حق لله حتى في أحلك العصور.

انتقل الرسول من أمثلة رجال ونساء للإيمان إلى أمثلة للأعمال الإيمانية منها:

\* قهر المالك بالإيمان.

\* صنع البرّ.

\* نوال المواعيد.

\* سد أفواه الأسود.

\* إطفاء قوة النار.

\* النجاة من حد السيف.

\* نوال قوة من ضعف.

\* التشدد في الحرب.

\* أخذت نساء أمواتهن بقيامة كما فعلت الأرملة مع إيليا النبي.

\* احتمال العذاب ورفض النجاة الزمنية من أجل نوال قيامة أفضل.

\* الدخول في تجارب من هزء وجلد وقيود وحبس.

\* احتمال الموت من نشر وقتل بالسيف.

\* الطواف في جلود غم وجلود معزي في عوز مكرويين ومذلين.

هذه مجرد أمثلة حية واقعية لأعمال إيمانية عاشها رجال العهد القديم، ويعيشها المؤمن في العهد الجديد بفهم روحي جديد، فبالمسيح يسوع يقهر المؤمن ممالك إبليس والخطية ومحبة العالم، وبه يمارس البرّ ليحيا كشبه إلهه، وينعم بالمواعيد الإلهية. بالإيمان نسد أفواه أسود الشر والرجاسات التي تود افتراسنا، ونطفئ لهيب الشهوات الجسدية النار الداخلية. بالإيمان بالسيد المسيح ننعم بالنجاة من كل سيف أو سهم شرير، ونتمتع بالقوة بالرغم مما لنا في ذاتنا من ضعف، ونتشدد كجنود روحيين في حربنا ضد العدو غير المنظور. بالإيمان تتقدم النفس كالأرملة التي مات وحيدها، فيقيم مسيحنا النفس الميتة. بالإيمان نحتمل الآلام بفرح ولا نطلب خلاصاً زمنياً بل المكافأة الأبدية.

في اختصار نردد ما قاله **القديس يوحنا الذهبي الفم** عما يفعله الإيمان في حياة المؤمنين وما يهبهم من قوة روحية وغلبة: [لو وضعت العالم كله ضدكم، أجدكم راجحين في الميزان، ذوي قيمة عظيمة.] إن كانوا قد عاشوا في عوز ومذلة، لكن **"لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ"** [٣٧].

- ١ و اما الايمان فهو الثقة بما يرجى و الايقان بامور لا ترى
- ٢ فانه في هذا شهد للقديس
- ٣ بالايمان نفهم ان العالمين اتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر
- ٤ بالايمان قدم هابيل لله ذبيحة افضل من قايين فبه شهد له انه بار اذ شهد الله لقرابينه و به و ان مات يتكلم بعد
- ٥ بالايمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت و لم يوجد لان الله نقله اذ قبل نقله شهد له بانه قد ارضى الله
- ٦ و لكن بدون ايمان لا يمكن ارضاءه لانه يجب ان الذي ياتي الى الله يؤمن بانه موجود و انه يجازي الذين يطلبونه
- ٧ بالايمان نوح لما اوحى اليه عن امور لم تر بعد خاف فبنى فلكا لخلص بيته فبه دان العالم و صار وارثا للبر الذي حسب الايمان
- ٨ بالايمان ابراهيم لما دعي اطاع ان يخرج الى المكان الذي كان عتيدا ان ياخذه ميراثا فخرج و هو لا يعلم الى اين ياتي
- ٩ بالايمان تغرب في ارض الموعد كانها غريبة ساكننا في خيام مع اسحق و يعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه
- ١٠ لانه كان ينتظر المدينة التي لها الاساسات التي صانعها و بارئها الله
- ١١ بالايمان سارة نفسها ايضا اخذت قدرة على انشاء نسل و بعد وقت السن ولدت اذ حسبت الذي وعد صادقاً
- ١٢ لذلك ولد ايضا من واحد و ذلك من ممات مثل نجوم السماء في الكثرة و كالرمل الذي على شاطئ البحر الذي لا يعد
- ١٣ في الايمان مات هؤلاء اجمعون و هم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها و صدقوها و حيوها و اقروا بانهم غرباء و نزلاء على الارض
- ١٤ فان الذين يقولون مثل هذا يظهرون انهم يطلبون وطنا
- ١٥ فلو ذكروا ذلك الذي خرجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع
- ١٦ و لكن الان يبتغون وطنا افضل اي سماويا لذلك لا يستحي بهم الله ان يدعى الههم لانه اعد لهم مدينة
- ١٧ بالايمان قدم ابراهيم اسحق و هو مجرب قدم الذي قبل المواعيد وحيد
- ١٨ الذي قيل له انه باسحق يدعى لك نسل

- ١٩ اذ حسب ان الله قادر على الاقامة من الاموات ايضا الذين منهم اخذه ايضا في مثال  
 ٢٠ بالايمان اسحق بارك يعقوب و عيسو من جهة امور عتيبة  
 ٢١ بالايمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابني يوسف و سجد على راس عصاه  
 ٢٢ بالايمان يوسف عند موته ذكر خروج بني اسرائيل و اوصى من جهة عظامه  
 ٢٣ بالايمان موسى بعدما ولد اخفاه ابواه ثلاثة اشهر لانهما رايا الصبي جميلا و لم يخشيا امر  
 الملك  
 ٢٤ بالايمان موسى لما كبر ابى ان يدعى ابن ابنة فرعون  
 ٢٥ مفضلا بالاحرى ان يذل مع شعب الله على ان يكون له تمتع وقتي بالخطية  
 ٢٦ حاسبا عار المسيح غنى اعظم من خزائن مصر لانه كان ينظر الى المجازاة  
 ٢٧ بالايمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك لانه تشدد كانه يرى من لا يرى  
 ٢٨ بالايمان صنع الفصح و رش الدم لئلا يمسهم الذي اهلك الابرار  
 ٢٩ بالايمان اجتازوا في البحر الاحمر كما في اليابسة الامر الذي لما شرع فيه المصريون  
 غرقوا  
 ٣٠ بالايمان سقطت اسوار اريحا بعدما طيف حولها سبعة ايام  
 ٣١ بالايمان راحب الزانية لم تهلك مع العصاة اذ قبلت الجاسوسين بسلام  
 ٣٢ و ماذا اقول ايضا لانه يعوزني الوقت ان اخبرت عن جدعون و باراق و شمشون و يفتاح و  
 داود و صموئيل و الانبياء  
 ٣٣ الذين بالايمان قهروا ممالك صنعوا برا نالوا مواعيد سدوا افواه اسود  
 ٣٤ اطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا اشداء في الحرب هزموا  
 جيوش غرباء  
 ٣٥ اخذت نساء امواتهن بقيامة و اخرون عذبوا و لم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة افضل  
 ٣٦ و اخرون تجربوا في هزء و جلد ثم في قيود ايضا و حبس  
 ٣٧ رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا في جلود غنم و جلود معزى معتازين  
 مكرويين مذلين  
 ٣٨ و هم لم يكن العالم مستحقا لهم تائهيين في براري و جبال و مغاير و شقوق الارض  
 ٣٩ فهو لاء كلهم مشهودا لهم بالايمان لم ينالوا الموعد  
 ٤٠ اذ سبق الله فنظر لنا شيئا افضل لكي لا يكملوا بدوننا

## الأصحاح الثاني عشر

### الجهاد

لما كان "كهنوت المسيح" هو الموضوع الرئيسي لهذه الرسالة، حيث يقدم لنا الرسول السيد المسيح بكونه رئيس الكهنة الأعظم، جالسا عن يمين الأب في السماء بكونها قدس الأقداس، يشفع فينا بدمه، ليدخل بنا إلى حضن أبيه، فقد ختم حديثه مؤكداً أن هذه الشفاعة العجيبة لا توهب للمتكاسلين والمتراخين. لهذا بعد أن حدثنا عن الإيمان مقدماً لنا أمثلة حية لرجال الإيمان، صار يحدثنا حديثاً مباشراً عن التزامنا الحي، الذي بدونه لن نعمل السيد المسيح الكفاري.

١. الجهاد وسحابة الشهود ١.

٢. الجهاد والتأمل في آلام المسيح ٢ - ٣.

٣. الجهاد حتى النهاية ٤.

٤. قبول التأديب الإلهي ٥ - ١١.

٥. مساندة الآخرين ٢ - ١٧.

٦. الناموس القديم والملكوت الجديد ١٨ - ٢٩.

## ١. الجهاد وسحابة الشهود

"لِذَلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارٌ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا،

نُنْظِرُ كُلَّ ثِقَلٍ وَالْخَطِيئَةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ" [١].

إذ يحيط بنا الضعف فيمثل ثقلًا على النفس، تهاجمنا الخطية من كل جانب، لهذا يليق بنا أن نجاهد بغير انقطاع متطلعين إلى سحابة الشهود المحيطة بنا فنتمثل بهم في شهادتهم للحق. هذه السحابة هي "لنا" ليس فقط كمثالٍ نقتدي به لكنها "لنا" تسندنا بالصلاة لحسابنا.

يشبه الرسول القديسين بالسحابة لأنها مرتفعة إلى فوق، تتحول إلى مطر لتروي الأرض. هكذا المؤمن الحقيقي يحيا في السماويات لكنه لا يتجاهل النفوس الضعيفة الملتصقة بالأرض والتي لها طبيعة التراب، إنما يصلي من أجلها لكي يستخدمه الله كمطر يروي الأرض بالبركات العلوية، فتأتي بثمر روحي كثير.

حينما يتحدث السيد المسيح عن مجيئه الأخير يؤكد أنه سيأتي على السحاب، وكأنه يأتي الرب جالسًا في قديسيه، السحاب الروحي المحيط به والحامل إياه. لنحيا كسحاب يطلب السماويات، دون تجاهل للأرض فنحمل ربنا يسوع فينا ونعلنه من يوم إلى يوم حتى يتجلى فينا بالكمال يوم مجيئه الأخير!

لكي تكون لنا شركة مع "السحابة من الشهود" التي لم يستطع الرسول أن يحدد قياسها، قائلًا: "مِقْدَارُ هَذِهِ"، ولكي نصير نحن أنفسنا جزءًا لا يتجزأ من هذه السحابة الإلهية يلزمنا أن "نُنْظِرُ كُلَّ ثِقَلٍ وَالْخَطِيئَةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا"، الأمور التي تفسد طبيعتنا وتحرمانا من التمتع بالحلقة الجديدة التي صارت لنا في المعمودية. ففي سفر إشعياء يتحدث النبي عن السيد المسيح القادم من مصر على سحابة خفيفة وسريعة (١٩: ١ - الترجمة السبعينية)، هذه التي تشير إلى السيدة العذراء عند هروبها إلى مصر حاملة السيد المسيح في حضنها، كما يقول القديس كيرلس الكبير، وفي نفس الوقت تشير إلى كل نفس نقية وورعة تحمل يسوع في داخلها وتسير به كسحابة سريعة خفيفة، لا يهدم ثقل الخطية طبيعتها ويعوق مسيرتها.

نشتهي أن نلتصق بالسحابة العظيمة من الشهود، الخفيفة والسريعة التي تحمل مخلصها مسرعة به، لا بالكلام والعاطفة فحسب، وإنما بالجهاد في الرب، إذ يكمل الرسول حديثه، قائلًا: "وَأَنْتَ حَاضِرٌ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا" [١]، أي لنسرع بالصبر إلى السباق الذي وُضِعَ أَمَامَنَا لِننال المكافأة. وكما يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: [مع وجود ضيقات مستمرة فإن "الضيقة ينشئ صبرًا، والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يخزي" (رو ٥: ٤).] فإذا كان النبي إشعياء يتوقع مثل هذا الضيق صرخ بصوت عالٍ وحثنا: "هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك، اختبئ نحو لحيفة حتى يعبر الغضب" (إش ٢٦: ٣٠).

يقول القديس جيروم: [في الوقت الحاضر نحن في وادي الدموع! هذا العالم هو موضع البكاء لا البهجة؛ يليق بنا ألا نضحك. هذا هو العالم، إنه زمن الدموع، أما العالم العتيد فهو عالم الفرح... لقد دخل بنا الله كمصارعين في حلبة سباق حيث يكون نصيبنا على الدوام هو الصراع... إذن هذا الموضوع إنما هو وادي الدموع فلا نكون في أمان (تراخ) بل كمن في حلبة صراع واحتمال للآلام.]

## ٢. الجهاد والتأمل في آلام المسيح

"النَّحَاضِرُ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامًا،

نَاطِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ،

الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ

احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهْيَبًا بِالْحَزَنِ،

فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ.

فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مَقَاوِمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ،

لِنَلَّا تَكَلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ" [١-٣].

إن كانت شهادة القديسين هي عون لنا في جهادنا، نمثل بهم وننتفع بصلواتهم، مقاومين كمن في حلبة صراع لنلقي عنا كل ثقل أرضي وخطية محيطتنا بنا لنرتفع مع السحابة الإلهية إلى فوق، ويكون لنا شرف حمل الرب في داخلنا. فإن آلام السيد المسيح من أجلنا حتى الموت موت الصليب هي ينبوع نعم إلهية تسندنا في هذا الجهاد؛ أو كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إن كانت آلام من هم قريبين منا تثيرنا للجهاد فأية غيرة لا يقدمها لنا سيدنا! أي عمل لا يحققه فينا!... حقًا إن آلام المسيح وآلام الرسل هي تعزية عظيمة حقيقية!... أيها الأحباء، الألم هو أمر عظيم يحقق أمرين عظيمين: يمسح خطايانا ويعطي قوة للرجال (الروحيين)].

دعا الرسول السيد المسيح "رئيس الإيمان ومكمله"، فهو قائد المؤمنين في طريق الكمال الوعر، يدخل بهم إلى نفسه، لكي يعبر بهم من مجد إلى مجد، فينعمون بالكمال أمام الأب خلال إتخاذهم به.

آلام الصليب لا تُحتمل، وخزيه مرّ، لكنه في عيني السيد المسيح هو موضوع سرور وفرح، إذ يراه الطريق الذي به يحملنا إلى قيامته، ليجلسنا معه وفيه عن يمين العرش الإلهي. بالمسيح يسوع ربنا نفرح بالألم - بالرغم من مرارته القاسية - إذ نرى طريق الأقداس مفتوحًا أمامنا. احتمل السيد آلامه من أجلنا نحن الخطاة وليس من أجل نفسه، فكم بالحري يليق بنا أن نقبلها من أجل نفوسنا، خاصة وأننا نتقبلها في المسيح المتألم!

## ٣. الجهاد حتى النهاية

"لَمْ تَقَاوَمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ" [٤].

لم يقدم لنا الرسول هذه الوصية الخاصة بالجهاد الروحي حتى النهاية إلا بعد أن قدم لنا أمثلة عملية وحية لمؤمنين مجاهدين من آباء بطاركة وأنبياء وقضاة وملوك، وأوضح لنا إمكانية الجهاد، إذ نحن محاطون بسحابة الشهود العاملين معنا، وفوق الكل أوضح عمل السيد المسيح المصلوب في حياتنا. لقد قبل الآلام بسرور مستهيناً بخزي الصليب، الأمر الذي يجعل جهادنا الروحي حتى الموت مقبولاً ومفرحاً. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [إلى الآن لم تحتملوا الموت، إنما امتدت خسارتكم عند المال والكرامة والطرده من موضع إلى آخر. على أي الأحوال، لقد بذل المسيح دمه من أجلنا، أما أنتم فلم تفعلوا هذا لأجل أنفسكم. لقد صار من أجل الحق حتى الموت من أجلكم، أما أنتم فلم تدخلوا بعد في المخاطر التي تهدد بالموت.]

#### ٤. قبول التأديب الإلهي

مادمنا أولاد الله، فإن الله يسمح لنا بالتجارب والضيقات أثناء الجهاد على الأرض، لا للانتقام ولا للدينونة وإنما لمساندتنا. فهو يعيننا لا بلطفه بنا فحسب خلال الترفق، وإنما أيضاً بتأديبنا لأجل نفعنا الروحي. فالضيق بالنسبة للمؤمن الحقيقي المجاهد قانونياً هي علامة حية لاهتمام الله به من أجل بنيانه.

"وَقَدْ تَسَيِّئُ الْوَعْظُ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبِينٍ:

يَا ابْنِي لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ،

وَلَا تَحْزَنْ إِذَا وَبَّخَكَ.

لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ" [٤-٦].

كثيراً ما علق آباء الكنيسة على هذه العبارة الرسولية نفتطف منها:

٧ مغبوط هو الإنسان الذي يؤدب في هذه الحياة، فإن الرب لا يعاقب عن الشيء مرتين (نا ١: ٩ - الترجمة السبعينية).

#### القديس جيروم

٧ عندما يوبخ الله، وإنما لكي يصلح، ويصلح لكي يحفظنا (له)

القديس كبرياتوس

٧ لا ترجع النفس إلى الله إلا إذا انتزعت عن العالم، وليس شيء ينتزعها عنه بحق إلا التعب والألم؛ حين تكون النفس ملتحمة بملذات العالم التافهة الضارة والمهلكة... نتحول بسبب هذه التأديبات عن ضعفنا، إذ يلقى بالإنسان أن يدرك أنه يتألم بسبب الخطية. لينته يرجع إلى نفسه ويقول: "أنا قلت في قلبي: ارحمني يا رب، اشف نفسي، فإني أخطأت إليك" (مز ٤١: ٤). بالضيق يا رب دربني، إذ تجلد كل ابن تقبله، ما عدا الابن الوحيد الذي وحده بلا خطية... أما أنا فأقول لك: "يا رب أخطأت".

القديس أغسطينوس

٧ الأب لا يهذب ابنه لو لم يحبه، والمعلم الصالح لا يصلح من شأن تلميذه ما لم ير فيه علامات نوال الوعد. عندما يرفع الطبيب عنايته عن مريض، يكون هذا علامة يأسه من شفائه.

✓ أيهما أفضل أن ندخل معركة (التأديب) إلى حين ونحمل أوتاد الحسكة (أسياخ من الخوازيق)، وتكون معنا أسلحة، ونرهب من حمل التروس الثقيلة، لكي نفرح بعد ذلك خلال الغلبة، أم نبقى عبيدًا إلى الأبد، لأننا لم نقدر أن نحتمل ساعة واحدة.

#### القديس جيروم

✓ لا تستطيع القول بأن إنسانًا بارًا يعيش بلا ضيق، حتى وإن لم يظهر عليه الضيق... إذ يلزم بالضرورة لكل بار أن يجتاز الطريق. هذا هو إعلان المسيح، أن الطريق الواسع العريض يؤدي إلى الهلاك، أما الضيق الكرب فيؤدي إلى الحياة (مت ٧: ١٣ - ١٤)... هل لأنك تعاني من أتعاب كثير تظن أن الله تركك، وأنه يبغضك؟! إن كنت لا تتألم يكون بحق قد تركك، لأنه إن كان الله يؤدب كل ابن يقبله، فمن لا يسقط تحت التأديب لا يكون ابنًا... ماذا نقول؟ ألا يسقط الأشرار تحت الضيق؟ حقًا يسقطون... هم ينالون عقاب شرهم ولا يؤدبون كأبناء.

#### القديس يوحنا الذهبي الفم

التأديب هو علامة البنوة، فالآب يهتم ببنيان ابنه الشرعي، ولا يبالي بالنغول: "ولكن إن كنتم بلا تأديب، قد صار الجميع شركاء فيه، فأنتم نغول لا بئون" [٨]. وكما قال القديس يوحنا الذهبي الفم: [إن كان عدم التأديب علامة خاصة بالنغول، إذن يليق بنا أن نفرح بالتأديب كعلامة شرعية بنوتنا].

يقارن الرسول بين التأديب الذي نخضع له من أبائنا في الجسد والتأديب الذي يقع علينا من أبينا السماوي موضحة النقاط التالية:

أولاً: أن التأديب يُعطي للآباء الجسديين مهابتهم، فالطفل يهاب والده بكونه المربي الحازم؛ "ثم قد كان لنا آباء أجسائنا مؤدبين، وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالاولى جدًا لأبي الأرواح، فنحنيا؟" [٩]. هنا يؤكد الرسول عنصرًا هامًا وهو "المخافة الأبوية" فإبنا وإن كنا أبناء الله، بذل الله ابنا ابنه الوحيد فدية عنا، وارتفع الابن عن يمينه ليشفع فينا، هذا بيعث فينا الدالة القوية لدى الله، فإن التأديب يهب الابن مخافة نحو أبيه تمتزج بالدالة، حتى لا تتحول الدالة إلى استهتار. لكن شتان بين المخافة التي تنطلق في قلب الابن والمخافة الممتزجة بالرعب في قلب الأجير أو العبد. الابن يخاف أباه لئلا يجرح مشاعره ويسيء إلى أبوته، أما الأجير فيخاف لئلا يُحرم من الأجرة، والعبد يخاف من العقاب.

ثانيًا: أبناؤنا الجسديون يؤدبوننا أيامًا قليلة حسب استحسانهم [١٠]، مشتاقين أن يرونا ناجحين في هذا الزمان الحاضر، نحقق أمنياتهم الزمنية فينا، أما الله فيؤدب لهدف أعظم: لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته. هذه هي غاية تأديبه لنا، إذ يود أن يرانا شركاء في حياته المجيدة، نحمل سماته فينا، نتشبه به. هذه هي غاية الله من الإنسان، أن يراه كابن يحمل صورة أبيه.

ثالثًا: "كل تأديب في الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن" [١١]. فالابن يئن تحت ألم التأديب، لكن متى بلغ النضوج أدرك أن التأديب هو سر نجاحه وبهجة قلبه الأكيدة. هكذا تأديب الله لنا يقدم لنا في البداية نوعًا من الحزن، لكنه في نفس الوقت يهب ثمر بر السلام. به ندخل إلى بر المسيح المجاني فيمتلئ قلبنا سلامًا فائقًا. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [الذين يتناولون الدواء المر يخضعون أولًا لشيء من الامتعاض لكنهم يشعرون بالراحة بعد ذلك... هذا أنتم تتألمون، هكذا هو التأديب في بدايته... فإنه كل تأديب يبدو للحزن مع أنه في حقيقته غير ذلك].

#### ٥. مساندة الآخرين

أحد العناصر الهامة في الجهاد الروحي هو مساندة الأعضاء بعضها لبعض، فالحياة مع الله وإن كانت تمثل علاقة شخصية خفية بين الله والمؤمن لكن ليس في فردية منعزلة، إنما هي حياة شركة بين الله وكنيسته الواحدة. كل عضو يسند أخاه في الرب، لكي يتشدد الكل معًا كعروس واحدة. يقول الرسول: "لذلك قوموا الأيادي المسترخية والركب المخلعة" [١٢]. ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم قائلاً: [ليس شيء يجعل البشر ينهزمون سريعًا في التجارب وينهارون مثل العزلة. اخبرني، بعثر فرقة في حرب، فإن العدو لا يفلق في سببهم وأسرهم كفرادى].

الأخرون بالنسبة لك كما يشبههم الرسول هم الأيدي والركب، فإنك لا تستطيع أن تقارم العدو الشرير إبليس إن كان الأيدي مسترخية والركب مخلعة، فكل مساندة من جانبك لأخيك إنما هي مساندة لك أنت شخصيًا لأنه يمثل يدك وركبك! لهذا لا عجب إن ضعف الرسول بولس مع كل ضعيف، والتهب قلبه محترقًا مع عثرة كل إنسان، ويفرح ويتهلل مع توبة الغير!

تقويم الأيادي المسترخية والركب المخلفة لا يكون بمساندة الآخرين بالكلمات النظرية وإنما بالحياة العملية الداخلية والسلوك الروحي الحي، إذ يكمل الرسول قائلاً: "اتَّبِعُوا السَّلَامَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بَدُونَهَا لَنْ يَرَى أَحَدُ الرَّبِّ. مُلَاحِظِينَ لِنَلَأَ يُحْيِي أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ. لِنَلَأَ يَطْلُعُ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعُ ائْرَعَاجًا، فَيَتَنَجَّسُ بِهِ كَثِيرُونَ" [١٤-١٥]. هنا يركز الرسول على سمتين هامتين في الجهاد، تسندان النفس وتعيّن الآخرين، هما إتباع السلام مع الجميع والتمتع بالحياة المقدسة. فمن جهة إتباع السلام، فالمؤمن إذ يدرك مركزه كعضو في الجسد المقدس بل وفي البشرية كلها يعمل بروح متناسق مع الجميع خلال الرأس المدير، يحتمل ضعف الآخرين من أجل بنیان الجماعة وسلامه الداخلي ولدفع الضعيف بالحب نحو التوبة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [احتمال الشر هو أعظم سلاح في التجارب. به يجعل المسيح تلاميذه أقوياء، إذ يقول: "هذا أنا أرسلكم كغتم وسط ذناب، فكونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمائم" (مت ١٠: ١٦)... فإنه ليس من شيء يُخجل من يصنع معنا شراً مثل احتمالنا ما يجلبه علينا بلطف وعدم النعمة بكلمة أو فعل. هذا يجعل منا فلاسفة (حكماء)، ويجلب لنا مكافأة عظيمة، وفي نفس الوقت ينفع من صنع معنا شراً]. أما من جهة الحياة المقدسة، فهي ترتبط بإتباع السلام وتلازمه. الحب الحقيقي الذي يعمل فينا لإتباع السلام هو بعينه يعمل فينا للتقديس بالرب يسوع القديس. من يحب إخوته بصدق في المسيح يسوع مشتتاً خلاصه، لا يمكن أن يقبل الحياة الشريفة، بل يحب القداسة ويتفاعل معها. حبنا لإخوتنا أيضاً يفتح أبواب النعمة أمامنا لننهل منها شركة الحياة المقدسة في الرب.

ما هو إتباع السلام إلا دخول في شركة عملية مع السيد المسيح محب البشر وملك السلام! هذه الشركة هي بعينها الحياة المقدسة. يقول القديس جيروم: [المسيح هو القداسة التي بدونها لا يقدر أحد أن يعاين وجه الله. المسيح هو خلاصنا، إذ هو المخلص والقدية في نفس الوقت. المسيح هو كل شيء بالنسبة لنا، فمن يترك شيئاً من أجله يجده مقابل ما قد تركه، فيستطيع في حرية أن يقول "نصيبي هو الرب" (مز ١٢٣: ٦).]

أما علة السقوط في الحياة الروحية والعجز عن الجهاد فهو الاستباحة والاستهتار، فيكون مصير الإنسان هو مصير عيسو الذي طلب أن يرث البركة بدموع، لكن لم تجد التوبة لها مكاناً في قلبه الذي تدرّب على الاستباحة، فقد تبدلت حواسه ولم يجد للندامة موضعاً فيه، يقول الرسول: "لِنَلَأَ يَكُونُ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا كَعِيسُو، الَّذِي لِأَجْلِ أَكْلَةِ وَاحِدَةٍ بَاعَ بُكُورِيَّتَهُ. فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْضًا بَعْدَ ذَلِكَ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ الْبِرْكَهَ رُفِضَ، إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَانًا، مَعَ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِدُمُوعٍ" [١٦-١٧]. كما أن كل حب يوَلدُ حباً وكل جهاد روحي يلهب القلب إلى جهاد أعظم في الرب، فإنه كل استباحة تود استباحة، وكل تهاون يخلق تهاوناً... حتى تفسد حياة المؤمن تماماً وتفتّر أحاسيسه الداخلية، ويشتهي الحياة المقدسة السابقة، لكن في تراخ بلا توبة صادقة. هذه الخبرة حدثنا عنها الآباء فحذرونا من الثعالب الصغيرة والخطايا التي تبدو تافهة، فإن عدو الخير لا يحارب الإنسان المؤمن بخطايا واضحة إلا بعد أن يتسلل إلى قلبه خلال التهاون في الصغائر، حتى متى أفسد القلب الداخلي بهاجمه بكل أنواع الخطايا، فيسقط فيما كان يظن أنه يستحيل ارتكابه. فداود النبي العظيم صاحب القلب النقي والمرتل لله على الدوام استهان قليلاً، فخرج على السطح عوض أن يشترك مع جيشه في الحرب بالصلاة والتذلل؛ هذا التهاون البسيط فتح المجال للنظر إلى امرأة أخيه في الرب وقائد جيشه، وهكذا انخرط من ضعف إلى ضعف حتى سقط تماماً في فخ إبليس... لكن الرب لم يتركه!

كما يتسلل العدو إلى قلبك خلال الصغائر، اسحب قلبك إلى الجهاد الروحي خلال الصغائر... فمن التداريب الجميلة الروحية حينما يشعر المؤمن بالتراخي أنه يقول في نفسه لأجاهد اليوم وأستريح غداً، وإذ يقضي يومه يلتهب قلبه بالأكثر نحو الله، فيعود يكرر نفس القول وهكذا يسحب قلبه إلى الحياة السماوية العالية خلال جهاد بسيط في اللحظة الحاضرة، ولا يضع أمام نفسه خططا لفترة طويلة، كما لا يؤجل للغد عمل الرب.

## ٦. الناموس القديم والملوك الجديد

إذ أراد الرسول تأكيد فاعلية وصية العهد الجديد وبركات الملوك الجديد قارن بين طريق استلام الناموس في العهد القديم على يد موسى النبي على جبل سيناء وتقبل الكلمة الإلهي ذاته في العهد الجديد.

أولاً: عندما تسلّم موسى الناموس اضطرّم الجبل الملموس بالنار بطريقة مادية واضحة وظلام وحدثت زويعة وهتاف بوق وصوت كلمات، الأمر الذي جعل الشعب يستعفي من السماع لله مباشرة، ولم يكن ممكناً حتى للحيوانات أن تقترب من الجبل وإلا رُجمت أو رُميت بالسهم دون أن يلمسها أحد! هكذا كانت العلاقة بين الله والإنسان مرعبة وغامضة، أما في العهد الجديد فلا نرى شيئاً من هذا إذ التحم كلمة الله بنا خلال تجسده فلم يعد هناك رعب ولا غموض.

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك، قائلاً: [لم يُعطِ العهد الجديد ومع هذه الأمور (النار والضباب والعاصف وأصوات البوق) وإنما قدم إلينا حديثاً بسيطاً من قبل الله... كانت هذه الأمور مرعبة حتى لم يحتملوا سماعها، ولا تتجاسر حتى أية بهيمة أن تصعد؛ أما ما جاء بعد ذلك فلم يكن هكذا، لأنه ماذا تكون سيناء بالنسبة للسماء؟ والنار الملموسة بالنسبة لله الذي لا يُقترب إليه، إذ هو نار آكلة؟]

هذه الأمور التي ظهرت مع استلام الناموس تكشف عن سماته؛ فالنار تشير إلى عقاب العصاة الرهيب، والضباب والظلام علامة الغموض وعدم الكشف عن الحق في كماله وإنما خلال الظل والرمز. وأصوات الأبواق تشير إلى طبيعته كأعداد لمجيء الملك السماوي كما في اليوم الأخير (١) كو ١٥: ٥٢). ويشير العاصف إلى الشعب المستكين المحتاج إلى عاصف ليوقفه من سباته الروحي وتراخيه.

في دراستنا لسفر الخروج تحدثنا في أكثر من تفصيل عن رموز هذه الأمور الروحية لحالة النفس الداخلية حين تتقبل كلمة الله فيها. تصير كالجبل الراسخ الملتهب بالنار الإلهية المتقدة، تحيط بها الأسرار الإلهية كضباب، ويُسمع فيها أصوات البوق معلنة الحق بحياتها الداخلية وسلوكها الظاهر، تهب فيها عواصف الروح التي تحطم كل شر تسلل إليها؛ هذا وكل بهيمة، أي كل فكر حيواني يقترب إليها يُرجم بحجارة الحق ويُضرب بسهم الصليب فلا يكون له موضع في داخلها.

ثانيًا: لم تقف حالة الرعب عند الشعب وإنما مست موسى النبي نفسه، إذ "قال موسى: **أنا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ!**" [٢١]. أما الآن فالكلمة قريبة منا، في داخل القلب، إذ دخل "الكلمة الإلهي" في حياتنا، وصار له مسكنًا فينا.

ثالثًا: عند استلام الشريعة الموسوية كان الشعب في البرية عند سفح الجبل، وكان الناموس قد عجز عن أن يقدم للشعب الحياة السماوية المرتفعة، ويدخل بهم إلى أورشليم العليا، أرض الموعد. أما في العهد الجديد، فدخل بنا كلمة الله إلى السموات عينها، وجعل منا محفل ملائكة: "**بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلٍ صِهْيُونَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللَّهِ الْحَيِّ: أورشليمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رِبَّاتِ هُمْ مَحْفَلٍ مَلَائِكَةٍ، وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللَّهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أِبْرَارٍ مَكْمَلِينَ**" [٢٢-٢٤].

يرى العلامة أوريجينوس في السماء التي ننعيم بها أربع رتب هي: جبل صهيون، مدينة الله أورشليم السَّمَاوِيَّةِ، ربوات هم محفل ملائكة، كنيسة أبكار مكتوبين في السموات. أعلى هذه الدرجات هي العضوية في كنيسة الأبكار حيث ينعمون بالشركة مع المسيح البكر. إذ يقول: [اجتهد بكل قوتك أن تنمو وتتقدم في أعمالك وحياتك وعاداتك وإيمانك وطريقة تصرفاتك حتى تبلغ كنيسة الأبكار المكتوبين في السموات، فإن لم تستطع فلنبلغ إلى درجة أقل... وإن كنت لا تقدر أن تقترب من الربوات الذين هم محفل ملائكة وتصعد إلى هذه الدرجة فعلى الأقل تبلغ مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإن كنت غير قادر على بلوغ هذه فحاول على الأقل أن تنتج نحو جبل صهيون لكي تخلص على الجبل (تك ١٩: ١٧). يكفي أنك لا تبقى على الأرض ولا تسكن الوديان ولا تنطى في المناطق المظمورة.]

على أي الأحوال في العهد الجديد دخلنا إلى ملكوت الله المجيد، حيث يرتفع بنا إلى جبل صهيون الحق، وننعم بأورشليم العليا ونحسب محفل ملائكة وأبكار للرب. وكما يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: [من لا يرغب في التمتع بالصحة العلوية مع هؤلاء! من لا يرغب في تسجيل اسمه معهم، لكي يسمع معهم: "تعالوا يا مباركي أبي ربوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥: ٣٤).]

ويلاحظ أن الملكوت الذي بلغناه في المسيح يسوع يقدم لنا ثمانية أمور: جبل صهيون، مدينة الله، محفل ملائكة، كنيسة أبكار، الله ديان الجميع، أرواح أبرار مكملين، وسيط العهد الجديد يسوع، دم رش يتكلم أفضل من هابيل. نحن نعلم أن رقم ٨ يشير إلى ما وراء الزمن (٧ أيام الأسبوع)، أو إلى الحياة الانقضائية الأخروية، فالملكوت الجديد هو ملكوت سماوي يرفع الإنسان إلى الحياة الفاتحة السماوية.

ركز كثير من الآباء على "كنيسة أبكار مكتوبين في السموات"، إذ صرنا في المسيح يسوع البكر أبكارًا. بكورية السيد المسيح ليست كالبكورية الجسدية، صاحبها يحرم الآخرين من التمتع بها، إنما بالعكس تهب الآخرين شركة فيها. هذه البكورية التي صارت لنا ليست جسدية، وكما يقول العلامة أوريجينوس: [الذين اعتبروا أبكارًا أمام الله ليس هم الأبكار حسب الميلاد الجسدي، إنما اختارهم الله بسبب حسب استعدادهم. هذا ما حدّث بالنسبة ليعقوب الرجل الثاني إذ حسبه الله بكرًا ونال بركة البكورية (تك ٢٧: ١١). بفضل إصابة أبيه بالعمى بسماع إلهي، وذلك لحسب استعداد قلبه الذي رآه الله فيه، إذ قيل: "وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرًا أو شرًا... مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو" (رو ٩: ١١، ١٢؛ ملا ١: ٢، ٣). هكذا لم يكن اللاويون أبكارًا حسب الجسد لكنهم ثبتوا كأبكار.]

مرة أخرى إذ أدرك الرسول كيف تمررت نفوس المسيحيين الذين هم من أصل عبراني لأنهم حُرّموا من جبل صهيون ومدينة أورشليم والناموس المُسلم بيد ملائكة، لهذا كشف لهم عن الملكوت الجديد الذي صار فيهم، بكونه مشبعًا لاحتياجاتهم ويعوضهم بأكثر مما فقدوا، فقد دعاه:

أ. **جبل صهيون**، فإن كانوا قد صاروا مضطهدين يُحرمون من السكنى في جبل صهيون الذي اعتر به اليهود، فإن رب المجد يرتفع بهم إلى جبل صهيون الحقيقي الداخلي، يرفع النفس إلى الجبل العالي لتتعم بالحياة السماوية.

ب. مدينة الله الحيّ أورشليم السماوية، عوض أورشليم الأرضية حيث الهيكل الذي يعتز به اليهود صارت النفس عينها مدينة الله، أورشليم الجديدة، لا يُقام فيها هيكل الله بل هي بعينها الهيكل المقدس، كقول الرسول بطرس: "الذي إذ تأتون إليه حجرًا حيًا مرفوضًا من الناس، ولكن مختار من الله كريم، كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية بيتًا روحيًا كهنوئيًا مقدسًا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١ بط ٢ : ٤، ٥).

ج. ربوات هم محفل ملائكة، إن كان اليهود قد فقدوا حرفية الناموس الذي سلم بيد ملائكة، فقد صاروا هم أنفسهم محفل ملائكة! وكما يقول القديس إكليمنضس السكندري إن المؤمنين الحقيقيين أصحاب المعرفة الروحية (الغنوسيين) ليس فقط يكونون في صحبة الملائكة، بل يصيرون هم أنفسهم كالملائكة. هذا أيضًا ما تحدث عنه كثير من الآباء بشيء من الإفاضة مثل العلامة أوريجينوس القديس يوحنا الذهبي الفم.

د. كنيسة أبكار، كان لليهود أبكارهم الروحيين أي سبط لاوي، يتقبلهم الله عن كل الجماعة المقدسة عوض الأبكار حسب الجسد. والآن صاروا كنيسة أبكار، خلال إتحادهم مع الابن البكر الحقيقي.

هـ. الله ديان الجميع، كان اليهود في حريفتهم يتطلعون إلى الله كإله اليهود وحدهم، أما وقد قبلوا الإيمان بمخلص العالم فقد أدركوا الله كديان البشرية كلها.

و. إلى أرواح أبرار مكملين، صار لهم في المسيح أن يتبرروا ويصيروا كاملين في عيني الأب.

ز. وسيط العهد الجديد يسوع، إن كان رجال العهد القديم يطلبون المسيا وينتظرونه، فإن رجال العهد الجديد تمتعوا به، هذا الذي وهبهم "العهد الجديد" يدخل بهم إلى ملكوته السماوي.

ح. إلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل، هكذا يختم حديثه عن بركات العهد الجديد بمقارنته مع العهد القديم بالدم المرشوش في القلب، الذي يصرخ فينا شاهداً للحق ومقدساً إيانا... لا يمكن للزمن أن يخفته!

بعد المقارنة بين العهدين دخل إلى جانب عملي، وهو التزامنا لا بالافتخار بما لنا، وإنما بالتجاوب معه عملياً: "انظروا أن لا تستغفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استغفوا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرئتين عن الذي من السماء، الذي صوته زعزع الأرض حينئذ، وأما الآن فقد وعد قابلاً: إني مرة أيضاً أنزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً. فقوله مرة أيضاً يدل على تغيير الأشياء المترزعة كمنصوعة، لكي تبقى التي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع، ليكن عندنا شكرٌ به نخدم الله خذمة مرضية، بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نارٌ آكلة" [٢٩-٢٥].

بمقدار ما تزداد العطية وتعظم تزداد المسؤولية أيضاً. فإن كان الذين استهانوا بالناموس الذي عند تسلمه تززع عت الأرض (إذ حدثت نار وأصوات رعد وزلزلة) لم ينجوا، فكيف ينجو من يستهين بالكلمة الإلهي السماوي، الذي قال أنه يزلزل الأرض والسماء أيضاً؟ في العهد القديم كانت الأرض تتزلزل إذ كان الناموس يمس الجسد الترابي، لكن العهد الجديد يمس الأرض والسماء، أي الجسد والروح معاً؛ لذا فعقوبة كاسر الناموس كانت بالأكثر تمس حياتنا الأرضية، لكن كاسر الوصية ومحترق العهد الجديد فيسقط تحت العقوبة هنا على الأرض وفي الحياة الأخرى. من ناحية أخرى إن كنا قد قبلنا ملكوتاً لا يتزعزع يهب الجسد والنفس خلوداً، فلنشكر الرب ونخدمه بخشوع وتقوى، مدركين أن إلهنا نار آكلة، قادر أن يلهب الجسد والنفس معاً بالروح الناري، فنصير بحق خدام الله الناريين! وكما يقول القديس أنثاسيوس الرسولي: [لأنه يليق بخادم الرب أن يكون يقظاً وحريصاً، نعم بل وكلهيب نار، حتى أنه إذ بالروح الملهب يبدد كل خطية جسدية يقدر أن يقترب إلى الله الذي يدعى ناراً آكلة كما يعبر القديسون].

١ لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطية بنا لنطرح كل ثقل و الخطية المحيطة بنا بسهولة و لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع امامنا

٢ ناظرين الى رئيس الايمان و مكمله يسوع الذي من اجل السرور الموضوع امامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله

٣ فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لنلا نكلوا و تخوروا في نفوسكم

٤ لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية

٥ و قد نسيتم الوعد الذي يخاطبكم كبني يا ابني لا تحقر تاديب الرب و لا تخز اذا وبخك

- ٦ لان الذي يحبه الرب يؤدبه و يجلد كل ابن يقبله  
٧ ان كنتم تحتملون التاديب يعاملكم الله كالبين فاي ابن لا يؤدبه ابوه  
٨ و لكن ان كنتم بلا تاديب قد صار الجميع شركاء فيه فانتم نغول لا بنون  
٩ ثم قد كان لنا اباء اجسادنا مؤدبين و كنا نهايهم افلا نخضع بالاولى جدا لابي الارواح فنجيا  
١٠ لان اولئك ادبونا اياما قليلة حسب استحقاقهم و اما هذا فلجل المنفعة لكي نشترك في قداسه  
١١ و لكن كل تاديب في الحاضر لا يرى انه للفرح بل للحزن و اما اخيرا فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام  
١٢ لذلك قوموا الايادي المسترخية و الركب المخلعة  
١٣ و اصنعوا لارجلكم مسالك مستقيمة لكي لا يعتسف الاعرج بل بالبحري يشفى  
١٤ اتبعوا السلام مع الجميع و القداسة التي بدونها لن يرى احد الرب  
١٥ ملاحظين لئلا يخيب احد من نعمة الله لئلا يطلع اصل مرارة و يصنع انزعاجا فينتجس به كثيرون  
١٦ لئلا يكون احد زانيا او مستبيحا كعيسو الذي لاجل اكلة واحدة باع بكرورته  
١٧ فانكم تعلمون انه ايضا بعد ذلك لما اراد ان يرث البركة رفض اذ لم يجد للتوبة مكانا مع انه طلبها بدموع  
١٨ لانكم لم تاتوا الى جبل ملموس مضطرب بالنار و الى ضباب و ظلام و زوبعة  
١٩ و هتاف بوق و صوت كلمات استعفى الذين سمعوه من ان تزداد لهم كلمة  
٢٠ لانهم لم يحتملوا ما امر به و ان مست الجبل بهيمة ترجم او ترمى بسهم  
٢١ و كان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى انا مرتعب و مرتعد  
٢٢ بل قد اتيتم الى جبل صهيون و الى مدينة الله الحي اورشليم السماوية و الى ربوات هم محفل ملائكة  
٢٣ و كنيسة ابركار مكتوبين في السماوات و الى الله ديان الجميع و الى ارواح ابرار مكملين  
٢٤ و الى وسيط العهد الجديد يسوع و الى دم رش يتكلم افضل من هابيل  
٢٥ انظروا ان لا تستعفوا من المتكلم لانه ان كان اولئك لم ينجوا اذا استعفوا من المتكلم على الارض فبالاولى جدا لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء  
٢٦ الذي صوته زعزع الارض حينئذ و اما الان فقد وعد قائلا اني مرة ايضا ازلزل لا الارض فقط بل السماء ايضا  
٢٧ فقوله مرة ايضا يدل على تغيير الاشياء المتزعزعة كمنصوغة لكي تبقى التي لا تنزعزع  
٢٨ لذلك و نحن قابلون ملكوتا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع و تقوى  
٢٩ لان الهنا نار اكلة

## الأصاح الثالث عشر

### وصايا ختامية

يختم الرسول بولس رسالته بحديث عملي كعادته في كل رسالته الأخرى، وقد جاء الحديث هنا مطابقاً للفكر الروحي الذي أعلنه في صلب الرسالة. إن كان في الأصاح السابق قد تحدثت عن الالتزام بالجهاد الحي للتمتع بشفاة السيد المسيح الكفارية أو دخولنا إلى الإتحاد مع الأب فيه، أما هنا فيترجم هذا الجهاد إلى بعض جوانبه العملية التطبيقية مثل المحبة والتسبيح والطاعة... الخ.

١. المحبة الأخوية ١.

٢. محبة الغرباء ٢ - ٣

٣. المحبة الزوجية ٤ - ٦

٤. محبة الرعاية ٧

٥. الهروب من الهرطقات ٨ - ١١

٦. التألم مع المسيح ١٢ - ١٤

٧. التسبيح ١٥ - ١٦

٨. الخضوع للمرشدين ١٧ - ٢٢

٩. ختام الرسالة ٢٣ - ٢٥

## ١. المحبة الأخوية:

لكي ننعم بعمل السيد المسيح الكفاري بكونه رئيس الكهنة الأعظم السماوي، يلزمنا أن نعلن محبتنا للآخرين، لا كشرطٍ نبدأ نحن به، وإنما كالتحامٍ حيٍّ للحب الإلهي بالحب الأخوي. فإنه بالحق كلما اتسع قلبنا خلال عمل الله أو محبته أحببنا نحن أيضاً إخواننا، وكلما أحببنا الإخوة أعلن الله بالأكثر حبه فينا.

يوصينا الرسول: "لِتَثْبُتِ الْمَحَبَّةُ الْأَخَوِيَّةُ" [١]. ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم هكذا: [انظر كيف يأمر بالثبات فيما هم عليه فعلاً... إذ لم يقل لهم "كونوا محبين للإخوة"، بل قال "لتثبت المحبة الأخوية".] هكذا يتكلم الرسول بحكمة الروح، فيشجعهم على النمو في المحبة، لا كأمرٍ جديدٍ لم يتذوقوه، وإنما كحياة هم بالفعل يمارسونها. وكأنه يكرر ما يقوله لأهل تسالونيكي: "وأما المحبة الأخوية، فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنهم أنفسهم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً" (١ تس ٤: ٩). وكان الرسول قد أدرك أن المؤمنين لا يمكن أن يكونوا خالين من المحبة وإنما يحملون بذارها على الدوام، وهم في حاجة إلى النمو والثبات فيها.

## ٢. محبة الغرباء

يترجم الرسول المحبة الأخوية إلى جوانب عملية يبدأها بإضافة الغرباء، وللمرة الثانية لا يقدم الوصية في صيغة أمر، إنما في شكل تذكير لعمل يمارسونه هم وقد سبق فمارسه أبائهم، ونالوا عليه مكافأة عظيمة، إذ يقول: "لَا تَنْسُوا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لِأَنَّ بَهَا أَضَافَ أَنْاسٌ مَلَائِكَةٌ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ" [٢]. يعود بفكره إلى أبينا إبراهيم حيث استضاف ثلاثة عابرين عند باب خيمته في ممرا ثم اكتشف أنهم ظهور للرب وملاكين معه، كما عاد إلى لوط الذي استضاف ملاكين.

يليق بنا كغرباء على الأرض أن نهتم بالغرباء، وكأناس معرضين للسقوط تحت الضيق أن نسند المتضايقين، إذ يقول الرسول: "أَذْكُرُوا الْمُقِيدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقِيدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُدْلِينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي الْجَسَدِ" [٣]. لا نشاركهم بالثراء المجرد بل بالحب العامل، نشعر بالشركة الحقيقية مع كل عضو. "فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه" (رو ١٢: ١٥). هذه الشركة عاشها أولاد الله في العهدين القديم والجديد، فيقول إرميا النبي وهو يرى شعبه منسحقاً بسبب السبي رغم مقاومة الشعب له: "من أجل سحق بنت شعبي انسحقت، حزنت، أخذتني دهشة" (إر ٢١: ٨)، ويقول الرسول: "من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا ألتهب؟!)" (٢ كو ١١: ٢٩). وتظهر شركة الحب العملي في كلمات آباء الكنيسة المحبين فيقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ليس شيء أحب إلي أكثر منكم، لا، ولا حتى النور! إنني أود أن أقدم بكل سرور عيني ربوات المرات وأكثر - ما أمكن - من أجل توبة نفوسكم!... إنني أحبكم، حتى أذوب فيكم، وتكونون لي كل شيء، أبي وأمي وإخوتي وأولادي.]

### ٣. المحبة الزوجية

"لِيَكُنَّ الزَّوْجُ مَكْرَمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ،

وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجَسٍ.

وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزَّنَّاءُ فَسَيَدِيئُهُمُ اللَّهُ" [٤].

إذ يكون الزواج مكرماً في عيني إنسان بحق لا يطبق الدنس والنجاسة. فالمسيحي الحقيقي يعيش في طهارة ونقاوة غير منغمس تحت عبودية الشهوات الجسدية.

يؤكد الرسول "لِيَكُنَّ الزَّوْجُ مَكْرَمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ"، أي في عيني المتزوج كما في عيني البتول، فقد خشي الرسول من تسلسل الأفكار الغنوسية التي تعادي الجسد وتشوه الزواج بكونه دنساً. هذا ما اهتم به حتى آباء البرية تأكيده للرهبان والراهبات، فإن اختيارهم لحياة البتولية ليس إلا رغبة في تكريس كل الطاقات للعبادة أو الخدمة، وليس بغضاً أو تدنيساً للحياة الزوجية.

كتب القديس أثاناسيوس الرسولي إلى الأب آمون هكذا: [يوجد طريقان للحياة... الواحد عفيف وعادي أقصد به الزواج، والآخر ملائكي وفائق للطبيعة أقصد به البتولية، إن اختار إنسان طريق العالم أي الزواج فبحق لا يُلام لكنه لا ينال المكافأة كالأخر، إذ هو يثمر ثلاثين ضعفاً، إما إن قبل إنسان الطريق المقدس غير الأرضي - إن قورن بالسابق - فهو طريق وعر يصعب تحقيقه، لكن عطايه أكثر عجباً إذ ينتج ثماراً أكمل أي مئة ضعف.]

يقول القديس چيروم: [بينما نحن نسمح بالزواج لكننا نفضل البتولية التي تتبع عن الزواج... هل تُحسب إهانة للشجرة إن فضل تفاحها عن جذورها وأوراقها؟ وهل يتأذى القمح لأنك تعطي الأولوية للسنبلة عن الساق والنصل؟ كما أن التفاح هو من الشجر وحبوب الحنطة من السنبلة هكذا البتولية هي من الزواج. قد تتحقق المحاصيل مئة ضعف وستون وثلاثون عن تربة واحدة وزرع واحد، لكن الاختلاف هو في الكمية. الثلاثون ضعفاً يشير إلى الزواج... والستون ضعفاً يشير إلى الترميل حيث يوجد الأرامل في شيء من الضيق والتعب... والمئة ضعف يشير إلى إكليل البتولية.]

ينتقل الرسول من الحديث عن قدسية النظرة إلى الزواج مع الهروب من العهارة والزنا إلى الحديث عن عدم محبة المال والالتكال على الله بلا خوف ولا قلق إذ هو يهتم بنا ويعولنا. "لِتَكُنَّ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ قَالَ: لَا أَهْمُكَ وَلَا أَتْرُكَكَ، حَتَّى إِنَّا نَقُولُ وَآتِقِينَ: الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟" [٥-٦]. الزنا ومحبة المال مرتبطان معاً، فإن كليهما يصدران عن فراغ القلب، ولا يكون لهما موضع للقلب الشبعان بمحبة الله، إذ هو ليس في عوز لا إلى لذة جسدية تهب راحة وقتية ولا مال ينكيء عليه! محبة الله تشبع الإنسان فيستريح جسدياً وروحياً ونفسياً تحت كل الظروف.

### ٤. محبة الرعاة:

"أَذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمْ الَّذِينَ كَلَّمَوْكُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. انظُرُوا إِلَى نِهَائَةِ سِيرَتِهِمْ، فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ" [٧]. لنذكر الآباء الرعاة الذين يختفون وراء كلمة الله، فيشهدون لا بما لهم بل بالكلمة الإلهي المعلى في كراتهم وفي سلوكهم. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [أي نوع من الإقتداء هو هذا؟ بالحق تتمثل بما هو صالح فيهم. إذ يقول: "انظروا حياتهم، فتمثلوا بإيمانهم". فإن الإيمان إنما يعلن في

الحياة النقية.] وقد سبق لنا في كتابنا "الحب الرعوي" أن تحدثنا عن التزام المؤمنين بإعلان الحب للكاهن من أجل كلمة الله التي كرس حياته لها واختفى فيها وعاشها. ومن جانب الكاهن ألا يركز بالكلام فحسب، وإنما بحياته التي يلزم أن تكون مضيئة وشاهدة للحق.

## ٥. الهروب من الهرطقات

"يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ.

لَا تُسَافِرُوا بِتَعَالِيمٍ مُتَّوَعَةٍ وَعَرِيبَةٍ" [٨-٩].

إذ أراد أن يوصيهم بعدم الانسياق وراء التعاليم الغريبة المتنوعة أكد لهم أن "يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد". إنه ابن الله الحي الذي لم ولن يتغير، قبله كما قبله أبؤنا بالأمس، ونسلم الإيمان به للأجيال المقبلة بلا انحراف.

إنه رئيس الكهنة السماوي الذي عمل في آبائنا، ولا يزال يعمل لحسابنا، ويبقى عاملاً إلى الأبد حتى يدخل بالكنيسة كلها إلى مجده الأبدي.

إذ نتمسك بالسيد المسيح نرفض البدع والهرطقات، لا نطلب جديدًا، إذ مسيحننا لا يشيخ ولا يقدم، بركاته جديدة في حياتنا كل يوم.

هنا أيضًا يلمح إلى الهرطقات التي ظهرت في عهده، إذ حملت فكرًا غنوسيًا يحرم الأطعمة لا لأجل النسك الروحي، وإنما كدنس يلزم الامتناع عنها كما يدنس الزواج. يقول الرسول: "لِأَنَّه حَسَنٌ أَنْ يُبْتَدَ الْقَلْبُ بِالنُّعْمَةِ، لَا بِأَطْعَمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاظَوْهَا" [٩]. حتى في تلميحه يتحدث الرسول بلطف لينزع عنهم النظرة الغنوسية، مقدمًا إليهم نظرة مقدسة إلى كل شيء حتى الطعام.

## ٦. التألم مع السيد المسيح

انتقل بهم الرسول من عدم الانسياق وراء البدع والهرطقات إلى ضرورة التألم في آلام السيد المسيح المصلوب، و عوض الانشغال بالأطعمة الزمنية يليق بنا أن نرفع قلوبنا إلى الذبيح السماوي القدوس!

لقد أراد الرسول بالتألم في الصليب أمرين: نزع المرارة التي لحقت بالعبرانيين الذين آمنوا بالمسيح لأنهم حرموا من الطقوس اليهودية وطردوا من المحلة، وقبول الآلام مع المصلوب بفرح وسرور. يقول الرسول: "لَنَا مَذَبَحٌ لَا سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدُمُونَ الْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ. فَإِنَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْأَقْدَاسِ بِيَدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ" [١٠-١١]. وكأنه يقول إن كان في الطقس اليهودي يحرم على الكهنة الأكل من الحيوانات التي يدخل بدمها عن الخطية بيد رئيس الكهنة وتحرق أجسامها خارج المحلة، فبالأولى جدًا ألا يقدر كهنة اليهود أن يتمتعوا بذبيحة السيد المسيح الذي صُلب خارج المحلة وارتفع إلى السموات! حرموا مما ننع به، جسد الرب ودمه المبدولين من أجلنا، حرموا من سرّ الإفخارستيا الواهب التقديس! هنا يطمئنهم الرسول أنهم ليسوا هم محرومين بل أصحاب الطقس اليهودي الذين لا يزالوا في الظل والرمز محرومين من أكل الذبائح الحيوانية التي يقدها رئيس الكهنة عن الخطية ومن الذبيحة الحقيقية التي وهبها السيد لمؤمنيه.

هذا العمل الطقسي أيضًا حمل رمزًا أن السيد المسيح يُطرد خارج المحلة ويُصلب خارج أورشليم، حتى نلتزم بالخروج معه وإليه لنحمل عار صليبه، ونشترك معه في آلامه خلال طردنا من أورشليم. "لِذَلِكَ يَسُوعُ أَيْضًا، لِكَيْ يُقَدَّسَ الشَّعْبَ بِدَمِّ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ. فَلُنْخَرُجُ إِذَا إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ" [١٢-١٣]. إن كان هؤلاء العبرانيون قد طردهم مجلس السنهدرين كمرتدين، لا يخلجوا، فقد سبق أن طرد مسيحيهم قبلهم. إنه لمجد عظيم أن نُطرد معه، ونبقى خارج المحلة عربون خروجنا من هذا العالم وتمتعنا بالمدينة العتيقة؛ "لأنَّ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لَكِنَّا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ" [١٤]. الطرد من أورشليم الأرضية عربون الدخول إلى أورشليم العليا.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لقد صلب خارجًا كمدِين، فلا نخجل نحن من طردنا خارجًا]. بخروجه كمذنب صار لنا شرف الطرد خارجًا؛ وإن لم يخرجنا الناس خلال مضايقتهم لنا، نخرج نحن عن محبة الزمنيات، حاملين الصليب في داخلنا، مشتتهين المجد السماوي.

## ٧. التسبيح

"فَلنُقَدِّمُ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذُبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَي تَمَرَ شِفَاهِ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ" [١٥].

الخروج خارج المحلة لا يخلق في النفس تبرمًا، وإنما يحول الإنسان إلى قيثارة إلهية تبعث الفرح وتنطق بالتسبيح، مادام الإنسان لا يخرج بمفرده، وإنما مع السيد المسيح وفيه. يتحول الألم والطرد إلى حالة فرح داخلي هو ثمر الروح القدس الذي يبهج المؤمن بتقديم نفسه ذبيحة حب لله في ابنه. هذه البهجة تعلن بالتسبيح خلال الشفاه المعترفة باسمه، وخلال القلب الداخلي، كما خلال العمل بتنفيذ الوصية، إذ يكمل الرسول، قائلًا: "وَلَكِنْ لَا تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالنَّوْزِيعِ، لِأَنَّهُ بِذُبَايَحٍ مِثْلِ هَذِهِ يَسُرُّ اللَّهُ" [١٦]. كأن التسبيح ليس مجرد كلمات تنطق بها الشفاه وإنما هي طبيعة يعيشها المؤمن، يعلنها في قلبه بالمشاعر المملوءة حبًا لله، وبالشفاه خلال كلمات التسبيح، وبالعمل الصالح الروحي. يعلق القديس چيروم على كلمات المرثل "لتصفق الأنهار بالأيدي" قائلًا: [إن المؤمنين وقد صاروا أنهارًا تفيض عليها المياه من النهر الأصلي ربنا يسوع تصفق بالعمل الروحي المستمر كما بالأيدي، تسبح للثالوث القدوس بالسلوك الحي].

## ٨. الخضوع للمرشدين

"أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَأَخْضَعُوا،

لَأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفْسِكُمْ،

كَأَنَّهُمْ سَوَفَ يُعْطُونَ حِسَابًا،

لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لَا أَتَيْنَ،

لَأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ" [١٧].

يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن أهمية الخضوع للإرشاد الروحي، قائلًا: [إن عدم الرئاسة لأمر رديء، يسبب مصائب جمة! إنه بداية الاضطراب والشغب وسوء النظام! وكما أنه إذا نُزِعَ الرئيس عن الخورس لا يبقى ما عليه من لحن ونظام، وإذا أُبعد عن الجيش قائده لا يثبت في استقامة ترتيبه... وإذا ما عدمت السفينة مدبرها تغرق، هكذا إذا أُبعدت الراعي عن المرعى

تسيء إليه وتهلكه... إذن فعدم الرئاسة أمر رديء ومسبب للفساد، وأما ما هو أردأ منه فهو عصيان المرؤوسين... فإذا لا يرضخ الشعب لرسم رئيسه يكون حاله أشبه بمن لا رئيس لهم، بل وأكثر شراً. لأن الذين ليس لهم رئيس معذرون في سوء نظامهم... أما من لهم رئيس ولا يطيعونه فلا عفو لهم وإنما يعاقبون.]

ليست طاعة المرشدين تعني أرستقراطية الرعاية أو أفضليتهم عن الشعب، فإن الرسول بولس نفسه يشعر بعوزة إلى صلوات شعبه، قائلاً: "صَلُّوا لِأَجْلِنَا، لِأَنَّنا نَثِقُ أَنَّ لنا ضَمِيرًا صَالِحًا، رَاغِبِينَ أَنْ نَتَصَرَّفَ حَسَنًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَكِنْ أَطْلُبُ أَكْثَرَ أَنْ تَفْعَلُوا هَذَا لِكَيْ أَرَدَّ إِلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ" [١٨-١٩]. يعلن الرسول بولس علاقة الحب المتبادل بين الراعي ورعيته. الراعي يصلي عنهم وهم عنه. هو يشفق أن يلتقي بهم سريعاً، فيطلب صلواتهم لتسندة ويحقق اشتياق قلبه من نحوهم.

## ٩. ختام الرسالة

يختم الرسول بولس حديثه بالبركة الرسولية: "وَاللهُ السَّلَامُ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الْأُمُوتِ رَاعِي الْخُرَافِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الْأَبَدِيِّ، لِيُكَمِّلَكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ، عَامِلًا فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ" [٢٠-٢١].

جاءت البركة الرسولية متناغمة مع صلب الرسالة، إذ يطلب الرسول لهم من الله الأب أن يهبهم الحياة الكاملة في كل عمل صالح ليصنعوا مشيئته، عاملاً فيهم خلال رئيس الكهنة السماوي، راعي الخراف العظيم يسوع المسيح. فإن كان السيد قد تقدم عنا كذبيحة كاملة، خاضعاً لأبيه في طاعة كاملة هكذا يشتهي الرسول أن نحمل سماته فينا.

أخيراً يطلب الرسول منهم أن يحتملوا كلمة الوعظ [٢٢]. كأن الرسالة هنا موجهة للشعب، إذ يقول لهم: "سَلِّمُوا عَلَى جَمِيعِ مُرْشِدِيكُمْ وَجَمِيعِ الْقُدِّيسِينَ" [٢٤].

### ١ لتثبيت المحبة الاخوية

- ٢ لا تنسوا اضافة الغرباء لان بها اضاف اناس ملائكة و هم لا يدرون
- ٣ اذكروا المقيدون كانكم مقيدون معهم و المذلين كانكم انتم ايضا في الجسد
- ٤ ليكن الزواج مكرما عند كل واحد و المضجع غير نجس و اما العاهرون و الزناة فسيدينهم الله
- ٥ لتكن سيرتكم خالية من محبة المال كونوا مكتفين بما عندكم لانه قال لا اهملك و لا اتركك
- ٦ حتى اننا نقول واثقين الرب معين لي فلا اخاف ماذا يصنع بي انسان
- ٧ اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم
- ٨ يسوع المسيح هو هو امسا و اليوم و الى الابد
- ٩ لا تساقوا بتعاليم متنوعة و غريبة لانه حسن ان يثبت القلب بالنعمة لا باطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها

١٠ لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن ان ياكلوا منه

١١ فان الحيوانات التي يدخل بدمها عن الخطية الى الاقداس بيد رئيس الكهنة تحرق اجسامها خارج المحلة

١٢ لذلك يسوع ايضا لكي يقدس الشعب بدم نفسه تالم خارج الباب

١٣ فلنخرج اذا اليه خارج المحلة حاملين عاره

١٤ لان ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة

١٥ فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح اي ثمر شفاه معترفة باسمه

١٦ و لكن لا تنسوا فعل الخير و التوزيع لانه بذبائح مثل هذه يسر الله

- ١٧ اطيعوا مرشديكم و اخضعوا لانهم يسهرون لاجل نفوسكم كانهم سوف يعطون حسابا لكي يفعلوا ذلك بفرح لا انين لان هذا غير نافع لكم
- ١٨ صلوا لاجلنا لاننا نثق ان لنا ضميرا صالحا راغبين ان نتصرف حسنا في كل شيء
- ١٩ و لكن اطلب اكثر ان تفعلوا هذا لكي ارد اليكم باكثر سرعة
- ٢٠ و اله السلام الذي اقام من الاموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الابدي
- ٢١ ليكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضي امامه بيسوع المسيح الذي له المجد الى ابد الابد امين
- ٢٢ و اطلب اليكم ايها الاخوة ان تحتملوا كلمة الوعظ لاني بكلمات قليلة كتبت اليكم
- ٢٣ اعلموا انه قد اطلق الاخ تيموثاوس الذي معه سوف اراكم ان اتى سريعا
- ٢٤ سلموا على جميع مرشديكم و جميع القديسين يسلم عليكم الذين من ايطاليا
- ٢٥ النعمة مع جميعكم امين الى العبرانيين كتبت من ايطاليا على يد تيموثاوس